رواية

قلب يأبى الشفاء

أحمد السعيد

بنت الزيات للنشر و التوزيع

رواية

قلبٌ يأبى الشفاءَ

تأليف

أحمد السعيد

قلب يأبى الشفاء

رواية

تأليف: أحمد السعيد

للتواصل مع الكاتب: a.saeedm@yahoo.com

تدقيق ومراجعة: د/ أحمد عبد الموجود

تصميم الغلاف: محمد دربالة

الإخراج الفنيّ: محمود معروف

الطبعة الأولى: 2016

رقم الإيداع: 2016/26904

الترقيم الدوليّ: 3 - 58 - 6582 - 977 - 978

Facebook Page: دار بنت الزيات للنشر والتوزيع

E_mail: bentelzayat1@gmail.com

Website: www.bentelzayat.tk

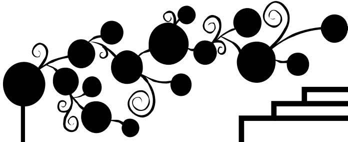
Tel: 01066736765 - 01002282459

01142846211



المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم / 49351

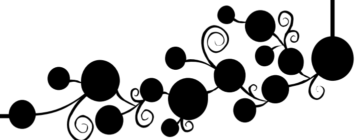
الجيزة دائري ـ نزلة شارع القومية العربية ـ برج النور ـ الدور 8



كلمة الناشر

✍ الحلم مثل الحب، لا يمكن أن يفهمه إلا من مرَّ به وعاشه، فالطموح معقودٌ لديك في الوتين، إن وجدته وعثرت عليه.. تمسك به ولا تترك أطرافه، فالطرف عادة هو ما سيصل بك إلى طريق إنقاذك من الجهل والاندثار. فالقراءة ارتقاء، والحروف عطاء، ولكي تجعل لك قيمة.. لا تنحنِ رغم أي ظروف، ولا تطأطئ رأسك لليأس، واغزل من الإصرار الأمل في الله قلائد من لؤلؤ، تتزين بها على مدى خطواتك.

د/ شاهندة الزيات



R إهـــــداء R

• R • R •

إلى تلك الهالة التي ظهرت فجأة في حياتي، فنزعت روحي بشعاعها البراق ثم ذهبت وتركت قلبي معلقًا بين السماء والأرض..





مدخل الرواية

إلى قرَّاء العالم أجمع..

لا تكونوا قارئين بأعينكم، إنما عيشوا بداخلها،

فهنا حياة تستحق أن تُعاش..

*   *   *

(1)

اليوم ميعاد طائرتي المتجهة إلى أمريكا، استيقظت اليوم مبكرًا، رتبت أموري وراجعت أعمالي مع "مي" السكرتيرة التي أتت إليّ في تمام السابعة صباحًا، وبعد أن أفطرنا معًا جاءت معي لتوصلني إلى المطار، وفى الطريق تناولنا الحديث في أمور عدة، وكان من ضمن ما حدثتني فيه، أنها كانت تطلب مني الاهتمام بحالي، وبتغذيتي وكأنها تحل محل والدتي التي توفيت منذ سبع سنوات.

وصلنا المطار وجلسنا في صالة الانتظار نتناول القهوة، تبقى على ميعاد الاقلاع عشر دقائق، وأثناء تصفحي بعض الذكريات على حاسبي المحمول نظرت مي إلى بعض الصور التي كانت تضم بعض الأصدقاء، منهم صديق لي كان على علاقة بمي، نظرت إليها حين ذاك وجدها مشتتة، لا أعلم أين هي الآن، فهي معي بجسدها ولكنى على يقين أنها ليست معي بعقلها.. أين ذهبتِ يا مي؟

أذهبتِ إلى ماضٍ جارح.. ماض مزق قلبك الضعيف أشلاءً.. سارحة في التفكير في إنسان لم يقدرك ولم يستطع أن يحبك قدر ما أحببته.. لستِ وحدك صديقتي فهذا الشخص قد خدعني قبل أن يجرؤ على خداعك، فقد تقرب مني كصديق ومنكِ كعاشق يستقبل الموت قبل أن يستقبل فراقك، كان مخادعًا بالقدر الذي يستحق عليه لقب ثعلب البشر.. لماذا ذهبتِ إلى الماضي، وإن كنتِ قد ذهبتِ بإرادتك فلماذا أخذتني معكِ إلى هناك، أنا لم أكن أنتو الذهاب هناك إلى هذا الماضي الأليم الذي خُدعت فيه قبل أن تُخدعي الذي يمزقني من الداخل بقدر ما

يمزقك فأنتِ قد فقدتِ حبيبك، وأنا فقدت نفسًا أوهمتني بأنها ستكمل معي مسيرة الحياة.

نعم، فحبيبك لم يرحل وحده بل أخذ معه أغلى ما أملك، أخذ حبيبتي الذي ظلت في رفقتي سنوات كثيرة وهذا ما يجعلني أتعجب منها كيف لها أن تستحمل قناع الخداع كل هذه المدة، وكيف لي أن أخدع بحبها كل تلك السنوات إذا كانت هي بارعة في الخداع فأنا ساذج لدرجة التغفيل.

كيف لي أن أنجح في عملي وأصل إلى هذه الدرجة التي وصلت إليها وأنا كنت فريسة سهلة، وإن كان الصياد ماهرًا.. أفاق كلانا على صوت إعلان ميعاد الإقلاع فوقفت مسرعًا أضع حاسبي المحمول في حقيبتي وهي تحمل حقيبة أخرى كانت بجانبي دون أن تطلق كلمة واحدة، سارت بجواري يفصل بيننا الحقيبة التي تحملها، ولكن مع ذلك – وبرغم المسافة بيننا – كانت أنفاسها المجروحة تصل إليّ فأنظر إليها لأجدها عادة إلى شرودها ولكن مازال لديها بقية من الاستيقاظ تستطيع أن تستكشف به الطريق.

وصلنا إلى بوابة العبور، وضعنا الحقائب والتفتت إليّ تودعني وتحثني مرة أخرى على الاهتمام بحالي، وأنا أجيبها بابتسامة، وهي أيضاً تودعني بابتسامة تحمل الكثير من المعاناة التي لم ترد أن تشعرني بها ولكنها لم تعلم أنني كنت مراقبًا لها منذ اللحظة الاولى في عالم الماضي، كنت مرافقًا لها حين ذاك، والآن أشاركها نفس المعاناة مع اختلاف الأشخاص.

كلانا كان ضحية للجرح والخداع المتقن، عشنا لحظات جميلة وإن كان قياسها في الواقع سنوات الا أننا لم نشعر بهم ألا لحظات استيقظنا



بعدها على ألم وجراح ظل معنا سنوات ولا نعلم إلى متى سيظل، ولكن مما أراه أتوقع أنّ وجوده سيكون أطول مما توقعت.

صعدت إلى طائرتي، وجلست على مقعدي أستمع الى بعض الأغاني، وقبل أن تقلع الطائرة بثوانٍ نظرت إلى المقعد المجاور لي فوجدته خالياً.. اعتقدت أن صاحب هذا المقعد لن يأتِ، فالطائرة ستقلع بعد لحظات، ولكن قبل أن أنهى تفكيري وتحليلي أتى صاحب المقعد، ها هي تقف أمامي امرأة جميله عيونها سماوية، وبشرتها بيضاء، وشعرها معقود مختبئ تحت الإيشارب، ها هي تجلس بجواري ورائحة عطرها يصل إلي يا لها من رائحة جميله....

جلست بجواري بوجهها العابس.. ما بال هذا اليوم وضع الحبر الاسود على كل الوجوه؟ ولكن ما الذي يحزن تلك الجميلة؟ أهي الاخرى كان لها رفيق هجرها أم ماذا؟ لا اعتقد ذلك فمن يقترب منها لن يبعد أبداً، ولكن الاحتمال الأكبر أنها غاضبة لأنها ستفارق بلدها وأهلها.. ربما يكون ذلك...

اعتدلت في جلستي أتابع سماع الموسيقى، ولمحتها هي الأخرى تخرج كتابًا من حقيبة يدها وسرعان ما اندمجت معه.. ثم غفوت بعد ذلك ولكني سرعان ما استيقظت على تنهدات، فنظرت إليها لأجدها تقرأ ودموعها تسيل على خدها.. فترددت لحظات قبل أن أحاول أن أحدثها:

- "لو سمحتى"؟

فنظرت إليّ مسرعة، فسألتها:

- "حضرتك بتبكي ليه"؟

فمسحت دموعها بيدها ثم ابتسمت ابتسامه شبه واضحة:

- "انا ببكى من تأثير القصة".

فابتسمت لها ناظرًا للكتاب الموضوع بين يديها.. هل هذا ما يبكيكِ حقاً أم أنه كان بمثابة عود كبريت أشعل ما بداخلك:

- "أنا يوسف"
- "يارا"
- "أهلاً بيكى أنتى مسافرة ليه"؟
- "قصة طويلة.. هقولهالك لو اتقابلنا مره تانية.. وانت"؟
- "انا مسافر اكمل دراستى في امريكا"

فوجدت عينيها تتسعان، لتسألني:

- "جامعة ايه"؟
- *"ستانفورد"*

فابتسمت وهي تلتفت إلى كتابها:

- "الظاهر اننا هنتقابل كتير".

اكتشفت من طريقة حديثها بأنها تخفى شيئًا، وتريده أن يظل مختبئاً، فلم أشأ أن أجعلها تعاني ممن تخاف معاناته، ولا أن أصر على سؤالي حتى لا يوقظ سؤالي ما بداخلها.. فطلبت منها إذا كان بإمكاني أن أستعير منها هذا الكتاب مدة مكثنا في الطائرة فوافقت وأعطتني الكتاب.

كان الكتاب بعنوان (شبح الذكريات)، الاسم وحده يكفي ليعيد أوجاع الماضي ويجسدها صورًا واقعية في الحاضر، ازدادت أنفاسي تدفقًا ووجعًا قبل حتى أن أفتح الكتاب، فإذا كان هذا ما يحدث في البداية، فماذا سيحدث بعد ذلك؟ فتحت الكتاب.. باب من أبواب الألم التي لن تغلق بعد ذلك بسهولة.. في حين أنها أغمضت عينيها لكي توهمني

بأنها ستنام، ولكني لا أصدق ذلك فهي تحاول أن تغلق باب الذكريات الذي فتحته أنا الآن.. لا تقلقي آنستي، سأنضم إليكِ قريباً، وربما سأتسلم منكِ الدموع عندما تودعينها أنتِ.

قضينا ساعات الطائرة، كل منا في عالمه الخاص، ولكن العامل المشترك بيننا هو الألم من تلك الرواية التي أشعلت بداخلنا نار الذكريات.

وصلنا الى مطار "فرانسيسكو" وعندما نهضت لآتي بحقيبتي من خزانة الطائرة التفت حولي فلم أجدها نهائياً، وكأنها لم تكن، ولكنها تركت لي ما يذكرني بوجودها، تركت لي تلك الرواية اللعينة التي تخلصت منها ببراعة متقنة.. نعم فتلك الرواية أقوى من الرصاص، بل أن أي شيءٍ يعيد إليك الذكريات هو أقوى من الرصاص فالرصاص يقتل في لحظة، أما الذكريات فإنها تقتلك ببطءٍ شديد..

هبطت من الطائرة واستلمت حقيبتي وركبت السيارة التي أرسلتها إليّ الشركة بعد ترحيب حار من السائق المصري، شاب مازال في حداثة عمره بزي السائق والقبعة (اليوني فورم الخاص بيه).. أخذ منى الحقائب ووضعها في السيارة، في حين فتحت أنا الباب الخلفي وجلست على المقعد، كل ذلك والرواية مازالت بيدي أنظر إليها لأتذكر بها صاحبة العيون السماوية تلك الإنسانة الهاربة من الكثير.. الخائفة من كل شيء في الحياة.. لم أتحدث معها ولكن باح لي الكتاب بالكثير من الأسرار التي تتعلق بها ووجدت قلمها قد ترك بصمته بكلمة جاءت في موقعها (إلى متى العذاب؟) بضع حروف ولكنها تعبر عن الكثير مما يتحمله القلب كل ذلك وأنا في الطريق كنت مقررًا أن أشاهد كل ما في

الطريق ولكن الآن السيارة تسير في طريق وتلك الجملة أخذتي إلى طريق آخر، أعلم بدايته ولكنى لا أعلم نهايته ولا أتمنى أن تكون نهايته جزء من بدايته..

لم أفق إلا عندما أخبرني السائق بأننا قد وصلنا، فنزلت من سيارتي وذهب هو ليخرج الحقائب وأخذها وسبقني وأنا أتبعه حتى وصلنا بالمصعد إلى الطابق السادس، شقة على اليمين ففتح السائق وطلب منى الدخول أولاً فتقدمت وكانت الشقة مرتبة جميلة لا ينقصها شيء مما أريد.. صالون وتلفاز مبهران ثم دخل خلفي واتجه إلى غرفة وعندما تابعته وجده دخل غرفة النوم كان بها سرير وكوميدينو وكان الديكور رائعاً ملائماً للغرفة لونها سادة نحاسي بذهبي فوضع ما بيده داخل الغرفة وسألني إذا ما كنت أريد شيئًا آخر فشكرته على ذلك وسألته أين سيذهب الآن فأخبرني بأنه سيذهب للشركة فطلبت منه أن ينتظرني حتى أستحم وأبدل ملابسي لأذهب معه الى الشركة.. فدخلت لأستحم بعد أن طلبت منه أن يحضر لنا كوبين من العصير وبعد أن انتهيت من الاستحمام خرجت وأخرجت ملابسي من الحقيبة واخترت ما يلائمني قميص أبيض وبنطال جينس ثم شربنا العصير وسبقني هو إلى الخارج وأنا خلفه.

قاد السيارة وأنا معه ولكن الآن استطعت أن أنظر إلى ما حولي وأن أتمتع بالمناظر والمباني الجميلة لأني قد تركت الرواية في الشقة موضوعة على سريري.

اتجهت الى الشركة واستقبلني مدير الشركة وصديق العائلة الأستاذ ناصر، بحفاوة وترحاب.. أرسلني أخي إليه لأتعلم منه وأزداد خبرة

لأتمكن فيما بعد من إدارة جميع الشركات بإتقان، وبعد حديث معه اطمئن فيه على حالي وحال العائلة نهض من على مكتبه بعد أن شربنا القهوة ودعاني للعشاء.. فرافقته إلى مطعم شرقي وتناولنا معاً وجبة كنت بحاجة إليها، ثم أخبرني بمكان جامعتي وأنه سيأتي لي بسيارة ولكني رفضت ذلك وأخبرته بأني أفضل الذهاب إلى الجامعة بالطريقة التي تجعلني فيها أمارس السير والتعرف أكثر على البلد بتقاليدها ومعتقداتها مع أنى أتوقع أنه ليس في هذه البلد تقاليد تحكمها.. فمن سماعي عنه هي دوله تؤمن بالحريات.

وفي اليوم التالي، استيقظت مبكراً واخترت ملابسي بعناية كي تلائم كل منهما الآخر، ووضعت حقيبتي على ذراع واحد وخرجت من المنزل أسير في حي المال أنظر إلى كل ما حولي، لفت انتباهي الزهور الجميلة التي تزين الحي بجمالها مع أنها موضوعه في محل كبير نسبياً والبعض منها مرصوص بالخارج يزين الواجهة.. وبرغم من صغر المحل وقلة الورود التي يضمها وإن اختلف أنواعها وألوانها فهي تضيف الجمال إلى الحي بأزهارها وتمايلها بخفة.. ألقيت التحية على صاحبها بابتسامة فحياني هو الآخر بيده مبتسماً.. استكملت طريقي أنظر الى ما حولي، وما يقابلني حتى وصلت إلى محطة المترو وسمعت العزف على يد فناني الشوارع المقيمين في ممرات المترو فوقفت ثوان أتابع معزوفته على الجيتار ويا لها من معزوفة جميلة لأحدهما الواقف أمام قبعته الموضوعة على الارض يوجد في محتواها بعض المال.. يعزف مبتسماً حتى أن من يراه يؤمن بسعادته.. فحييته أنا الآخر ببعض المال الذي أعطاني إياه ناصر بجانب الكريديت كارت ثم

تابعت السير حتى رصيف المترو.. فأخذت أسير ذهاباً وإياباً أنظر الى ما حولي من تصميم وغير ذلك، وفى أثناء ذلك وجدت قبضة قوية تمسك بي فالتفت مسرعاً إليه لأجده ضابط شرطة متوسط الجسم يطلب منى الذهاب معه فأخبرته بأنني لم أفعل شيئًا، ولكنه أصر على مرافقته بهدوء فوافقت على ذلك وسرت معه إلى غرفة صغيرة يوجد بها مكتب يجلس على كرسيه أحد الضباط، سمين الجسد يطلب منى الجلوس فجلست وخرج من كان برفقتي فخرج من على مكتبه واتجه نحوي وهو يسألني من أين انا؟ وما هو سبب تواجدي هنا؟ وسر الذهاب والعودة على الرصيف؟

فأخبرته بأنني اتيت لأدرس في جامعة ستانفورد وسبب الذهاب والعودة أنني أول مرة آتي فيها إلى هنا فكانت لدى الرغبة في رؤية كل شيء يتعلق ببلدكم الرائعة، فسألني إن كان هناك ما يثبت أنني طالب في الجامعة؟ فأخبرته بأن رفاقه أخذو مني كل شيء مع عند تفتيشي بالخارج.. فجلس على مكتبه وحدث أحدهم على اللاسلكي فدخل ضابط الرصيف وهو يمسك بيده هاتفي ومحفظتي وبطاقة الإثبات الجامعية، فأخذهم منه بعد أن أخبره الآخر بصحة تلك الأشياء وأنه قام بالتأكد منها فأعطانا الثمين حاجتي معتذراً ومتمنياً لي أوقاتًا سعيدة في أمريكا والبعد عن أي مشاكل هنا فالقانون هنا لا يرحم.

فأخذت منه متعلقاتي وانصرفت بعد إشارته بالانصراف، وصعدت مره أخرى إلى الرصيف وتابعت ما كنت أفعله من الذهاب والعودة على الرصيف، أحاول إيجاد الكاميرات الموجودة مع النظر إلى الجالسين من أجناس مختلفة يظهر ذلك لاختلاف ملاحهم حتى أتى

المترو فصعدت اليه أتابع من خلاله مرور المحطات حتى وصلت إلى محطتي.. فنزلت إليها أتابع السير بالخريطة التي رسمها لي الأستاذ ناصر على دفتره حتى وصلت إلى بوابة الجامعة وأخرجت بطاقة إثباتي حتى أصبحت بالداخل وسط هؤلاء الطلبة بوجههم المميزة التي تخبرني بأن هذا المكان هو المكان الأفضل لتلقى العلم.. فتواجد هؤلاء بملامحهم المجتهدة الممتلئة بالمعلومات والمعاني تجعلني أصدق ذلك وكتبهم الجالسة على عرش أيديهم تشير إلى وتخبرني بأنها تعتلى القمة هنا وليس هناك سلطة تعلوا سلطتها وأن وجد فهي ستظل تحتل الصدارة هنا.. فهي تطلب منى احترامها وعدم محاولة التقليل من شأنها وتحذرني من فعل شيء يخالف ذلك، وظلت الكتب تحدثني وهي ترافقني بيد أصحابها حتى وصلت الى المدرج بمساعدة لوحة الإرشادات الضوئية ففتحت باب المدرج على هؤلاء الجالسين في صمت يستمعون إلى شرح الدكتور في اهتمام.

شاب في الأربعين من عمره يرتدي نظارة بيضاء فوق قميصه الأبيض على الجسد النحيل، جلست على حافة المدرج منضماً بذلك إلى حلقات المستمعين حتى انتهت المحاضرة فامتلأت الممرات بالطلبة الذاهبين للخارج، كل ذلك وأنا جالس مكاني أتابع مرورهم بجواري دون حراك ولكن لم أبق على هذا الحال طويلاً، فلقد انتفض قلبي وحدقت عيني لما رأيت ما جعلني أزداد تصلباً حتى اشتعل نار النشاط بجسدي..

هل هي فعلاً أم أنني أحلم، أو ربما تكون شبيهًا لها، استدرت مسرعًا فوجدها تسير في آخر الممر تستقبل باب الخروج، نعم إنها هي،



أخبرني قلبي بذلك في النظرة الأخيرة لها.. هي صاحبة العيون السماوية والجسد المتناسق المرسوم، رفيقة الطائرة.. نعم هي، فنهضت من مكاني مهرولاً أحاول اللحاق بها مروراً بالزحام ساكن الممرات حتى خرجت فالتفت محاولاً العثور عليها ولكن لم أجد لها أثراً فاتجهت إلى السلالم بدون وعى أنزل درجات السلم بأقصى سرعة ممكنة كالهارب من الموت ولكن في حقيقة الأمر كنت من يستقبل الموت راضياً، بل إني أريد ذلك بكل ما أوتيت من قواي القلبية.

استمررت في البحث حتى انتهى بي الامر خارج مبنى الجامعة، أمام ممر عريض يتوسط مساحتين شاسعتين يكسوهما النباتات الخضراء، يزينها بعض الورود التي تتشكل وسط النباتات وبعض الأشجار المنتشرة، كيف لي أن أجدها هنا وسط هؤلاء.. استيقظ يا قلبي وابحث عنها فأنا الآن في أمس الحاجة إليك، وبالفعل استجاب القلب وحدقت العين مجبرة في زاوية ما اتجاهها مباشرةً، ها هس هناك، اتجهت إليها مسرعاً وبسبب تهوري صدمت بأحدهم، فوقع منه الكتب فالتفت مسرعاً أعتذر له وعند التفاتي لم أجدها.....

أين هي يا قلبي؟ حدثني وأخبرني أين هي الآن؟ أخبرني عن مكانها لأعيد إليها اللعنة التي تركتها معي وتحرمني النوم.. تركت معي ذكرى مؤلمة أحاول دائماً نسيانها، سؤالي إليك يا نفسي لماذا تكذبين؟ فأنت لا تريدين أن تقابليها لتعيدي إليها الكتاب، ما هو السبب إذاً الذي يدفعك لتحريكي والبحث عنها؟ وأنت يا قلبي لماذا تريد لقائها هل سيريحك هذا أم أنك ستظل تعاني؟

لا أعرف سر ارتباطك بها والنبض لها ومحاولة التقرب منها، وأن

أكون أنا بينكم مجبراً ليس لدي أي اختيار ولا اعلم لما كل هذا ونحن لم نتحدث معها كثيراً؟ ولم نر منها سوى نظرات حزن استقرت في كتابها.. لا أعلم سر الرغبة الملحة في لقائها وأخاف جداً من مدى هذا اللقاء.. فهي أنثى تريد أن تحيي بما تبقى لها من نبض مجروح لمحاولة مثلى نسيان الماضي والقائه خلفها ولكن الذكريات تأبى التخفي وتعلن دائماً العصيان.. هذا ما يحدث معي فهل يحدث معها هي الأخرى؟ أعتقد بأن المجروحين جميعاً مشتركون في هذا الامر.

عدت الى منزلي مرهقاً، أحمل التفكير فوق عاتقي، وضعت حقيبتي وبدلت ملابسي، واتجهت إلى الشركة هرباً من هذا التفكير المؤلم.. فلم أجد الأستاذ ناصر هناك فجلست في مكتبي، غرفه صغيرة جهزت من أجلى وطلبت فنجان قهوة أتى بها شاب ووضعها على مكتبي بعد أن ألقى التحية، تحدثت مع السكرتيرة في التكتافون وطلبت منها أن تأتي إلي ببعض الملفات، وبالفعل جاءت الشقراء وبيدها ثلاثة ملفات وضعتها أمامي ثم خرجت، ففتح أحدها محاولاً التركيز محارباً التشويش وإرهاق التفكير القائمين برأسي، وبعد لحظات وبعد أن مرت بضع صفحات لا أعلم محتواهم.. دخل على الاستاذ ناصر مسرعاً منزعجاً وسحب الملف من أمامي وحمل بقية الملفات فاستعدت الوعي وأنا انظر إليه في تساؤل فأجابني دون سؤال.. أنه لا يجب على طلب أي ملفات دون إذن منه وكانت لهجته لهجة مدير يخاطب عامل قد ارتكب خطئًا فادحًا.. ثم هدأ بعد ذلك وتحولت نبراته الى أخوية وهو يخبرني بأنني لا يجب أن أطلع على أي ملفات إلا بعد التدريب وبعد أن أصل إلى درجة من التدريب تمكنني من معرفة العمل وإدراك ما

تحتويه الملفات وطبيعة العمل التي نفسر على أساسها كل ما يحدث في الشركة لأن أي شيء خاطئ قد يتسبب في مشاكل كثيرة للعمل ويضر بالشركة، فاعتذرت له مع أني لا أعلم على أي شيء أعتذر، فهذه شركتي، وأنا من الناجحين في عملي، ولست تلميذاً في هذا العمل، بل إن لي شأنًا وخبرة في هذا العمل قد تفوق خبرته هو.. خبرة وادارك الامور تمكنني من فعل أشياء كثيرة.. ليس معنى أنني طلبت من أخي أن أكون موظفاً زائراً في شركتي أنني ما زلت في بداية الطريق.. بل طلبت ذلك لأستطيع التفرغ والتركيز في دراستي.

نهضت من على مكتبي وكان ناصر قد سبقني في الخروج بعد أن ألقى درسه الممتزج بالقسوة والخوف على مصلحة الشركة.. خرجت ولا أعلم ماذا أفعل، وعند خروجي من مكتبي وجدت شابًا في مثل سني تقريباً بل أكثر من ذلك فهو نفس الشاب الذي صدمت به اليوم بالجامعة.. ماذا يفعل هنا؟ إنه متجه إليّ مباشرة، ماذا يريد مني وما الذي أتى به هنا من الاساس؟ فحاولت الاختباء منه فأنا الآن لست في حالة جيدة تسمح لي بالتعارف والتساؤلات الكثيرة، سيكون لقاءنا الاول جزء منها ولكن عندما استدرت لمكتبي سمعت صوتًا ينادى:

- "مستر يوسف"

فاستدرت فوجدته يقترب منى يمد يده ليصافحني، فصافحته

- "انا جاك اعمل موظف هنا".

- "وانا يوسف"

فقاطعني قائلاً:

- "اعرف ذلك فلقد أخبرني مستر ناصر عنك".

- "وبماذا أخبرك مستر ناصر"؟

- "أخبرني بأنك أتيت حديثاً إلى أمريكا، وأنك تعمل معنا هنا في الشركة وأخبرني ايضاً بأنك تدرس في جامعة ستانفورد هل هذا صحيح"؟

- "نعم. صحيح".

فصافحني مرة أخرى وهو يخبرني:

- "وأنا أيضاً ادرس في نفس الجامعة فابتسمت أنا الاخر لأنني تذكرت مقابلتنا الاولى".

- "نعم اعلم ذلك".

- "هل أخبرك مستر ناصر بذلك"؟

- "لا ولكننا التقينا قبل ذلك"

فأبتعد بعينه محاولاً التذكر:

- "لا اعتقد ذلك فأنا لم ألتقِ بك من قبل، فأنا لا اتذكرك".

- "بل التقينا....."

- "متى"؟

- "اليوم في الجامعة ولكن لم يكن لقاء مرحب به"

- "كيف هذا"؟

- "اليوم اصطدمت بك في ساحة الجامعة"

- "كان أنت"؟!

- "نعم.. أعتذر على ذلك".

- "لا بل أنا من عليه الاعتذار، فأنا كنت مسرعاً ومشتتاً ولم أنتبه لما حولي ولم تسمح لي الفرصة حين ذاك للاعتذار لأنك ذهبت



مسرعاً.. ولكن كيف تذكرتني برغم أننا لم نتحدث ولم أستطع حينها أن أراك جيداً؟ فكيف عرفتني إذن"؟

حدثتني نفسي قائلة: كيف لا أتذكرك وأنت كنت من ضمن العراقيل التي منعت وصولي إليها.. نعم لم أراك حينها ولكن بعد أن رحلت نظرت إليك لألعنك على ما حدث والذي لم يكن لك ذنب فيه

- "أستاذ يوسف"

فأعدت إليه مسرعاً أمد إليه يدي:

- "مرحباً بك تشرفت وسعدت بلقائك".

فصافحني قائلاً:

- "أنا أيضاً سعيد جداً بلقائك"

- "استأذنك"

- "الى أين"؟

- "أنا متعب اليوم وسأذهب لأستريح".

- "ولكن هل حصلت على إذن من المدير"؟

- "نعم حصلت عليه من قبل.. استأذنك".

- "تفضل".

فسرت بجواره ذاهباً إلى ما تأخذني إليه قدمي، وبعد بضع خطوات استدرت اليه

- "جاك"

فتوقف والتفت إلى وعاد خطواته:

- "نعم"؟

- "هل تعرف مكاناً أستطيع الذهاب إليه ولكن ليكن هادئاً"؟

فابتسم إليّ:

- "نعم، أعرف الكثير. فهنا يوجد الكثير من الكافيهات والنوادي الرائعة"

واخرج من جيبه كارت وأعطاني إياه بعد أن وصف لي المكان وكيف اذهب الى هناك فشكرته على ذلك ثم ذهبت الى هناك.. وعندما أخرجت الكارنيه للأمن رحب بي، وطلب مني الدخول بوجه بشوش.. فتوغلت في الداخل لا لأن أبحث عن مكان فارغ بل لأبحث عن مكان يناسبني.. مكان أرتاح الجلوس فيه فالنادي حين ذاك لم يكن به الكثير بل يكاد يكون فارغاً إلا من عاملي النادي والزهور الجميلة المنتشرة في كل الارجاء.

اخترت مكاناً هناك أمام تلك المياه الهادئة.. لعلها تغمرني بهدوئها وتطفئ إعصاري، فجلست على مقعد يحتوي أربعة مقاعد وأمامي طاولة نظيفة جميلة بالزخرفة المنقوشة عليها، فجلست على كرسي مودع الحياة.. تعود إلي الذكريات مع كل حركة أسكن فيها ظهر مقعدي، فغفوت أفكر فيما حدث وماذا سيحدث بعد ذلك، وما هو سبب رغبتي الملحة في رؤية تلك الفتاة؟ وكيف لها أن تُرسم أمامي دون استئذان أو سابق إنذار مشتت بينها وبين حبيبتي؟ بل جارحتي، ومعذبتي؟ كيف يندمج كلاهما ويظهر أمامي كل منهما؟ كيف يحدث هذا؟ بل لماذا يحدث هذا؟ أنا لم أعد أفهم شيئًا مما يحدث حولي.

جئت من مصر للدراسة والعمل وحتى الان لم أنتبه لأي منهما، أعلم بأنه لم يمر الكثير من الوقت ولكن أخشى أن يدوم الحال الذي أنا فيه طويلاً.. لا أريد ذلك لا أريد أن أظل ضحية باكيًا.. فدموعي عندما

تسيل لا تجد من يوقفها لا أريد ذلك فأنا قد تعذبت كثيراً ولست أتحمل المزيد من العذاب.. ماذا أفعل وكيف أهرب مما أنا فيه، أم أنه مصير مقدر لي؟ وقبل ان أنهى حديثي مع نفسي استيقظت على صوت حنون:

– "لو سمحت"؟

ففتحت عيني ببطء شديد محاولاً العودة إلى عالم الواقع الذي تركت فيه جسدي، وعندما استطعت فعل ذلك وتمكنت عيني من الرؤية وجدت أمامي فتاة رائعة الجمال ممشوقة وطويلة القوام تظهر خصلاتها الصفراء وهى مستلقية على ظهرها بتلك الثياب الشبه عارية كل ذلك من لحظة.. نعم استطاعت العين رؤية كل ذلك من النظرة الاولى! مع تساؤل متكرر في صمت: من تكونين؟

– "هاى انا روجينا"

- "هاى"

- "انت تعجبنى كثيراً"

- "لم أسمع برغم ما سمعت"

- "نعم"؟

- "اخبرتك بأنك تعجبني كثيراً وأريد الجلوس معك"

فأشرت اليها على المقعد المجاور بعد نظرة خاطفة على ما حولي من الجالسين في المكان والمنتشرين على حمام السباحة من الاطفال وغيرهم ممن أرى بعدهم فقط، لا اعلم متى أتى كل هؤلاء ومدى استغرق وجودي في مقعدي، جلست بجواري أخرجت سيجارتها وعرضتها علي فرفضها فأعادتها مره أخرى إلى علبتها ثم اقتربت بكرسيها بجواري ملتصقة بي

- "اسمك ايه"؟

- "يوسف"

- "يوسف.. أنت لست أمريكيًا أليس كذلك؟ ملامحك تدل على ذلك"؟

- "نعم انا مصري"

- "رائع فأنا أحب مصر والمصرين.. ولكن ماذا تفعل هنا في أمريكا"؟

- "انا هنا للدراسة والعمل"

- "انا روجينا.. اعمل مصممة ملابس"

اعلم ذلك فلقد أخبرتني ملابسك بذلك قبل أن تخبريني، فلقد أخبرني بذلك الجزءان الصغيران اللذان ترتدينهما بجانب الحذاء، لم تكتف بالحديث ولا التصاق بي، ارتعد جسدي وشعرت بتيار كهربي يسير في جسدي عندما احسست بأناملها تلامس يدي وتداعبها فاشتعلت النار بجسدي بتلك اللمسات الممتلئة إحساس وإثارة.. أخذت تقترب منى بشفتيها أكثر فأكثر وتظهر حركاتها وكأنها تريد أن تمتصني، أن تتذوق وتروي شفتي.. كل ذلك وأنا غير مصدق ما يحدث فلامست شفتيها بشفتي، فأحسست برعشة في جسدي ثم انتفضت مسرعاً عندما ظهرت أمامي صاحبة العيون السماوية متخذا طريقي مسرعاً إلى شقتي حتى وصلت الى سريري فاستلقيت عليه دون أن أبدل حتى ملابسي، أخذت تقاوم عيني التي تريد أن تغفو ذاكرتي التي تحاربني لتذكرني بالشقراء وهل هذا حلم أم أنه حقيقة ملموسة فأنا حتى الآن أشعر بلمساتها تسير في جسدي الذي يعلن تعطشه للمزيد.

غفوت ولكنى لم أستطع التعمق في النوم.. استيقظت على جرس شقتي فنهضت وذهبت لأفتح الباب وبقايا النوم التي مازالت تسكن عيني، وعندما فتحت الباب تعجبت فاتسعت عيناي:

– "ما الذي أتى بكى الى هنا وكيف عرفت المكان"؟

-"أخبرني الأمن بأنك صديق جاك فأخذت منهم العنوان".

تركت الباب مفتوحاً واتجهت للداخل لأغسل وجهي وأثناء ذلك سمعت صوت إغلاق الباب، وعندما خرجت وجدتها تقف أمامي نصف عارية وعندما اقتربت منها استقبلتني بقبلة نارية لم أتذوق حلاوتها من قبل، فاستغلت شفتاي تلك الفرصة التي كانت تبحث عنها وأخذت تستطعم تلك الفاكهة التي لم تتذوق مثلها من قبل، التصقت شفتاي بشفتيها وأخذ كل منهما يستطعم الآخر ثم اشترك الجسدان في تلك الثورة التي أعلنتها النشوة.. فاستلقينا على الأريكة ولم أشعر بشيء بعدها فلقد اخذتني إلى عالم لم أتعمق فيه من قبل وإن كنت قد زرت أبوابه مع حبيبتي الراحلة.

افقت على أريكتي أنظر اليها وهي تلملم ثيابها وترتديها وفوقهم سترة قصيرة وتمد يدها الي فتحركت يدي إليها ببطء فانحنت على لتيقظني بقبلة أخرى ظلت بضع ثوان:

- "انهض وارتد ثيابك"

- "لماذا"؟

- "ستأتي معي"

- "الى أين"؟

- "سنستكمل سهرتنا".

- "أين"؟

- "ستعرف"

- "لا أريد الذهاب، فلنستكملها هنا معاً فأنا لم اكتفِ بعد"

فابتسمت

- "اليوم أنا لك سنخرج ثم نعود مرة أخرى"

فاعتدلت في جلستي وأخذت أقبل شفتيها حتى اعتدلت وهي تجذبني معها حتى وافقت واتجهت إلى غرفتي.. بدلت ملابسي ووضعت بعض الماء على وجهي وسرحت شعري كانت هي قد فتحت الباب منتظرة قدومي.. فخرجت وأشرت إليها بأنها أولاً.. فخرجت وتابعتها بعد أن اغلقت الباب ثم خرجنا وصعدت معها إلى سيارتها الحمراء المكشوفة الواقفة أمام باب العمارة مباشرة، أخذتني معها إلى مكان به الكثير من الإضاءة المحيطة باسم المكان الموجود أعلى باب يقف على كل جانب شخص ضخم الجسد والعضلات البارزة (بودى جارد) لحقت بها إلى الداخل بعد أن تلقيت دفعة خوف من هؤلاء حراس المكان.. نفذت من الباب الى ممر بدايته علاقات بدائية مع صوت الموسيقى الصاخبة.. كان هذا هو المنظر العام للممر وبعد ذلك وصلت إلى ساحة المكان أرى الكثير من رواد المحل الجالسين والراقصين على الاستيتج والنساء المأجورات يتجولن في المكان بملابسهن وحركاتهن المصطنعة، محاولين جذب الانتباه وإثارة الرجال.. وكانت هذه أول مرة لي في مثل هذا المكان، لم أكن يوماً من رواده ولا محبيه، بل كنت من أكثر الكارهين لمثل هذه الأماكن.

ووسط كل هذا وجدتها تجذب يدي متجهة بي إلى البار وأشارت



إلى صانع الخمر فأتى اليها بكوبين أعطتني واحداً، فلم أفكر كثيراً بل أنني لم أفكر على الاطلاق فلقد جذبت الكوب من يدها الى فمي مباشرة.. كأس خلف كأس حتى احسست بنوبة من السعادة والرغبة في الرقص فتركتها وذهبت وسط الراقصين أتمايل كما يتمايلون، أرقص مع واحده تلوى الأخرى مستمتعاً بجمالهن والأثارة التي تعلنها أجسادهن الفائرة، أخذت أرقص وأرقص حتى أتت وجذبتني بقوة من يد إحداهن متجهة بي إلى جانب الاستيتج وهي تتمايل معي تحاول مجاراتي التي لا أعلم مصدرها ومالت بخفة الى أذني لتخبرني:

- "من اين كل هذا"؟

فأجابتها وأنا على حالي:

- "لقد أخرجتِ الشيطان الذي كان بداخلي"

مر الوقت بعدها، لا أعلم كيف مر وكيف وصلت إلى منزلي ونمت على سريري وكيف استيقظت صباحاً عارياً.. استمررت على هذا الحال قرابة الشهر، في الصباح أذهب معها إلى ورشتها وأساعدها في اختيار الثياب المناسبة لكل "مودلز" والتحضير معها للفوز بالمسابقة التي اشتركت بها.. أخبرتها بأنها ستفوز لا محالة فثيابها رائعة لائقة على المودلز ولكنها أخبرتني بأن هذه المسابقة تضم الكثير من المصممين البارعين العالمين وذكرت لي بعض الاسماء، ولكنى لا أتذكرها لأني لم أكن يوماً مهتماً بهذا المجال.

مر شهر على وصولي، ولكن حتى الآن لم أشعر إلا باليوم الأول الذي يأتيني من الحين للآخر، ولكنه سرعان ما يختفي عند رؤية روجينا، شهر أتيت فيه بسيارة، أنفقت فيه الكثير من المال الذي كان

يحوله لي ناصر وكان يزيد ما يحوله من يوم لآخر دون طلب كالعالم بحالي وأنني الآن بحاجة إلى هذا المال لأتمتع به....

* * *



(2)

استيقظت على رنين جرس الشقة المتكرر فذهبت لأعرف من بالباب، كنت أسير بجسد متعب لا يحسن السير في مثل هذه الحالات، وعين لم تر النوم وعندما فتحت الباب وجدت فتاة جميلة بوجه مبتسم

– "نعم"

- "انت يوسف"؟

نطقتها باللغة العربية

- "نعم أنا يوسف.. من تكوني أنتِ"؟

- "انا رقية ويا ريت تكلمنى عربى"

أفقت من لغتي الانجليزية محاولاً تذكر لغتي المصرية

- "بعتذر لان بقالى فترة كبيرة مابتكلمش مصرى"

- "عارفه"

فنظرت إليها متعجباً من أين عرفت

- "أي خدمة"؟

- "انا زميلتك فى الكلية وعايزة اتكلم معاك"

- "اهلاً.. بس ممكن نتكلم وقت تانى لانى زى ما انتى شايفه تعبان وعايز انام"

- "لا مش هينفع.. انا بقالى فترة بجيلك ومش بلقاك موجود"

فأشرت إليها بالدخول:

- "طيب اتفضلى نتكلم جوه"

- "لا ادخل انت البس وانا هستناك تحت"

- "تستنينى تحت! ليه هو احنا هنروح فين"؟

- "الكلية"

- "دلوقتى؟؟ ليه هى الساعه كام"؟

- "الساعة سبعة"

- "سبعة! يعنى انا منمتش الا ساعة؟ طيب ما نأجلها"؟

- "معلش تعالى على نفسك النهارده"

فابتسمت ابتسامة أنستني نومي.. من تلك الفتاة العجيبة السلسة في حديثها؟ فابتسمت انا الآخر:

- "حاضر.. ممكن تتفضلى لحد ما أغير هدومى واشرب اى حاجة تفوقنى"

- "لا انا هستناك تحت.. غير هدومك وانا هعزمك هناك على نسكافيه"

- "اوك"

فنزلت هي ودخلت أنا تحت الدش وعقلي يسأل ماذا تريد تلك الفتاة؟ وبعد أن انتهيت من الاستحمام خرجت وارتديت ملابسي وخرجت في عجالة من أمري وجدتها واقفة أمام العمارة فاتجهت مباشرة إليها فنظرت إليها وهي تعقد حاجبيها:

- "معاكي عربية"؟

- "لا"

- "طيب ياللا انا عربيتى هناك اهي"

- "لا ولا انت هتركب"، تعجبت من كلماتها، فسألتها

- "أمال عايزانا نعمل ايه"؟



- "هنروح نركب المترو"

فابتسمت ابتسامة عريضة ووافقت دون تردد لأني كنت راغباً في ذلك.

- "ياللا بينا...."

سرنا معاً، انظر إليها بين الحين والآخر ولم نتحدث إلا عندما وصلنا إلى المترو وقطعت لي تذكرة

- "اؤمرينى عايزه ايه"؟

– "الامر لله وحده.. انا مش عايزة حاجة.. انت اللى عايز"

- "انا"؟!

- "ايوه انت"

- "وانا محتاج ايه بقى"؟!

- "محتاج مساعدتى"

- "وحضرتك تقدرى تساعدينى ف ايه"؟

- "فى حاجات كتير"

فنظرت إليها عندما توقف عن الحديث لوصول المترو وعندما توقف تقدمت لأركب وجدها توقفني:

- "استنى"

- "ليه"؟

- "السيدات أولاً"

فأشرت لها بالدخول مبتسماً

- "اتفضلى"

فركبت ثم ركبت من بعدها، لم نتحدث أثناء سير المترو مع أننا كنا



جالسين بجوار بعضنا وعندما اقتربنا من المحطة وقفنا بجانب الباب ثم نزلنا نتابع السير كل ذلك وأنا في انتظار حديثها ولكنها لم تتحدث وكانت تسير بجانبي وكأنها تسير بمفردها، وقفت عند بائع الخبز المستيقظ مبكراً واشترت لنفسها قطعة خبز ثم نظرت إلى وأشارت للبائع بإحضار قطعة أخرى فأخذتهما والتفت إلي نتابع السير بعد أن دفعت الثمن وتحدثت وعزمت على بأحدهما:

- "خد"

- "خد! لا. شكراً"

- "خد مش هعزم عليك تانى"

ثم نظرت إليها وأخذت منها الخبز

- "قوليلى بقى عايزه ايه"؟

- "ببساطة يا استاذ يوسف......."

- "ايوه"؟

- "انا مضطرة انى اكون معاك يعنى مش هجيلك الصبح كده علشان جمال عيونك" في عقلي: (ايه البت دى؟ هى جايه تصحينى علشان تهزقنى)

- "امال تاعبه نفسك وجيالى بدرى ليه"؟

- "علشان انت فى فريقى"

- "فريقك! وفريق ايه ده بقى"؟

- "انا وانت فى مجموعه واحدة ومطلوب مننا نعمل بحث للدكتور/ جو" رددت غاضبًا:

- "انتى ازاى تدخلينى معاكى من غير ما تقوليلى"؟



- "ماتتعصبش عليا.. مش انا اللى دخلتك معايا انا لو عليه مكنتش ابداً اختارك"

- "ليه بقى ان شاء الله"؟

- "انا متفوقه مش زيك فاشلة"

- "هو انتى جايه تصحينى علشان تهزقينى"

- "مش علشان اهزقك بس، علشان اعرفك انى مش هقبل انى اكون فاشلة"

- "وانا اعمل لسعادتك ايه"؟

- "انت لازم تذاكر وتقرأ معايا شوية كتب علشان نعمل البحث"

- "لا انا مفيش دماغ لكده.. شوفى حد تانى"

- "يا ريت كان ينفع مكنتش جتلك اصلاً"

- "ينفع مينفعش انا مش فاضى"

- "ووراك ايه؟ كل صبح نايم وبليل فى النوادى والكباريهات تبدل فى البنات زى الجزم والشرابات"؟

- "وانتى مالك...."؟!

بعدها هدأت من ثورتي بعد أن علقت معي كلمتها وسألتها:

- "اشمعنا الجزم والشرابات"؟

- "علشان دول اللى يومين وريحتهم تنتن"

فضحكت ضحكة صغيرة ثم تابعت معركتي:

- "ايوه يا ستى انا كده، وانا مسألتكيش عن رأيك"؟

فوجدت وجهها العابث يطلب مني الرحمة:

- "معلش، انا مقصدش اتنرفز عليكى بس انا بجد مش هقدر"



وسردت لها بعضًا من قصتي دون إرادة:

- "انا اول ما جيت كان نفسى اكون كده.. متفوق زى ما انتى بتقولي، بس للاسف مقدرتش اكون...."

فوجدتها انتفضت في مكانها

- "قول ماشي وانا اخليك متفوق"

- "ازاى بس معدش ينفع"؟

- "وافق بس وملكش دعوه انا هخلينى وراك لحد ما هخليك تذاكر.. وافق بقى" ابتسمت لها:

- "خلاص انا موافق"

- "ايوه كده"

وصلنا حينها إلى الجامعة فدخلنا واتجهنا إلى الكافتيريا وطلبنا القهوة، واستكملنا حديثنا:

- "انتى عرفتى الكلام ده منين"؟

- "كلام ايه"؟

- "موضوع البنات والكافتيريا الل بقعد فيها"؟

فوجدتها تضع ما بيدها وتنظر إلى في تساؤل:

- "انت شوفتنى قبل كده"؟

- "لا"

- "فكر كويس ممكن تفتكر"؟

فتمعنت فيها أكثر

- "... لا مش فاكر

- "انا بقى شوفتك كتير"



- "فين..."؟!

- "انت كنت قاعد امبارح فى كافتريا امبارح الساعه 12، وكان معاك بنت طويله وبيضه.. صح"؟!

- "ايوه"

فسكتت للحظات ثم أجابتني

- "انا شغاله هناك"

فنظرت إليها متعجباً، ليس لأنها تعمل هناك، بل لأني لم أرها هناك وأنا كثير الذهاب إلى هذا المكان، فسألتها:

- "انتى بتتكلمى جد"؟

- "ايوه"

- "بس انا مشوفتكيش قبل كده هناك"

- "لا. شوفتنى كتير"

- "انا بقولك مشوفتكيش"

- "وانا بقولك شوفتنى"

- "ايه اللى خلاكى متأكده للدرجة دى"؟

هدأت بنبرات صوتها"

- "لان انا الى كنت بقدملكم الطلبات"

فحدقت بعينى غير مصدق، كيف ذلك وأنا لم ألتفت لها يوماً ولم تلفت انتباهي؟ لا بل لأني كنت معظم الوقت سكرانًا، مخدر العقل والنظر والاحساس، كنت دمية في يد النساء، فنظرت إليها بعين تخشى مواجهة عينيها:

- "بعتذر انى مخدتش بالى منك".

فابتسمت:

- "ولا يهمك بس من النهاردة هتاخد بالك صح"؟

فابتسمت

- "لا من النهارده مش هروح هناك"

- "ليه بقى كده؟ يعنى انا بقولك علشان متجيش؟ ده لو المدير عرف هيطردني"

- "ليه"؟

- "لانى طفشت زبون، ومش أي زبون"؟

- "لا انا هاجى بس هاجى علشان اعزمك على حاجة"

فابتسمت

- "بس انا طلباتى غالية"

- "ولا يهمك يعنى هيكون ايه؟ انتى اخرك سندوتشات وعصائر"

فضحكت ضحكة عالية لم أسمعها من قبل

- "ماشى ماشى.. انت لما تعزمنى هخليك تفلس علشان ماتكررهاش تانى"

- "وانا موافق"

لا أعلم سر العفوية في حديثي معها بها وكأني أعرفها من قبل، أعتقد بأن أسلوبها السلس يجعلها تسكن القلوب في أوقات قصيرة جداً، فنظرت في ساعتها ثم نهضت:

- "ياللا علشان المحاضرة هتبتدى"

فأشارت للجرسون:

- "روحى انتى وانا هروح"

فانكمش وجهها غضبًا:



- "احنا مش اتفقنا"؟!

- "ايوه بس خليها من بكره"

- "لا من النهارده.. من دلوقتى"

أتى الجرسون فدفعت الحساب، فجذبتني من يدي:

- "ياللا بقى علشان منتأخرش"

فاستسلمت لها وذهبت معها إلى المحاضرة، دخلنا قاعة المحاضرة وكانت شبه ممتلئة، وما زال الطلاب مستمرين في الحضور، فأشارت إليّ رقية بالجلوس في أحد المدرجات:

- "يوسف"

- "نعم"؟

- "اقعد فى البينج اللى هناك ده" وكانت تشير إلى منتصف القاعة

- "اوك"

فوصلت الى المكان المطلوب وكان يجلس به بعض الطلبة، فأشرت إليها بالدخول ولكنها رفضت وأصرت أن أكون أنا بالداخل، فاستجبت لها وأزحت نفسي للداخل دون طرح مزيد من الاسئلة، فجلست ووضعت حقيبتها بجانبها وأخرجت منها كتاب وقلم وأعطتني إياه، فتسلمته منها وأخذت أقلب في صفحاته حتى ساد الصمت في المكان ومن بعده صوت يأتي من الأمام:

-"Hello"

فحييته مع الجميع

- "Hello sir"

كان دكتور متوسط الجسد تظهر من أسفل النظارة ملامح مرور

الزمن عليه.. فملامحه تعطي له أكثر من خمسين عاماً ولكنه مازال محتفظًا ببعض لياقته وقوام جسده. وضع الكتب على المكتب وبدء الشرح.. تارة يسير وأخرى يجلس، كل ذلك وأنا أقلب في صفحات الكتاب محاولاً إيجاد مكان الشرح.. ولكن كل محاولاتي بائت بالفشل، فنظرت الى تلك الفتاة التي سرعان ما اندمجت مع الكتاب.. فحاولت ايقاظها لتجيبني عن سؤالي وتعود من بعدها إلى حيث تشاء:

- "رقية"؟

فنظرت إليّ مسرعة، وهي تجيب بعصبيه

- "نعم عايز ايه"؟

- "انا مش لاقى الصفح الل الدكتور بيشرحها"

- "فضحكت ضحكة عالية"

- "دا مش الكتاب أصلاً يا فالح"

- "نعم! طيب ادتيهونى ليه"؟

- "اهى حاجة تلهيك علشان متزهقش"

- "خلاص خلينى ابص معاكى ف الكتاب"

وكأن للنظر في الكتاب طقوس يجب اتباعها، وإن لم تفعل لن تستمتع بحروفه، فأزاحت كتابها تجاهي:

- "بص واسكت علشان اسمع"

فنظرت إلى الكتاب بعد نظرة استغراب لتلك الفتاة التي تعاملني هكذا رغم أن صداقتنا لم توثق بعد، نظرت إلى يديها التي تسير إلى كلمات أسمع ترجمتها من الدكتور كنت لأول مره أشعر فيها بأهمية الكتاب.. فلقد ابتسم لي لأول مرة منذ ان أتيت إلى هنا وشجعتني



ابتسامته على الاستمرار وتنفيذ ما وعدت به تلك الفتاة.

انتهت المحاضرة، ونهض الجميع للخروج.. فالتفت انا الاخر الى رقية، أعطيها الكتاب والقلم وأنا أشعر بالراحة لأن اليوم الدراسي قد انتهى، قد مر وسأتمكن أخيراً من الذهاب للمنزل وتعويض النوم الذي فقدته اليوم.....

- "ياه.. أخيراً هروح انام..."

- "تروح فين؟ لسه فى محاضرة كمان"

آلمني هذا الخبر كثيراً.. فأنا متعب وعيني تحارب النوم لإبعاده وجسدي لن يتحمل الاستمرار ووسط حديثنا سمعت صوت يأتي من يميني:

- "يوسف"

حدقت عيني وانفرجت شفتاي مبتسمة.. أستدير إلى الصوت ببطء غير متعمد ولكن رغبة في امتزاج حروفي بين شفتيها لتنطق اسمي مره أخرى.. نظرت إلى مصدر الصوت وكانت دهشتي المتوقعة.. نعم إنها هي صاحبة العيون السماوية تنظر الى وتحدثني، وليس هذا فقط بل أخيراً وبعد طول انتظار رأيت ابتسامتها.

فأجبتها مبتسماً قلباً وقالباً:

- "نعم"

- "فينك مبتحضرش ليه"؟

- "ظروف.. بس خلاص من دلوقتى مفيش ظروف"

- "يعنى هتبدأ تحضر" أجبتها مبتسمًا:

- "أكيد"

- "معلش ملحقتش اتكلم معاك فى الطيارة ومشيت بسرعة.. وللاسف نسيت الرواية معاك، ممكن تجيبها....؟ يوسف.. يوسف...." فانتبهت لها مسرعاً

- "انتى كده احسن من غيرها"؟

- "ازاى يعنى"!

- "يعنى انتى دلوقتى مبتسمه حاسة الابتسامة؟ صح"؟

- "صح".

- "معاها مكنتيش هتحسى الاحساس ده"

- "ليه"؟

قاطعتنا رقية:

- "مش وقته، ياللا نروح الكافتيريا علشان انا ميتة من الجوع"

فرمقتها باستغراب.. أولاً لحديثها معها، وهذا يدل على معرفتها بها، وثانياً لرغبتها في الأكل بهذه السرعة:

- "متبصليش كده.. الل احنا كلناه ده كان تصبيره"

- "تصبيره"!

- "أيوه.. عندك مانع"؟

- "لا خالص! ايوه هو كان تصبيره حتى انا لسه صابر لحد دلوقتى"

- "هزر هزر.. ياللا يا بنتي سيبك منه وتعالى نروح احنا"

فنهض كلاهما وخرجت رقية ووقفت تطلب مني

- "لو سمحت"

- "نعم"



- "عديها...."

فنظرت إليّ يارا بوجهها البشوش.. والتفتت مرة أخرى إلى رقية:

- "انتى بتصدقى؟ ده انا ميت من الجوع"

فرمقتني بنظرة مبهمة:

- "طيب ياللا.. بس العزومة عليك"

- "وانا موافق"

فذهبنا جميعاً غير مصدق بأنني أسير معها جنباً إلى جنب، لا يمكنني تصديق بأنني أحدثها، يمكنني النظر إليها متى أشاء.. لا أصدق أبداً كل ذلك وأخاف أن يكون كل ذلك مجرد حلم.

ذهبنا إلى الكافتيريا وطلب كل منا ما يريد.. كانت هي تجلس أمامي أو بالأدق تأخرت في السير لأجلس أمامها، لم أشعر الا بأنفاسها التي صارت رفيقتي منذ الطائرة.. لم أنتبه لشيء الا لصوت دقات قلبي التي أزعجها صوت رقية:

- "يوسف"

- "ها.... نعم"؟، سألت يارا

- "مبتكلش ليه"؟

- "هاكل اهو"، فقالت رقية:

- "ياللا بسرعه علشان نقوم"

- "ليه"؟ فأجابت رقية:

- "علشان المحاضرة هتبدأ كمان خمس دقايق"

- "طيب خدى كلى انتى فى الخمس دقايق دول.. بس تسكتى" فقالت رقية:

- "لا مش هقدر.. كل انت واخلص"

- "طيب مش هنشرب حاجة"؟

فالتفت أشير للجرسون ولكنها أوقفتني"

- "يا بنى انت كنت نايم"؟

- "احنا شربنا والفراولة بتاعتك قدامك اهي"

- "بس انا مبحبش الفراولة"، فسألتني رقية:

- "أمال طلبتها ليه"؟

فوقعت عيني على ما تبقى ف الكؤوس وحينها عرفت سبب طلبي الفراولة التي لا تطيقني وهو أن يارا طلبت الفراولة ولكنني، لم أتذكر بأنني طلبت فراولة.. ماذا يحدث لي، نهضت يارا مسرعة، وقالت:

- "ياللا المحاضرة هتبدأ"

فنهضت رقية قائلة:

- "كل وتعالى"

- "اوكي"

فنهضت خلفهم مباشرةً دون أن أتناول أي شيء، وطلبت الجرسون الذى أتى بالشيك ودفعت الحساب فتابعتهم وأخذت مكاني بينهما في المحاضرة، وأثناء المحاضرة أخرجت رقية الكتاب مرة أخرى وأزاحته تجاهي وأشارت إليّ للنظر معها، فحركت رأسي نافياً:

- "لا مش هبص معاكى.. انا هبص مع يارا"

فنظرت إليّ نظرة تسأل فأجابتها بابتسامة ثم نظرت إلى يارا

- "ممكن ابص معاكى"؟

فأجابتني بابتسامة وهي تزيح الكتاب تجاهي



- "اكيد"

فنظرت معها الى الكتاب وكانت مختلفة عن رقية، فهي لم تكن تشير بيدها بل كانت تتابع الكلمات بعينيها، وهذا ما جعل لي مبررًا للنظر الى عينيها بين الحين والآخر بحجة أنني فقدت الكلمات، وأريد من عينيها أن ترشداني إلى الكلمات وأستغل ذلك لإطالة النظر الى عينيها ثم إلى الكتاب مسرعاً عندما تلمحني عيناها، واستمررت على هذا الحال مدة المحاضرة التي لم أستوعب منها شيئًا، وبعد الشرح التفتت لتسألني:

- "ايه رأيك ف شرح الدكتور جو"؟

فأجبتها دون ان أعرف من هو الدكتور جو لا ملامحه ولا شرحه

- "جميل"

فنظرت رقية إليّ وهي تسألني وتخبرني عيناها بأنها لم تصدق إجابتي:

- "يعنى فهمت"؟

- "اكيد"

- "فهمت ايه بقى"؟

- "اللى اتشرح"

- "ايوه اللي هو ايه"؟

- "بعدين هقولك"

فقاطعت يارا الحديث الممتلئ بالكذب من تجاهي والسخرية من تجاه رقية:

- "استأذنكم"

فالتفت إليها مسرعاً

- "ليه ما كلنا هنروح مع بعض"، فأجابت يارا

- "لا انا مش مروحه"، فردت رقية:

- "اوكي"

فأجابت وهي تستعد للذهاب من الاتجاه الآخر

- "سلام.. أشوفكم بكرة"، فردت عليها رقية:

- "سلام"

فذهبت يارا وعيناي تلاحقاها حتى نبهتني رقية:

- "ياللا بينا احنا كمان"؟

- "ياللا لانى تعبان وعايز اروح انام"

- "تنام ايه؟ احنا مش هنروح"

فنظرت إليها محدقاً غاضباً

- "ليه؟ ما هى المحاضرات خلصت"

فأشارت لطالب كان يسير ف الممر بجانب رقية

- "لو سمحت"؟

فتوقف، وأجابني:

- "نعم"

- "مش المحاضرات خلصت"

فأجابني الطالب

- "نعم"

- "شكراً"

فذهب الطالب ونظرت إلى رقية مبتسماً



- "شوفتى بقى علشان تتأكدى"؟
- "اتأكد من ايه؟ هو انا قولتلك غير كده"؟
- "امال انتى مش عايزانا نروح ليه"؟
- "علشان البحث يا ذكى"
- "ومال البحث ومال وجودنا هنا"؟

فظهرت عليها علامات الاستياء

- "يادى الغباء.. يا بنى هنروح المكتبه"

فتزحزحت متجنب شرار عينيها وابتسمت ابتسامة رضا:

- "المكتبة..... مش تقولى كده من بدرى"؟
- "ادينى قولت.. ياللا"
- "هو احنا مش ممكن نأجلها ليوم تانى"؟
- "لا.. احنا اتفقنا وياللا بقى علشان نلحق"
- "ماشى ياللا بينا"

فنهضت وخرجت وأنا خلفها أشعر بالأسى على حالي وقبل أن ندخل المكتبة سألتها

- "رقية"
- "نعم"
- "هو احنا بنجرى كده ليه"؟
- "علشان نلحق"

فقاطعتها

- "ايوه انا كنت عايز اسأل على دى.. هو احنا هنلحق ايه"؟

فنظرت إليّ وهي تجيبني بنظرة تجاهل ولا مبالاة:



- "دلوقتى هتعرف"

فتابعنا السير وأنا أفكر في سر سرعتنا ولهفتها على الوصول ولكن سرعان ما اكتشفت السر وأجابني الواقع عند اول خطوة داخل المكتبة، فلقد كانت مزدحمة جداً أكثر مما كنت أتوقع أن تعج بالكثير من القراء المتطلعين.

تفقدنا المكتبة لنرى اذا كان هناك مكانًا للجلوس أم لا، ولكننا لم نجد سوى مقعد واحد فارغ على مائدة القراءة.. فنظرت إلي وهى تخرج زفير غضبها قبل أن تنطق بعصبية:

- "شوفت.. عجبك كده.. كل ده بسببك"

- "سببى انا.... ليه"؟!

- "ما انت الل اخرتنا.. هنعمل ايه دلوقتى بقى"؟

- "ثوانى"

فأسرعت للخارج لإحضار كرسي لفت انتباهي أثناء الدخول.. فأتيت لها بالكرسي

- "اتفضلى"

فنظرت إلي بطرف عينيها

- "جبته منين"؟

- "من بره"

- "من بره"!

- "انا لمحت صاحبه رايح الحمام"

- "هههههههههههه هو احنا ف مصر"؟

- "طبع بقى هنقول ايه"



- "طيب وانت"؟

- "انا هقف لحد ما نلاقى مكان"

- "يبقى هتقف كتير.. شيل الكرسى ووديه هناك"

أشارت إلى مكان في نهاية مائدة القراءة، وبالفعل نفذت ما طلبته في أثناء ذهابها إلى رفوف المكتبة، واستعارت من المكتبة بعض الكتب ووضعتهم على المائدة وجلست وعيناها تعلنان تعطشهما لتناول ما في الكتب من أشهى الأطعمة.. وأخذت تتناول أول كتاب وأنا أقف متصلباً بجانب الكرسي، فتركت طعامها ثواني لتنظر إلى وتنهرني فكيف لي الوقوف جائعاً والمائدة أمامي؟

- "انت هتفضل واقف كده"؟

- "عايزانى اعمل ايه"؟

فأزاحت كتاب تجاهي

- "اقرأ ف الكتاب ده"

- "هاتى"

فأخذت منها الكتاب وفتحته أمامي وأخذت أقرأ فيه، منحنٍ إليه كمن يعهد له بالولاء والطاعة، انقضت ساعات البحث جلست خلالهم على مقعد قد فرغ ف الثواني الأخيرة عندما ذهب صاحبه بعد تناول وجبه ثمينة.. اعترف بأنني لم أقضِ مثل هذا الوقت من قبل وكنت سرعان ما أشعر بالملل إذا انفردت بكتابي، ولكن هنا والان الوضع مختلف فأنا لا أشعر بتعب الكتاب بل أنني شعرت بمحتواه، وأنا أتناوله صفحة صفحة.. قضيت ساعات لم أشعر بهم.. استفدت خلالهم كثيراً، أريد أن أشكرها على تلك الساعات الممتعة ولكني لن أفعل ذلك الآن.

ذهبت بعد ذلك إلى المنزل بعد أن أخذت منها بعض الكتب ووعدتها بأنني سأذهب إلى الجامعة في اليوم التالي..

وصلت إلى منزلي في تمام الثامنة مساءاً بعد عشاء عزمتني عليه رقية، وصلت إلى الشارع الذي أسكن فيه ولكنني وقفت فجأة عندما لحظت سيارة روجينا تقف أمام بابي.

فتجنبت وسط الطريق إلى جانب أحد الأبنية، ووقفت على بُعد خطوات أفكر.. كيف لي أن أتفادى تلك المرأة؟ وأثناء انتظاري وتفكيري وجدتها تخرج من العمارة تحمل حقيبة يدها وتتحدث ف الهاتف ويبدو عليها الانزعاج.. ركبت سيارتها وانطلقت مسرعة.. فشعرت حينها بالاطمئنان، سرت إلى شقتي مرتاح البال ولأول مره أصل إلى تلك الراحة وأنا مستيقظ، وضعت الكتب فوق مكتبتي ثم ألقيت بجسدي على السرير مستسلماً للنوم الذي افتقدته طيلة اليوم.

نمت وتعمقت في النوم، وفي اليوم التالي استيقظت على منبه عقلي التي لم تغفل مؤشراته عن التأرجح، واستيقظت ولم أكتفِ بعد من النوم ولكني مع ذلك قد حصلت على قسط يجعلني أتابع اليوم دون تعب، مددت يدي بكسل ألتقط الهاتف من على الوسادة، نظرت إلى شاشته وجدتها مٌغلقة.. وبعد محاولات عديدة أيقنت بأنه قد فرغ من الشحن فنهضت من على سريري ووصلته بالشاحن، وأخرجت ساعتي من الدرج.. أنظر إليها لتفاجئني بأن الوقت قد مر بي والآن الساعة التاسعة.. اتسعت عيناي ودب النشاط بجسدي وأسرعت إلى الحمام لأستحم ثم بدلت ملابسي واتجهت مباشرةً إلى الجامعة، وصلت وقد فاتتني المحاضرة الاولى وربما يكون اليوم الدراسي قد انتهى، أسرعت

إلى قاعة المحاضرات ولكني لم أجد أحداً.. فذهبت الى الكافتيريا ولكنهم ليسوا هناك أيضاً وبحثت كثيراً في ساحة الجامعة ولكن ليس لهم أثر في أي مكان.

تملكني اليأس وقررت العودة إلى المنزل.. نفسي تعاتبني على تأخري وعدم الوفاء بالعهد الذي قطعته على نفسى.. فأنا قد بحثت كثيراً ولكنى لم أجدهم، وأثناء ذهابي ووصولي إلى بوابة الجامعة، تذكرت أنني لم أبحث ف مكان هام جداً وأخذت طريقي مسرعاً إلى المكان المعهود، واليقين بداخلي أنني إن لم أجدهم هناك فلن أجدهم فأي مكان آخر في الجامعة، أسرعت حتى وصلت إلى المكان المقدس لهم والذى زرته بالأمس وحصلت على جزء من نفحاته انه المكان الذى يفضله الجميع والذى أتأسف على حال المصرين لأنهم يفقدون تلك المتعة التي تفوق أي متعة أخرى.... فمن أراد أن يحيا أكثر من حياة فعليه بتعدد الكتب، وصلت إلى المكتبة وأخذت أبحث بعيني في كل أركان المكتبة وأنا أمعن النظر في هؤلاء الجالسين على مقاعدهم مُصطفين حول المائدة.. حتى انى لم أترك هذا الكرسي الفارغ وأخذت أبحث عن صاحبه حتى رأيت شاب طويل القامة يرتدى نظارة وينظر إلى الكتب المرصوصة فوق الرفوف وبعد البحث والتدقيق وبعد أن فقدت الامل من إيجاد أي منهما اتجهت مباشرة للخروج وفي طريق للخروج اصطدمت بيارا التي سبقتني في الحديث:

- "ايه انت رايح فين"؟
- "كنت بدور على رقية.. مشوفتيهاش"؟
- "ايوه كانت معايا.. انا سيباها هنا"

- "امتى"؟

- "من دقيقتين"

- "امال راحت فين"؟

فتقدمت للداخل

- "تعالى نشوفها تانى"؟

فاتجهت خلفها ثم توقفنا أول المائدة ونظرت هي في اتجاه ما في حين أخذت عيني مسارها تُعيد ما كانت تفعله من البحث مرة أخرى:

- "رقية هناك اهي"

فنظرت إليها مسرعاً:

- "فين"؟

فأشارت بيدها تجاه الكرسي الفارغ ولكنه لم يعد فارغاً، فرقية تجلس عليه تدفن عينيها في إحدى صفحات الكتب الموضوع بين يديها فاتجهت إليها ووقفت بجوارها محاولاً لفت انتباها وامتصاص غضبها.

- "كتاب ايه ده"؟

فنظرت إلي ثم تبدلت نظراتها إلى غضب وهى تصيح في:

- "انت محضرتش ليه"؟

- "راحت عليا نومة"؟

- "يعنى هو ده الوعد يا يوسف"؟

- "خلاص مش هتتكرر تانى"

- "مش مصدقاك"

فابتسمت إليها

- "لا صدقى، ولو حصل تانى احرمينى من المصروف"



فابتسمت هي الأخرى:

- "ماشى يا يوسف"

فنهضت من على مقعدها:

- "استنى هنا"

- "رايحه فين"؟

- "هجيبلك كتاب تقرأ فيه"

فتقدمت خطوتين إلى الأمام حين أوقفتها:

- "رقية"

- "نعم"

- "يارا فين"؟

فأشارت بأصبعها

- "هناك اهي"

فنظرت لأجدها تقف أمام الرفوف تطلع على الكتب وبجانبها شاب لم أحدد ملامحه بعد فذهبت رقية ثم أتت وبيدها كتب.. كل ذلك وأنا أنظر إلى يارا وهذا الشاب الذي أثار الفوضى بداخلي بملامحه المتناثرة التي أحاول تجميعها.. فهذا الملامح صادفتني من قبل ولكن حتى الآن لا أذكر من هو صاحبها.. جلست رقية بجوارها ووضعت الكتب أمامها قبل أن تحدثني:

- "يوسف"

- "نعم"

- "الكتب اهى.. شوف الاسهل بالنسبه لك وابدأ فيه"

فأجبتها دون التفات:



- "حاضر"

فنظرت إليّ ثم إلى مسار عيني وسرعان ما دفنت نفسها في الكتاب.. فأخذت طريقي إلى يارا ورفيقها، فأوقفتني همسات صوت رقية:

- "يوسف"

فالتفت اليها

- "رايح فين"؟

- "هنا"

ثم استكملت طريقي إليهم وعندما اقتربت منهم ثقلت أناملي فأصبحت أسير وقدمي ترتجف ليس خوفاً ولكن اضطراباً في نبضات قلبي.. كنت على بعد خطوة واحد وأنا أنطق اسمها

- "يارا"

فالتفت كلاهما إلي.. وسرعان ما تبسم رفيقها إلي وهو يقبل على مرحباً:

- "مسيو يوسف"

لفظ اسمى وهو يمد يده لمصافحتي.. فصافحته

- "أهلاً يا ....."

- "جاك ألا تتذكرني"؟

فتوقف لساني قبل أن أجيبه نافياً:

- "عذراً فأنا لا أتذكرك"

- "انا جاك"

فرددتها خلفه لعلي أتذكر ويكون اسمه هو الخيط الأخير الذى



أفقده:

- "جاك"؟

- "نعم جاك، صديقك في العمل"

نطقها فاستعدت بنطقها ذاكرتي المشوشة وتجمعت ملامحه:

نعم تذكرته.. فهذا هو جاك الذى قابلته أول يوم في شركتي.. ابتسمت إليه مرحباً ومددت يدى لأصافحه:

- "جاك.. اهلاً جاك.. اخبارك ايه"؟

- "انا بخير.. كيف حالك انت.. ولماذا لم تأتِ للعمل في الايام الماضية"؟

- "ظروف"

- "سعيد انك بخير"

فالتفت إليّ يارا التي كانت تصغى إلى حديثنا المطول.. نظرت إليها لأجد على وجهها الكثير من علامات الاستغراب التي تعلو جبينها.. ولكن جاك سحب عينيها وهو ينطق اسمها بإشارة إلي:

- "اعرفك بيارا"

فابتسمت وأنا أرحب بها:

- "اهلاً يارا"

فابتسمت

- "اهلاً استاذ يوسف"

فاستكمل جاك يعرفني بيارا:

- "يوسف موظف في نفس شركتنا"

فحدقت عيناها إلي وهي تسألني:

- "بجد"؟

فترددت في إجابتي، فأنا لا أصدق بأنها تعمل معي في الشركة التي انقطعت عنها أكثر من شهر.. يا ليتني كنت أدرك ذلك من قبل ماكنت انقطعت حينها أبداً:

- "مش عارف"

فأجابها جاك:

- "نعم يعمل معنا ولكنه لم يعمل كثيراً"

فالتفتت عيني إليه فتابع حديثه:

- "أدعوك لحفله ف منزلي"

- "متى"؟

- "غداً.. أرجو أن تأتي

ففكرت ثوان قبل أن يجيب عني حديثه إلى يارا:

- "سأنتظرك أنتِ أيضاً"

فأشارت الموافقة برأسها وفي تلك الاثناء لا اعلم ما الذي استدعى عيني ووجها اتجاه رقية التي عُلقت عيناها معنا والتي ابتسمت لابتسامتي.. فالتفت إلي جاك مرة أخرى:

- "جاك"

فأخرج عينيه من كتابه

- "نعم"

- "هو انا ممكن اجيب صديقه معايا.."؟ فأجاب مرحباً

- "بالتأكيد"

فرمقتني يارا بعينيها قبل أن أعلن انسحابي:



- "استأذنكم"

- "إلى أين"؟

- "سأذهب لاستكمل قراءتي"

- "ولكنك لم تحصل على العنوان بعد"؟

فأجابت يارا عني

- "سأخبره به"

رد جاك:

- "اوك"

فتقدمت للذهاب

- "الى اللقاء" رد جاك:

- "سأكون في انتظارك"

فابتسمت لهم ولعين يارا قبل أن أرحل:

- "اكيد"

ذهبت إلى رقية التي نظرت إلى الكتاب مسرعةً عندما اقتربت منها:

- "رقية"

فرفعت عينيها من الكتاب وصوبتهما نحوي:

- "نعم"

- "حضرى نفسك والبسى احلى حاجة عندك"

فأجابتني باستغراب:

- "ليه"؟

- "مدعوين لحفل جاك"

فأجابتني وهي تنظر إلى الكتاب هرباً:

- "معلش مش هقدر"

- "ليه"؟

- "علشان الحفل بالليل.. وانت عارف ان ده الشفت بتاعى"

- "خدى اجازه"

فأغلقت الكتاب وهي تنظر إليّ:

- "انا مش زيك...."

- "بمعنى"؟

- "انت ليك اللى بيصرف عليك علشان كده مش حاسس بحاجة اما انا....."

سكتت بعدها.. فتحدثت معها وعلامات الاستفهام والغضب تعلو جبيني

- "انتى ايه"؟

- "مفيش يا يوسف؟"

فارتفع صوتي:

- "لا في، ولازم اعرف انتى تقصدى ايه بالكلام ده"

نهضت وهي تنطقها بضيق نفس قد أغضبني:

- "مفيش"

ذهبت لتعيد الكتاب ثم اتجهت مباشرة للخارج.. فتابعتها بعد نظرة مؤلمة أرسلها لي قلبي، خرجت من المكتبة إلى الممر تسير بهرولة محاولة التهرب من مواجهتي، لم يوقفها سوء صوتي المضطرب الذى نطق اسمها بهرولة فثبتت مكانها فأسرعت إليها ووقفت أمامها أنظر

إلى عينيها الحزينتين:

- "انا عايز اعرف"

- "تعرف ايه"؟

- "انتى تقصدى ايه بالكلام ده"

- "مقصدش ياحاجة"

فثرت غاضباً:

- "لا تقصدى وانا عايز اعرف دلوقتى انتى تقصدى ايه.. تقصدى انى فاشل عايش زى عدمى صح قولى صح...."

فتحدثت معها بحدة أكثر...

- "قولى"

فنظرت إليّ لثوانٍ قبل أن تغلق فمي بحديثها المر:

- "ايوه صح.. انت فاشل متعرفش فى حياتك غير السكر والنسوان.. انا بكره امثالك لما يكونوا فى مكان زى ده.. انت عارف ليه؟ لان ده مكان الناس اللي عايزه تنجح، الناس المؤمنة بأهمية العلم ووجود امثالك هنا بينجسه".

ترددت تلك الكلمة في عقلي كثيراً ولم أجد لها مخرجًا:

ذهبت إلى منزلي، أسير في الشوارع دون وعي. أفكر في هذه الكلمات التي فجرتها رقية والتي أحدثت طعنة ظاهرة في تفكيري.. هل أنا فعلاً بكل هذا السوء الذي تحدثت به.. هل وصلت لتلك الدرجة التي تحرم عليّ دخول الأماكن المقدسة للعلم.

لا أعترف بأنني فاشل ولا أؤيد تلك الكلمة على الاطلاق.. فأنا ناجح في عملي وإذا أردت أن أحقق النجاح في أي شيء سأحققه..



تضحك على من؟ أنت الآن مصدر الفشل.. أي نجاح تفتخر به، النجاح لا يعني تحقيقه في العمل فقط.. بل لابد للنجاح الشخصي الملازم لك في كل نواحي حياتك، في تصرفاتك وأسلوبك.

عدت إلى منزلي مصاباً مطعوناً بكلماتها المؤلمة.. لا أعلم متى وكيف تكون لديها كل هذا، فأنا لم أفعل شيئًا لها ولم أتجاوز حتى في حديثي، متى تراكم لديها كل هذا وما الاسباب التي جعلتها تفعل ذلك؟ أنا من يوم أن قابلتها وأنا مُقلع عن كل هذا، وصلت إلى فراشي ووضعت رأسي على وسادتي التي أصبحت متحجرة، أخذت أتنفس أنفاساً متسارعة، أحاول أن أستدعي النوم بها.. أريد أن أغط في نوم عميق ينتشلني من هذا التفكير المر، وبالفعل لم أشعر بنفسي إلا بسماع دقات الباب المتكررة.

نهضت بعين لم تشهد النوم بعد واتجهت لأفتح الباب وشيء بداخلي يصور لي روجينا أو أحد رفيقاتي المشتعلات القادرات على إخراجي من الحالة التي سكنتني، فتحت الباب محدقاً غير مصدق ما رأيت.. فتاة جميلة بثياب أنيقة تبرز جمال جسدها المختبئ، وزادها جمالاً تلك الابتسامة التي اعلنتها لتبدأ بها الكلام.

- "انت لسه ملبستش"؟

- "البس! البس ازاى بعد اللى انتى قولتيه؟ انتى بكلامك عرتينى"، فضمت شفتيها واختنقت عيناها:

- "انا اسفه"

فابتسمت ساخراً

- "اسفه.. اسفه على ايه؟ هو انتى قولتى حاجة غلط"؟



فتحدثت باختناق وعيني تكاد أن تدمع:

- "انا اسفه يا يوسف"

- "وانا مش هقبل اسفك..لانك ماقولتيش حاجة غلط.. كل الل قولتيه صح.. كان لازم هيجى يوم وحد هيقولهولى"

- "بس ميكنش الحد ده انا"

- "بالعكس لازم تكونى انتى.. لان مش اى حد هيصارحنى بحقيقتى.. انتى عارفه ليه"؟

فأجابتني بثقل حروف حزينة"

- "ليه"؟

- "لانهم عايزنى كده.. عايزنى افضل فاشل علشان يقدروا هما ينجحوا...."

فصمت قليلاً قبل أن انطق اسمها بحروف مقطعة:

- "رقية"

- "نعم"

- "شكراً"

- "على ايه"؟

- "على الحقيقه اللى جات قبل فوات الاوان".

- "يعنى نويت تتغير"؟

- "انا من النهارده هتغير.. بس مش دلوقتى"

- "ليه"؟

فابتسمت وأنا أحدق في تفاصيلها وأشير إليها بيدي:

- "علشان مضيعش التكاليف دى كلها على الفاضى"

فابتسمت

- "الصراحة هي مكلفة"

طلبت منها انتظاري بالداخل حتى أبدل ملابسي ولكنها رفضت وأخبرتني بأنها ستنتظرني بالأسفل، دخلت استحممت وبدلت ملابسي وخرجت إليها ألتفت يميناً ويساراً ولكني لم أجدها، ولم أعثر عليها إلا حين فتحت باب سيارة حمراء فاستدعتني وهي تشير إلي بيدها، فذهبت إليها وقبل أن أسألها عن السيارة رأيت يارا تجلس على مقود السيارة فحييتها بابتسامة أصابتها، ثم عادت إليّ مرة أخرى..

وصلنا إلى منزل جاك وكان به الكثير من المدعوين، به الكثير من أصدقاء الجامعة، توغلت في الحفلة أبحث بعيني عن جاك بين الحاضرين، أسير وبجانبي رقية تطوقني كطفلة تخشى الإفلات وتختبئ في طلوعي متجنبة عيون الناظرين.. فمن يعرفها لم يعتاد منها هذا ولم يرى جمالها مثلما رآها اليوم.. كانت يارا قد تركتنا عندما أمسكت صديقتها بيدها وأخذت تحيها بكأس تم رفضه.

أخذت أحيي بعض الأصدقاء الذين تعرفت عليهم خلال حضوري وأثناء ترددي على المكتبة، ولم يوقفني سوى الصدمة التي جعلتني أتصلب في مكاني.. رأيت ما لم أتوقع رؤيته ما جعلني أنزع يدي من يد رقية، اتجهت إليهم بقدم لم ترتجف لحظة وابتسامة رسُمت رغم وجعي.. كانا يقفان في آخر الصالون

يقبلها على كتفها العاري.. شعرت بأنها مجرد قبلة اعتيادية روتينية بين الناس، تقدمت إليهم، كنت على بعد خطوات حين انتبه لي وهو يفرغ من قبلته التي أثارت شخص كان بجوارهم ينظر إلى عريها



يغتصب جسدها دون تلامس، انتفض مكانه وهو ينطق اسمى:

- "يوسف....."!!

ففزعت هي الأخرى تنظر إليّ بعيون قاتلة تناقد عيون الخوف التي أراها فيه.. التفتت سريعاً إلى هذا الشخص الذي يقف بجانبهم وأعطته كأساً فارغاً كان بيدها وطلبت منه إحضار آخر.. فأسرع لينفذ ما طُلب منه دون تردد يذكر..

اقتربت منهم أكثر حتى أصبحت على بعد قدم منهم، فسبقني بالحديث بكلمات مرتجفة:

- "متتهورش يا يوسف.. احنا في مكان عام"

فالتفتت بعيني قبل أن أجيب وأنا أضحك ساخراً:

-" لا، انت تقصد تقول اننا فى مكان خاص بس وسط فئات عامة.. أكيد في هنا اصحاب شركات ومستثمرين كبار ورجال دولة.. تخاف انهم يعرفوا الحقيقة.. صح"؟ فصمت خوفاً وهو يراقب الحاضرين ليتأكد بأنهم منشغلون عنا.

- "انا عارف إن انا غلطان"

فهززت رأسي وأنا أستمع ليه والى حروفه التي تخبرني بخوفه من الحاضرين وأنه يفعل ذلك ليتجنب غضبهم التي قد يتسبب في طردهم من تلك الجنة التي يعيشونها بخداعهم وكذبهم وتسلق بعد دراجات الثراء بسبب تغفيلهم.. استكمل حديثه وعينه تراقب الحاضرين:

- "شوف انت عايز ايه وانا اعملهولك"

فعقدت حاجباي:

- "غلطان! غلطان ليه.. اه تقصد يعنى على الكام مليون الى ادتهم

وفوقيهم الـ....." وأنا أشير إليها بعيني:

- "المازمازيل".

فنطق وهو يلهث:

- "هرجعهملك واللى انت عايزه كله هعملهولك"

- "يااااه، بالسهولة دي؟ دا انت اكيد وقعت على حاجة اكبر"؟

فقاطعت هي حديثنا:

- "دا شيء ميخصكش.. قالك هيرجعلك فلوسك.. عايز ايه تانى"؟

- "عايزك انتى...."

فتنهدت متعجبة

- "ليه هو انت لسه بتحبنى"؟

فضحكت بصوت عالي وأنا أجيبها:

- "لا انتى فهمتينى غلط، ده انا كنت عايزك علشان ارميكى فى سلة الزبالة بره... ياحرام السلة فاضيه مع ان فى زبالة كتير"، فكتمت فمهما غاضبة ثم كادت أن تثور إلا أنه لحقها وأغلق فمها بيده:

- "يوسف"

فأجبته ببرود شديد:

- "نعم"؟

- "ملهوش لزمه الكلام ده.. انا قولتلك الل انت عايزه انا هعمله"

- "اوكي.. تكتبلى شيك دلوقتى بالمبلغ"

- "دلوقتى"؟!

- "ايوه دلوقتى"

- "خلاص قبل ما تطلع من هنا الشيك هيكون معاك"

- "اوكي.. see you"

فنظر كلاهما إلي بكره وكأنهما يلعناني بأعينهم:

استدرت لأجد رقية ما زالت واقفة في مكانها وعلامات الاستفهام تعلو جبينها، اتجهت اليها وجذبتها من يدها إلى حلقة الراقصين، وفي أثناء ذلك لمحت ناصر وهو يدير رأسه عنى وكأنه يريد ألا أراه كما شعرت حينها أنه يوبخه وهذا من حركات يده التي يصنعها أمام وجه جاك الذي ينظر إلينا وتختنق عينه، أخذ جسدي يتمايل أمام رقية التي عقدت حاجبيها لهذا التغير المفاجئ الغير مبرر، وأنا ايضاً لا أعلم لذلك مبررًا.

كنت أعتقد بأنني إذا رأيتهما يوماً سأحطم رأسهما لما فعلاه بي، ولكن الآن وبعد ما حدث بيننا أيقنت بأنهما لم يعودا كما كانا من قبل، فالانتقام الذي كنت سأطبقه عليهم هو بقايا الحب المختبئة بقلبي، أما الان فلقد تأكدت بأنهم لم يعودوا في قلبي.. بل محيا تماماً وربما من ذاكرتي أيضاً، أتعجب من حروفي الساخرة الهادئة التي تحدثت معهم بها رغم ما فعلوه بي، إنهم (عماد) و(ساندي)، عماد الذي كان صديقي يوماً ما، جاء إلى للعمل في شركتنا وبعد ذلك تقرب مني، وأصبح صديقي المفضل الذى ائتمنته على كل أسراري، لم أعامله يوماً موظفاً بل دائماً كنت أعامله كصاحب شركة، له الحق في اتخاذ بعض القرارات منفرداً.

استمر ذلك بهدف الصداقة إلا أنه لم يعطها حقها.. فلقد تمكن مني وسرق ملايين كنت قد جعلتهم تحت تصرفه لينفق بهم على مشروع كنا قد بدأنا في تنفيذه، ولكنه لم يفعل ذلك بل أخذ المال وهرب.. لم يفكر

بأنه الخاسر، فلقد خسرني، نعم لقد فعل ذلك فلو كان قد طلب مني أي مبلغ كنت على استعداد على اعطائه إياه مهما كانت نتائج هذا التصرف ولكنه تسرع ولم يفكر لحظة في أن الصداقة ستدوم أكثر من المال.. أخذ المال الذي خصم فيما بعد من رصيدي كعقاب لي وقعه عليه أخي.

ليس هذا فقط، بل أنه لم يهرب وحده بل أخذ معه تلك العاهرة التي تقف الآن بجواره، ساندي، إنها حبيبتي أو ما كنت أعتقده. تعرفت عليها أثناء حفلة وأعجبتني فتعرفت عليها وتقربت منها، وكان كل يوم يزداد ارتباطي بها أكثر من قبل، أخبرتني أنها سيدة أعمال ناجحة كما أوهمتني بأنها لم تترك قلبها لأحد غيري.. بقيت معي أعوام كانت حبيبتي ونفسي، كانت كل شيء لي كانت ترافقني في جميع المناسبات وأعرفها على الكثير من رجال الأعمال لم أكن أخجل منها أو أهرب من الاعتراف بها، بل إن كل من كان يسألني عنها كنت أخبره بأنها حبيبتي حتى أسد أي طريق يحاول أي شخص كان أن يسلكه ليصل إليها.

كنت أخاف عليها وأغار عليها ولا أقبل أن ينتزعها مني أحد مهما كان، كنت أراقب وأتمعن فيمن يقترب منها لا يعنى هذا شك منى بل غيرة عليها وحرص عليها خوفاً أن يقترب منها مخادع يخدعها ويسلب منها مالاً أو يوهمها بعمل ما.. كنت أراها مع بعض المنافسين لي وعند سؤالها تخبرني بأنها سيدة أعمال وتحاول النجاح مثلي.. صراحةً كانت مبرراتها مقنعة، فهي لها الحق في ذلك حتى ولو كانت مصلحتها مع خصومي.

لم أغضب منها حين ذاك بل كنت أزودها بكل ما تريد من معلومات تتعلق بهؤلاء الخصوم، لم أكن أنتظر أو حتى أفكر يوماً ما



أنها ستخونني.. كان أن أسلوبها معي يعبر لي عن حبها كانت لغتها وحروفها وتصرفاتها المغرية في الأماكن العامة، كان كل ذلك يدل على الحب أو هذا ما كنت مقتنعًا به ولم أفكر في تلك الكذبة ولم أفق منها إلا حين تركتني ورحلت عني.

كلاهما مخادع. أحياناً أضحك ساخراً مستهزئاً بنفسي على ما حدث وأنني لم أستيقظ ولم أنتبه لخداعهم، كيف يحدث هذا وأنا لم أر يوماً منهم ما يدل على ذلك بل دائماً ما كان عماد يلطف الجو ويقنعني بالتصالح والعدول عن غضبي. وأحياناً كنت أتعجب حين أجده يحدثني عنها ويسألني عن سبب الخصا بيننا.

كنت أعتقد حينها أن صداقتنا وصلت إلى درجة جعلته يشعر بكل ما يدور في عقلي دون أن أفتح فمي، كان كل ذلك كذبة أيقنت ذلك متأخراً، أيقنت بأنني كنت لعبة في أيديهم، يفعلون بها ما يشاؤون، يستمتعون برفقتها ويعيشون بمالها، كنت ساذجاً أنفق وأشتري الهدايا وأشياء كثيرة غالية الثمن

كل ذلك دون تردد أو ضيق مني.. بل كنت أفعل ذلك عن طيب خاطر ارضاء نابعًا من داخلي، لأن أحدهم صديقي والأخرى حبيبتي، رحل كلاهما وتركا الجرح والوجع يقطنا قلبي، كنت أحاول دائماً أن أعطِ لهم اعذاراً، ولو عادوا لكنت سامحتهم على ما فعلوه، ولكنهم لم يفعلوا ولم يعودوا رغم أنني انتظرتهم كثيراً.



نبهتني وأيقظتني قبلة روجينا التي طبعتها على خدي الأيمن، استعدت لتقبلني الثانية فسحبت رقية يدها من بين أصابعي فتجنبت قبلتها

ولحقت برقية أمسك يدها، فنظرت إليّ بعين تحمل دموع الكبرياء فسألتها بلهجة خوف فأنا لا أريدها أن تغضب مني أو ان تتركني وحدي في هذه اللحظة فرحيلها يعني بأنني سأصبح فريسة سهلة وللمرة الثانية لروجينا تلك المرأة التي لا ترحم.

- "رايحة فين"؟

- "عايزه اخرج فى الهوا شوية"

- "تسمحيلى ارافقك"؟

فابتسمت وهي ترفع عينيها لأعلى:

- "افكر... ايييبي"

فخفضت عينيها، ونظرت إليّ وهي تجيبني:

- "ممكن"

فأمسكت بيدها وخرجت معها إلى الحديقة حيث الزهور المزدهرة الحاضنة للأغصان.. نظرت إلى تلك الورود وهي تتراقص على أنغام الريح فأمتلأ قلبي سعادة وازدادت سعادتي عندما نظرت إلى عينيها اللتان تتابعان تمايلهم وكأنهما تتمنيان أن تصبحا وردتين لكي تستطيع أن ترافقهم في هذه اللحظة التي ترسم على وجههم السعادة.. كنت أظن أن تلك اللحظة ستكمل وسيسجل القلب اسماً جديداً، اسماً لن يُمسح أبداً ولكني كنت مخطئاً في ذلك، فاللحظة لم تكتمل ولم تظل كثيراً فسرعان ما حدقت عيني وثار قلبي لما رأيت.... إنها يارا، يدها تحضن يداً أخرى جسدها يهتز مع شخص آخر، تتراقص أمام عيني المتشوقة لرؤيتها بين يدي.

وعندما رأيت كل ذلك جُن عقلي ولم أشعر بحالي إلا وانا أنتزعها

من بين يديه وكأني أخلص نفسي من غرق محتم.. انتشلتها من يديه في غضب شديد، فنظرت إليّ غاضبة من فعل لم تتوقعه وألمٍ من جذب يدها بتلك القوة التي أوشكت أن تخلع يدها في يدي.

- "فيه ايه ..ايه الى انت عملته دا.. انت حيوان"؟

استمعت إلى كل ذلك وأنا أقف صامتًا، لم أجب بحرف ولم أفكر بأي شيء، بل اكتفيت بالصمت، الصمت العاجز والعقل الغائب والعين التي تحجرت على نظرات القسوة والغضب الموجهة إليها، لا أعلم ماذا أفعل.. ماذا أقول لها؟ كيف أبرر لها ما حدث، فأنا نفسي لا أعلم سبب هذا التصرف ولماذا غضبت هكذا عند رؤيتها وهي في يد أخرى غير يدي.....

لماذا أسرعت لها وكيف انتبهت لها وأنا لم أنتبه إليها عندما انفصلت عنا في بداية الحفلة، كيف لي أن أترك رقية وقد بنت لي مكاناً في بستانها، وأنا أتابع عينيها اللتين كانتا تتراقصان مع الزهور، كيف لي أن أترك كل هذا وأنتبه إليها وهي لم تكن أمامي ولكنه الاحساس الذي أجبر عيني على الالتفات وزرع في قلبي الغضب لهذه الرؤية المبهمة.. استمر صمتي أمام عتابها لي وغضبها مني، ونظر الجميع إليّ بنظرات التساؤل: لماذا فعلت هذا؟

لم اجب عن تساؤلاتهم، ولم أنظر إلى أعينهم الغاضبة التي تدين هذا التصرف الغاشم من عقلية غير متحضرة غير متحررة، هكذا يتهمون كل إنسان لا يفرط في حريته، هذه البلاد لديها اقتناع أعمى بأن الحرية هي الحرية المطلقة، حتى ولو وصلت لترك النفس إلى الغير، هكذا يعتقدون أو ممكن أن نقول معظمهم حتى لا نتهم ذوي العقول

المتفتحة منهم.

بعد أن حدث ما حدث، وبعد هذا الموقف الذي وقفت فيه متهمًا أمام أعينهم.. انتهى هذا الموقف سريعاً لم يستغرق وقتاً من الزمن ولكنه استغرق أزمنة داخل نفسي التي كانت خائفة مرتجفة كمن ارتكب جريمة كبرى ومنتظر العقاب.

هربت سريعاً من بين الحاضرين وأخذت طريقي سيراً إلى حيث لا أعلم.. تجولت في الشوارع دون توقف، وعقلي أيضاً لم يتوقف لحظة عن التفكير فيما حدث، فمن أكون أنا لأفعل ما فعلته فلقد أهنتها أمام الجميع دون قصد ودون رابط يبرر فعلتي هذه.. هل أحبها حقاً؟ لا أعلم. هل أهتم بها فقط وأغير عليها لأنها من موطني وتحمل جنسيتي؟ لا أعلم، بل أنني لا أعتقد ذلك، فهناك غيرها ممن يحملون جنسيتي ولكني لم أغار عليهن ولم أعيرهن انتباهي كما فعلت معها. إذن أنت تحبها ليس هناك معنى آخر غير ذلك..... ربما ولكن متى بُني هذا الحب ومن ساعد في بنائه؟!

استمررت في السير حتى عجزت قدمي على تحملي، فاستأجرت عربة حتى شقتي، وعندما هممت بوضع المفتاح في بابي سمعت صوت حركة بجانبي فألتفت سريعاً إلى يساري ليفزعني صوت رقية وهي تنهض من مكانها على درج السلم وبصوت قلق سألتني:

- "كنت فين"؟

- "كنت بلف شوية فى الشوارع"

- "طيب... تصبح على خير"

تقدمت خطوة للأسانسير، فلحقتها بسؤالي:

- "انتى مستنيانى كل ده علشان تقوليلى تصبح على خير"؟

- "انا قلقت عليك لما اتصلت كتير وانت مردتش".

فاستكملت وهي تأخذ نفساً هادئاً بطيئاً:

- "وطبعاً فى كلام كتير عايزه اقوله بس مش وقته... ادخل نام دلوقتى وبكره نتكلم".

حملت حروفها الكثير من العتاب وحملت نظراتها بعضاً من الحنان والخوف علي، صعدت الاسانسير ودخلت أنا إلى شقتي واحضرت زجاجة شيطانية كنت قد احتفظت بها من أجل يوم كهذا.. أخذت أتجرع منها كثيراً، أكثر فأكثر دون رحمة. توسلتها ورجوتها أن تسري في جسدي وتفتت كل وجع تقابله. أخذت أشرب وأشرب حتى اكتفى الشرب مني وفرغت الزجاجة في حلقى.

اغمضت عيني بعدها عدة مرات رغبةً في الاسترخاء ولكني لم أستطع الوصول إلى الاسترخاء، فنهضت بجسد يتساقط وأخذت أتصادم يميناً ويساراً حتى وصلت إلى الاسانسير ومنه إلى سيارتي التي أخذتها وذهبت بها إلى الأحياء المجاورة أبحث فيهن عن هؤلاء السيدات الطيبات المتبرعات فاعلات الخير، هؤلاء صديقات الشهوة مداويات الوجع، هؤلاء ممن يمثلون العناية المركزة لمن هم في مثل حالتي.

جذبتني من بينهم تلك السمراء صاحبة الجسد الرفيع القوي الذي لم يهتز حتى اعتقدت بأنه لا يعرف الاهتزاز، ولكنى اكتشفت فيما بعد أنني مخطئ، ركبت معي السيارة بعد أن أخذت مقابلاً لتركها المكان فارغًا لأنها سترافقني هذه الليلة، ستهتز على فراشي.. على رياحي..

كان اختياري صائباً، فتلك المرأة كانت شقية بما في الكلمة من معنى، داعبتني ودلعتني واهتز الفراش من تحتي بسبب زلزال جسدها وبركان يثور كل بضع ثوان، كانت هذه المرأة تشبه الحية وهذا ماكنت بحاجة إليه، كنت بحاجة إلى سمها اللعين، الدواء النادر لدائي، المسكن لآلامي ووجع قلبي، كنت بحاجة إلى سمها ليخلصني مما أنا فيه.

استمر هذا الحال معي أيامًا.. صباحي نوم وليلي سهر ومتعة.. كنت أتجاهل مكالمات رقية وإن تحدثت معها تحدثت ببرود حتى تبتعد عنى فأنا لا أريدها أن تتألم كما أتألم، لا أريد اقناعها لي وحديثها المنتصر دائماً، أصبحت حذرًا جداً في تجنب لقائها وخائفًا جداً من أن أذهب يوماً إلى منزلي فأجدها جالسة في انتظاري، فأنا لا أريد مقابلتها، لا أريد رؤية عينيها اللتان تدفعاني للصلاح، ووسط كل هذا وبين توهاني واشتياقي لرؤية رقية وأكثر منها اشتياقي وتعلقي بيارا فتفكيري فيها لا يهدأ أبداً، يلازمني وقت إفاقتي، وعندما أحاول الهروب منه بسكري أجده يرافقني حتى في سكري.



أكثر ما أثار شكي وترددي ومع ذلك لم أحاول تقصي الامر، هي مكالمة أخي لي وإخباري بأنه فخور بي وبما أفعله في الشركة وعندما سألته عن مصدر هذا الكلام أخبرني بأن ناصر هو من نقله إليه وأنه أشاد كثيراً بجهودي في الشركة، وافقت على كلامه وأمنت عليه دون نقاش وتركته يظن بي خيراً كما يظن، ولكن بعد أن أغلقت معه فكرت برهة في هذا الكلام ولماذا كذب الاستاذ ناصر على أخي وأخبره بما ليس في؟ وأعود مرة أخرى وأقنع نفسي قائلاً.

فربما فعل هذا حتى لا يغضب أخي علي.. لم أطل التفكير في الأمر، ولم أعط له الاهتمام الذي يستحقه، بل عدت إلى طاولتي حيث السيدات المنتظرات والكؤوس الممتلئة، وبعد أن قضيت أياماً لا أعلم عددها.. أياماً بائسة جافة من المشاعر ممتلئة بالشهوة والنزوات، وفي يوم وأثناء ذهابي إلى الخمر أوقفني هذا المنظر وهو لشاب وسيم يقف على جانب الطريق يمسك بيد فتاة جميلة استعداداً للمرور، نظرت إليهما وكيف هو حالهما الذي ينطق بالحب ونظرة الحنان التي شعرت بها عندما نظرت الفتاة إلى حبيبها بابتسامة براقة هادئة رقيقة.

جعلني هذا الاحساس الذي أفتقده أفكر كثيراً في حالي: هل ما أفعله صواب أم أنه خطأ؟ أهرب من داء إلى داء أخطر منه، من مرض نقي إلى آخر موبوء. كيف لنزواتي الشيطانية أن تنسيني مشاعري المؤمنة.. هل أصدق فعلاً بأن هؤلاء النساء الملوثات بإمكانهم أن ينسوني حياتي؟ أم أنه مجرد مخدر يجعلني لا أشعر بتراكم الوجع بداخلي، فما أفعله الآن سيكون ذكرى مؤلمة، رائحة كريهة ستلازمني طوال حياتي، من معي منهم اليوم لن يكون معي غداً، ما الذي أفعله.

أأعاقب نفسي بعقاب ملوث فأين أنا من كل هذا؟ لا أشعر بأنني إنسان، بل أصبحت مجرد دمية تشرب وتتمتع فقط. لم أعد أشعر بقلبي الثائر ولا أرى بعيني جمالاً.. بل أن كل شيء أصبح أمامي متشابهاً. الآن وبعد تلك النظرات زاد إيماني بأن المشاعر نعمة من عند الله يجب علينا أن نعيشها وأن ندرك قيمتها فهي النعمة التي ستدوم. أما ما أنا فيه الآن وما أعيشه فهو نقمة وأنها ستدوم أيضاً ولكنها ستدوم بالكره لنفسك والندم عليه. سيبقى ذكراها ورائحتها الكريهة التي شممتها دون

إحساس.. انقطع تفكيري فى هذه اللحظة بسبب ضابط الشرطة الذي نبهني وهو يعطيني مخالفة لتوقفي ولتعطيل الطريق.

أخذت مخالفتي وذهبت في طريقي، ولكني لم أذهب إلى سهرتي المعتادة، بل ذهبت إلى مكان آخر. مكان كنت بحاجة إليه لعلني أجد هناك الراحة الحقيقية، ذهبت إلى المكان الذى تعمل به رقية وأخذت مقعدي وأنا ألتفت يميناً ويساراً أبحث عنها بين العاملين حتى رأيتها وهى تتجه عكس طاولتي، تحاول تجاهلي ولكنها لم تستطع أن تجبر نظراتها على التجاهل، فطرف عينها أصابني قبل أن يستقيم، أتى لي الجرسون وسألني عن طلبي فطلبت منه أن يرسل لي زميلته رقية.. فذهب إليها وطلب منها القدوم فأتت أمامى وقد اجبرت وجهها على التجمد وكأنها لا تعرفني:

- "افندم.. حضرتك تطلب ايه"؟

فجاوبتها بابتسامة:

- "انتى تحبى تأكلينى ايه"؟

- "حضرتك المنيو قدامك، اختار اللي تحبه"

فأزحت المنيو إلى آخر الطاولة:

- "سيبك من المنيو.. انا جعان وعايزك انتى تختاريلى"

- "الاكل الى هختاره ممكن يشبع جوعك بس مش هيقدر يشبع نفسك"

فنظرت إليها متعجباً وقد اختفت الابتسامة من وجهي:

- "ليه كده يا رقية؟ انتى ليه بتتكلمى كده"؟

- "حضرتك عميل وانا موظفه هنا"



- "لا. انا صديقك".

- "صديق! بأمارة ايه؟ بأمارة ردودك عليه فى التليفون ولا السؤال عنى"؟

- "انا عارف انى غلطت بس اعذرينى"

- "لا عادى.. المهم حضرتك تطلب ايه.. بس بسرعه علشان اعمله"؟

- "رقية.. انا عايز اتكلم معاكى"

- "انا فى وقت عمل"

- "دوامك قد ايه"؟

فنظرت إلى ساعة الحائط خلفها:

- "ساعتين"

- "هستناكى"

- "طيب تطلب ايه"؟

- "مش هطلب.. هاتيلى انتى اكله على مزاجك"

- "حاضر"

همت بالذهاب فأوقفتها:

- "بقولك"؟

التفتت:

- "نعم"؟

- "ابتسمى وانتى بتجيبى الاكل علشان يجيلى نفس اكل"

فابتسمت ابتسامة زائفه ولكن فيها شيء من الحقيقة، ذهبت ثم أحضرت لي الطعام فتناولته وتناولت مشروبي ثم اتجهت لأنتظرها

بالخارج، انتظرت في سيارتي حتى مرت الساعتان.. الوقت كان كافياً، للتفكير لم أفكر في أشياء كثيرة، بل انقضى الوقت واقتصر التفكير فيها هي ساحرتي ومعذبتي يارا.. انقطع الوقت ولم ينقطع التفكير.. أتت رقية فنزلت من سيارتي ووقفت أمامها وهى تحدثني بلهجة باردة:

- "نعم.. عايز ايه"؟

- "انا آسف"

فأجابتني بعصبية لا تخلو من الحنية والضعف:

- "آسف! بقى انت تعمل معايا كده.. تقفل الموبايل وتقلقنى عليك ولما ترد ترد ببرود"؟

- "كان لازم ابعد"

- "تبعد؟ تبعد ليه"؟

عم الصمت لحظة ثم استكملت وهى تتنهد وتتأنى في الكلام:

- "انا حاسه ان فيك حاجة من يوم الحفلة بس مش عارف ايه هى؟ وعصبيتك على يارا من غير مبرر.. هو انت ليه اتعصبت عليها"؟

خفضت عيني عند هذا السؤال، فماذا أقول لها.. رفعت عيني ببطء فوجدتها تنظر إليّ بعين تحمل الكثير من التساؤلات وما لبثت حتى أسرعت في سؤالي:

- "يوسف"

- "نعم"

- "انت بتحبها"؟

نظرت إليها متفاجئًا رغم أنه سؤال متوقع، نظرت إليها دون أن أجيب، فلقد ساد الصمت كياني وانشل عقلي عن التفكير. فنبضات قلبي



تحاصره تمنعه من الكذب، يخبره في الثانية ألف نبضة بأنها الحب، انتشلتني من غيبوبتي:

- "ها.. نعم"

- "هو السؤال صعب اوى للدرجة دى"؟

أجبتها بمرارة:

- "صعب اوى"

- "ليه"؟

- "لان دا السؤال اللى بحاول اهرب منه حتى من نفسى"

- "وتهرب ليه"؟

- "لانى مش عارف اعيش وهو جوايا"

- "طيب متحاولش كتير"

فنظرت إليها متعجب من لهجتها ونبرة الحزن التي ظهرت بوضوح:

- "ليه"؟

- "لانه زي ما انت قولت: ساكن جواك.. احنا ممكن نهرب من اللي احنا ساكنين جواهم ولكن صعب اننا نهرب من اللي ساكنين جوانا لانهم بقوا جزء لا يتجزأ من حياتنا ومنقدرش ننفصل عنهم بالساهل"، سألتها وقد على صوت أحزاني:

- "طيب قوليلى اعمل ايه"؟

- "حاول تسكن جواها"

- "خايف"

- "من ايه"؟

- "من كل حاجة.. خايف من نفسى.. من حبي.. خايف من ذكرياتها اللى ساكنها واللى هتفضل تطاردنى".

- "الخوف مش هيجيب نتيجة وهيخليك تفضل على حالك.. لا طايل سما ولا طايل ارض"، فسألتها بحسرة ورجاء:

- "اوصلها ازاى"؟

- "هنحاول مع بعض"

قالت ذلك ثم ابتسمت ابتسامة حزينة ثم بادرتني مسرعة:

- "مش هنروح ولا ايه"؟

فحاولت أن أبتسم حتى ظهرت شبه ابتسامة:

- "ياللا بينا"

ركبنا السيارة، فسألتها عن وجهتها فطلبت منى الذهاب إلى شقتي، فوجئت بطلبها ولكني نفذت ما طلبته واتجهت إلى شقتي.. كانت الساعة حينها تقترب من الثانية صباحاً، قدت السيارة بعقل كاد أن ينفجر من التفكير.. كنت مشتتاً ولكن كنت في حال تمكنني من القيادة منتبهاً لما حولي.. لم أكن أنا وحدي هكذا بل أن رقية لم تكن أفضل منى حالاً، فلقد كانت تجلس بجواري وعيناها مثبتة في الأفق.. لم ألحظها تلتفت أبداً طول الطريق ولم تتفوه بكلمة واحدة، ظلت على حالها حتى وصلنا ونبهتها أنا أننا أخيراً قد وصلنا:

انتبهت وأفاقت من شرودها بصعوبة وابتسمت غير منتبهة على الدمعة التي نزلت من عينيها، نزلنا من السيارة واتجهنا إلى بوابة العمارة وكدنا نستكمل الصعود لولا أنها حدثتني وهي تودعني:

- "تصبح على خير"



فنظرت إليها مستغرباً:

- "اصبح على خير؟! هو انتى مش طالعه معايا"؟

- "اطلع معاك فين يا اهبل انت"؟

فأجبتها بسرعة خوفاً من أن تسيء فهمي:

- "وفيها ايه .. بيتى هو بيتك"

- "عارفة يا يوسف.. ومتقلقش انا مفكرتش فى حاجة وحشة"

- "امال انتى راحة فين"

- "طالعة شقتى"

- "شقتك؟ اللي هي فين"؟

فأشارت بأصبعها:

- "هناك"

فنظرت إلى حيث يشير أصبعها، وعندها صُدمت ولم أصدق هذا:

- "انتى بتتكلمى جد"؟

- "ايوه بتكلم جد"

- "بس العمارة دى من عمارات الشركة ومخصصة لموظفيها"

فابتسمت:

- "ايوه ما انا عارفة"

- "انتى هتجننينى"؟

- "ليه"؟

- "هو ايه اللي ليه، أولاً ازاى تكونى قصادى هنا ومقابلكيش قبل كده، ثانياً انتى مش موظفه فى الشركة"

- "بس يارا موظفه فيها وانا ساكنة معاها".

- "من امتى.. اه افتكرت جاك كان قالى"؟

صدمة أخرى غير متوقعة، أسعدتني بقدر ما آلمتني لأنني ضيعت فرصة لقاء يارا كل تلك المدة وكان من السهل علي ذلك لولا أنني كنت نسيت الأمر تماماً.. ماذا حدث لي لقد فقدت أهم شيء وما زلت أبحث عنه.. لقد نسيت أن هناك خيطًا رفيعًا كان من الممكن أن يصلني بها.. لو كنت ذهبت واستقمت في الشركة، استغرقني التفكير واللوم وإهدار الوقت في الظلام وكان بإمكاني إدراك النور.

لم أستطع التحدث بعد ذلك فودعتها، ووصلت إلى شقتي.. ألهث نحو الشباك المقابل لها، انظر وأتفحص كل الطوابق لعلي أعثر على شيء يدلني عليهم.. وبعد وقت لم يحدد وقفت فيه أمام الشباك أنظر بعيني وأفكر بقلبي. ثم اتجهت بعد ذلك إلى درج المكتب وأخرجت منه الرواية الملعونة وأخذت أقرأ فيها محاولاً إلحاقها بتلك الرواية عابثاً يبحث عن أي شيء يتوهم به الوصول.. أغلقت عيني من كثرة التفكير ولم افتحها الا في اليوم التالي.. كان صباحاً مشرقاً يملئه العزيمة والامل.. أحضرت فطوراً خفيفاً ثم تناولت قهوتي وأنا أرتدي ثيابي ثم أسرعت إلى كليتي وعلى كتفي حقيبة الكتب.

لم أذهب بالسيارة هذا اليوم وفضلت طريقتي الممتعة بالمترو.. وصلت مبكراً في ميعاد الحضور المعتاد.. استكملت السير الى مدرجي ثم الى مكاني في المدرجات الخلفية، وكان ذلك بإرادتي. فأنا اليوم حضرت مبكراً وكان المدرج فارغاً إلا البعض منه يشغله الطلبة القادمين مثلي.

اخترت الجلوس في الخلف لأتمكن من رؤيتهم بوضوح فهم بالطبع

سيأتون خلال لحظات وسيجلسن في الصفوف الأمامية كالمعتاد ولم أستكمل تفكيري حتى لمحتهم يمرون بجواري ويجلسون برابع صف.. اخذت اتأملهم، أتأمل ضحكات يارا المصاحبة لحديثها مع رقية، كانت ضحكتها جميلة فائقة الجمال، كانت عيناها تزداد جمالاً عندما تلمع نتيجة الفرحة وكان وجهها يظهر أكثر نضارة عندما تغلق عينيها استجابة للضحك.

لم يمض الكثير من الوقت حتى تحولت هذه الضحكات إلى ابتسامات قليلة، ومن ثم إلى جدية وإنصات وعين متصلبة على المنصة، حيث يقف الدكتور صاحب الوجه البشوش بنظارته الطبية ورابطة عنقه السوداء التي تزين قميصه.. بدأت المحاضرة فأخرجت كتابي وأنصت إلى الدكتور الذي بدا لي أن شرحه مميزاً جعلني أنصت أكثر فأكثر، ووسط انصاتي له ورغبتي الملحة في الفهم كان قلبي ينصت إلى يارا وتختلس عيني النظر اليها من بين الحين للآخر، لم أكن أنا وحدي من يختلس النظر إليهم، بل أنني شعرت كثيراً بأنها عندما تلتفت يميناً ويساراً كأنها تلتفت إليّ، فلقد كنت ألمح طرف عينيها يتبعني بين الحين والآخر.. أما رقية فلم تلتفت أبداً.. كانت أكثر الحاضرين انتباهاً، استمر كل هذا حتى أنهي الدكتور محاضرته، فنظرت إليهما للحظات قبل أن ينهضا ويتجها للممر استعداداً للخروج، وفي تلك الأثناء ابتعدت بنظري عنهم حتى لا يكتشفوا أمري وأمسكت كتابي لأضعه في حقيبتي، فانتبهت إلى صوت رقية:

- "يوسف"!

فنظرت إليها ونهضت من مكان وقد ارتسمت على وجهي ابتسامة

من أجلها:

- "اهلاً رقية"

مدت يدي لأصافحها فوجدتها تنظر إلي نظرات إعجاب وتحفيز:

- "مش عادتك"؟

- "الامتحانات بقى"

وجدت مبررًا لأجيب به على سؤال رقية، شاكرًا من كان بجواري لأنه من أبلغني بأن الامتحانات قد اقترب موعدها، وعندما فرغت من تحية رقية ونظرت جانبها لم أجد احداً، ففهمت رقية عما كنت أبحث فأشارت إلي بنظراتها بعيداً عن باب الخروج وقد تبدلت نظراتها إلى شفقة على حالي الميؤوس منه، فاستعرت ابتسامة ألم محاولاً اخفاء أحزاني.. استأذنت رقيه لتذهب إليها حتى لا تغضب منها وبالفعل غادرت بعد أن حاولت أن تبث روح الامل بداخلي، ذهب كلاهما وأنا أنظر إليهما بعين تحمل الكثير من الألم عين تسجن دموعها التي تقاوم لتتحرر.

حملت حقيبتي وذهبت لأستكمل مراسم الاحتفال، فهي لن تكتمل إلا بذهابي الى المكان المقدس.. ذهبت إلى المكتبة ولم يكن بها عدد كبير كالمعتاد ولكنهم كانوا أقل من المرات السابقة بقليل.. قليل جداً.. وتعجبت واتسعت عيني وهي تدور في المكان فلم يكن أي منهما متواجدًا في المكتبة وهذا الأمر غريب لأنى أعلم جيداً مدى تعلقهم بهذا المكان وخاصة رقية.

وأثناء تفكيري تخلل بداخلي التردد وكدت أن أستجيب له، وأنا أستعد للرحيل لولا أن أوقفتني عزيمتي وطلبت منى استكمال ما عاهدت



نفسي عليه، فالتفت مرة أخرى واتجهت لاختار ما يرافقني من الرفوف.. لم أختر كتاباً من منهجي، بل اخترت كتاباً يضم أبرز رجال الاعمال، وكان معظمهم إن لم يكن جميعهم ممن تخرجوا من هذه الكلية العريقة.

جلست على مقعدي وأخذت اقلب الصفحات ولكني أبداً لم أستطع التركيز أو الانتباه، ولم أستوعب إلا أقل القليل مما قرأت، فلقد حال التفكير الذي يشغلني بيني وبين تركيزي حاولت كثيراً الانتباه ولكني لم أستطع؛ لذلك نهضت من على مقعدي وأعدت الكتاب ثم اتكأت على نفسى المتعبة حتى وصلت إلى الكافتيريا، وعندها كانت عيني تأخذ جولتها في المكان، صُدمت بهما جالستان يضحكان، لم يكونا وحدهما، حين ذاك بل كان هذا المعتوه المهان يجلس بجانبهما بضحكته الصفراء البغيضة.

لا اعلم لم قلت عليه هذا ومتى وصفته بهذا الوصف؟ أيعقل أن يكون كل هذا بسبب رؤيتي له وهو يهان على يد ناصر دون أن ينبت بشطر كلمة، لا بل إنها كانت البداية فقط، فلقد شهدته كثيراً في الخمارات أمام البارات لم يكن أبداً قوى لشخصية مع فتياته. فكثيراً ما كن يتركنه ويذهبن لغيره ولقد حظيت ببعض فتياته كان يغضبن عليه ويلقون عليه أقذر الكلمات ثم يذهبن غير مهتمات بأمره، ورأيته أيضاً عدة مرات خادماً ذليلاً لبعض الشخصيات البارزة منهم أصحاب التجارة في الممنوعات كما سمعت عنهم.

ما زلت أرى ضحكتها.. وأتمنى أن أحظى بها أنا ايضاً، فأنا بحاجة إلى تلك الابتسامة لتحطم اليأس والحزن الذي سكن بداخلي.

وأثناء متابعتها بعيني، وأثناء التفاتها مصادفة تصادمت عيني بعينيها فكبحت ابتساماتها وانكمش وجهها ثم امتد مرة اخرى وهي تنظر الى رقية محاولة متابعة الضحك ولكن هذه المرة كانت ضحكاتها مختلفة فضحكتها الاولى كانت منطلقة دون قيود، أما هذه فهي مقيدة بالتردد والغضب بدا عليها وبكل وضوح أنها ضحكة زائفة، ولقد شعرت رقية بذلك فنظرت تجاه عودتها سريعاً.. فاتسعت عيناها لرؤيتي قلقة حائرة حزينة على حالي ووقوفي هكذا كالمجرمين الهاربين، فما كان مني وبغير إرادتي إلا أن تقدمت بخطوات مهتزة وعين رقية تتبعني حتى وقفت أمامهم.

- "هاى"

شعرت بأن يارا قد انتفضت من مكانها كما شعرت برجفة في عين جاك وظاهرة أيضاً بوضوح في الترحيب:

- "مـ..رحـ..باً"

قالها وهو يخفض رأسه بعد أن نظر إلي نظرة رهبة، فنهضت يارا في تلك اللحظة محدثة رقية:

- "انا هستناكى فى القاعة"

فهزت رقيه رأسها موافقة:

- "اوكي"

نهض جاك هو الآخر محدثاً يارا:

- "انتظرينى سآتي معكِ"

فذهب كلاهما وما زلت أنا على حالي واقفاً حزيناً إذا أعطيت الفرصة لعيني لبكت دون توقف ولكني أضغط عليها لتتحمل ولا تبكي

أمام الجميع:

- "اتفضل يا يوسف"

قالتها رقية وهي تحاول أن تبتسم ولكنها لم تنجح في ذلك، جلست على المقعد الذي كانت تجلس عليه يارا:

- "تشرب ايه"؟

- "قهوة"

تشير إلى الجارسون فيأتي وتطلب منه كوبي ليمون، فنظرت إليها متعجباً فهذا ليس طلبي، ولكنها ابتسمت:

- "هو دا وقت الليمون"

فلم أجبها وانتظرت ثوان حتى استجمعت حروفي ورتبت بعض أفكاري، ثم سألتها بصوت مرتبك:

- "انا روحت المكتبة ملقتكيش فاستغربت"

فابتسمت:

- "استغربت ليه؟ هو حد قالك انى مولودة في مكتبة"؟

فاستكملت كلامي رغماً عني:

- "لا.. بس انتى بتعملى بحث.. صح"؟

فضحكت وهي تتحدث:

- "ياه انت لسه فاكر.. البحث اتعمل واتسلم من زمان"، حينها أتت المشروبات وحينها أيضاً اختنقت عيني واضطربت نبضات قلبي، فلقد استيقظت متأخراً وأدركت أهمية تعليمي متأخراً.. فتسليمها البحث يعنى انخفاض حاد في درجاتي وأنا الآن في أشد الحاجة الى تلك الدرجات فأنا لم أذاكر شيئًا ولو حاولت المذاكرة بكل جهد لن أتحصل منها إلا

على جزء ضئيل فما زلت مخدراً. هناك جزء بداخلي لم اتخلص منه بعد، نبهني صوتها فنظرت إليها وكانت قد نهضت وحملت حقيبتها:

- "انا هدخل المحاضرة قبل ما تبدأ"
- "هى.. هـ.. تبدأ دلوقتى"
- "لا كمان خمس دقايق"
- "طيب .. مستعجلة ليه"؟
- "علشان الحق اخد نظرة سريعه على اللى هيتشرح"

ثم استكملت حديثها وهي تبتسم قبل أن تذهب:

- "اه .. على فكرة انا كتبت اسمك معايا وانا بسلم البحث"

عادت لي فرحتي مرة اخرى وزاد اعتزازي وتقديري لتلك الفتاة المصرية، فهي لم تعاتبني بالقدر الكافي عن تقصيري، بل اضافت اليه هذا الفعل الذى يعجز اللسان عن التعبير والشكر له.. اتجهت مباشرة إلى محاضرتها ثم تابعتها مسرعاً بعد أن شربت من قهوتي رشفة واحدة، وعندما دخلت هذ المرة لم أجلس خلفهم كالسابق بل أخذت أبحث وأبحث حتى اخترت مقعدي في المدرج الاول فلو كان تحفيزي واصراري على التعليم قبل ذلك 50% فهو الان وصل الى 90% واعتقد بأنه سيصبح 100% يوماً ما عندما أجد مقعدي في العلم وعندما ترضى عني الكتب وتختارني رفيقاً لها.

بدأت المحاضرة وانتهت وأنا في أعلى درجات التركيز فلم تفوتني في هذه المحاضرة أي شاردة أو واردة بل تحصلت على كل شيء، انتهت المحاضرة وانتهى معها يومي الدراسي، فأسرعت إلى شقتي بعد نظرة إلى يارا يختلط بها كل المشاعر، تقابلها نظرة تجاهل ولا مبالاة

وفي المقابل الآخر نظرة أمل وتحفز من قبل رقية، وصلت إلى شقتي وأخذت قسطاً من الراحة مع وجبة خفيفة وبجانبها قهوتي.. ثم هيأت نفسى بعد ذلك للمذاكرة، وبالفعل تمكنت من تحصيل جزء لا بأس به وما ان انتهيت من مذاكرتي حتى بدلت ملابسي واتجهت مسرعاً إلى الشركة وكانت الساعة تشير إلى الخامسة مساءاً.

عندما وصلت إلى الشركة أخذت أبحث في كل مكان عن يارا حتى وصلت إلى مكتب المدير ناصر، فطلبت من السكرتيرة أن تبلغه بوجودي وأنني أريد مقابلته، فطلبت منى الانتظار ورفعت السماعة وأخبرته بذلك وبعد أن وضعتها أخبرتني بأنه يجب عليه الانتظار خمس دقائق فابتسمت وأنا أحرك رأسي موافقاً.

بالفعل انتظرت واستسلمت لمرور الوقت حتى شعرت أن ما مر بي أكثر من الوقت المحدد للانتظار، فاتجهت إليها مرة أخرى وأخبرتها بأنه قد طال انتظاري.. اعتذرت عن ذلك ثم رفعت السماعة مرة أخرى وأخبرته عني، وهذه المرة وضعت السماعة وهى تخبرني بنظرة أسى.

- "عذراً المستر مشغول جداً ولن يستطيع مقابلتك الآن"

فاستشطت غضبًا، وأسرعت مباشرةً إلى مقود الباب وفتحته منزعجاً، وهى تنتفض من كرسيها تحاول اللحاق بي ومنعي ولكنها لم تنجح في ذلك، فلقد فتحت الباب وما إن فعلت ذلك حتى تسمرت برهة أمام المكتب، فلقد كان ناصر الذى تغيرت ملامح الاتزان إلى ملامح الرعب والفزع وكان يجلس أمامه على كرسي المكتب شخص لم أتوقعه ابداً.

تقدمت للداخل وأغلقت الباب خلفي وأغلق معها نظرات خوف

السكرتيرة.. أخذت خطواتي ببطء إليهما وأنا أرسم ابتسامة بلهاء على وجهي وكلاهما ينظر إلي نظرات ثاقبة كما لو كانا يخططان لقتلي.. توقفت أمام الضيف الذي انسحبت الدماء من وجهه.

- "اهلاً"

فوقف وهو يمد يده ويبلع ريقه بصعوبة:

- "اهلاً"

قاطعنا ناصر وهو ينهض من على كرسيه ويشير إلي:

- "اقدملك الاستاذ يوسف.. موظف معانا فى الشركة"

فاستكملت كلامه مسرعاً وبلهجة صارمة"

- "وصاحب الشركة......."

وأكملت حديثي وأنا انظر للضيف:

- "اكيد انت عارف المعلومة دى يا استاذ عماد.. صح"؟

تظاهر ناصر بالتجاهل وعدم الاهتمام بالأمر وهو يسألني:

- "انتوا تعرفوا بعض"؟

- "اكيد. هو انا اقدر انساه برضه.. دا صديقى العزيز.. صح ياعمدة"؟

فجلب ابتسامة زائفة مرتجفة وهو يجيبني:

- "اكيد يا استاذ يوسف"

فأمسكت قبضته وأنا انظر لناصر

- "استأذنك استاذ ناصر.. فى كلمتين بينى وبين صديقى"

اجابني بلهجة قلقة:

- "اتفضلوا"

فجذبت يد عماد واتجهت به إلى مكتبي ولقد لمحت يارا أثناء طريقي في الممر وهى تتجه لمكتب المدير ولمحت نظرة طرف عينيها الممتلئ بالكثير من الغموض والاسئلة ومع ان قلبي اشتد نبضه من تلك النظرة واراد التوقف والعودة الا أن قدمي لم تتوقف واستكملت طريقها مستسلمة لأوامر غضبي وبالفعل وصلت إلى مكتبي وبرفقتي عماد الذى لم يقاوم جذبي ولم يحرك شفاه اعتراضاً على ما أفعله..

وعندما دخلت مكتبي دفعته للجلوس على الكرسي أمام المكتب وجلست أنا في الكرسي المقابل له.. فبدأ الحديث وهو يسحب كم يده ليعدله:

- "بص يايوسف د..انت كلمتني بطريقة بايخة قدام مديرك وسكت وسحبتنى بطريقة زبالة وبردو سكت مع ان كان ممكن اقاوم واللي يحصل يحصل.. بس انت عارف انا سكت ليه"

اكتفيت بابتسامة ساخرة فاستكمل حديثه وهو يقف:

- "لان انا دلوقتى رجل اعمال وليا اسمى وسمعتى ومش مستعد افرط فيهم علشان ارضى كرامتى والكلام الفارغ ده.. قولى بقى انت عايز ايه علشان نهى اللعبة البايخه دى"؟

فأجبته بهدوء وأنا أنظر إليه بطرف عيني:

- "انا قولت مره انا عايز ايه"

فأخرج شيك من جيب قميصه وناولني إياه

- "دا الى احنا اتفقنا عليه.. 10 مليون جنيه وليك كمان 100الف أرباح.. ايه رأيك بقى.. انا كده سديت ديونى"؟ فضحكت مستهزئاً

- "اكيد"

ثم استكملت حديثي وانا أفرد الشيك أمام عيني:

- "بالنسبة للشيك ده.. فده حقى أما بالنسبه للارباح فدي خلهالك واعتبرها هدية زى الهدية اللي فاتت.. فاكرهم"؟؟ فنظر إلي غاضباً وأنا أستكمل حديثي دون أن أعي له أي اهتمام:

- "وفى حاجة كمان.. الشركة دى بتاعتى وانا محبش اشوفك فى شركتى تانى"

فابتسم بخبث ثم قال:

- "لا لحد هنا واقف.. لان فى تعامل بينى وبين شركتك لسه ما انتهاش"

فنهضت من مكاني ورمقته في غضب، فنهض هو الآخر ثم تحدث بنفس ابتسامته الخبيثة:

- "استأذنك دلوقتى.. لان فى كلام بينى وبين مديرك بخصوص الشغل"

ثم خرج وما لبثت حتى خرجت خلفه وأنا أستشيط غضباً مع العلم بأنني حتى لو تمكنت من الحاق به فليس بإمكاني فعل شيء، فليس من الصواب الشجار وإثارة البلبلة في الشركة.

اتجهت مباشرةً إلى مكتب ناصر واقتحمت خصوصيته كما فعلت مسبقاً وما إن تخطيت الباب حتى وقفت مكاني فلقد كان ناصر وبرفقته عماد.. وأثناء محاولتي لتجميع أفكاري بادرني ناصر وهو ينظر إلي بشيء من الغضب ونفاذ الصبر:

- "نعم يا استاذ يوسف عايز ايه تانى"؟

فأجبته بشيء من السكينة والانسحاب:



- "انا كنت عايز حضرتك فى موضوع بس هخليه بعدين لما تفضى"

انسحبت وخرجت دون إجابه منه وبعد رمقة ساخرة استهزائية من عماد، عدت إلى مكتبي وجلست على مقعدي حتى تمكنت من ضبط نفسي وقللت من غضبى وما إن فعلت ذلك حتى انتفضت مسرعاً إلى الممرات أبحث يميناً ويساراً حتى رأيت جاك فأسرعت إليه مهرولاً، فأنزعج منى وتراجع خطوتين إثر ذلك ومع ذلك لم أعطه الفرصة لالتقاط أنفاسه وبادرته بالسؤال لاهثاً:

- "جاك.. أين يارا"؟

فأجابني دون تفكير وبلسان ما زال مضطرباً:

- "في مكتبها"

- "أين مكتبها"؟

فأشار بإصبعه تجاه اليسار:

- "هناك..."

- "شكراً"

(3)

تركته بعد ذلك، وذهبت مسرعاً إلى المكتب الذي أشار إليه ولكن عندما وصلت إلى هناك اختفت سرعتي وأصابني بعض التردد حتى فوجئت بعامل البوفيه يقف بجانبي ويحمل بيده القهوة ويستعد لطرق الباب فأمسكت يده مسرعاً وطلبت منه إعطائي القهوة ويذهب ليجلب لي واحده أخرى.

بالفعل استجاب لأنه يعرفني ويعلم بأنني موظف هنا.. أعطاني القهوة وودعني بابتسامة يخبرني بها أنه لمح شيئًا في عيني، فبادلته ابتسامة تأكيد ثم ذهب. ثم انتظرت أنا لحظات ألتقط فيها أنفاسي ومن ثم طرقت الباب فسمعت صوتها من الداخل تأذن لي بالدخول وما إن أتى الإذن حتى انتقلت إلى الداخل بعد أن فتحت الباب بهدوء وسرت بقدم لا تثير أي ضجيج.

كانت يارا جالسة على مكتبها، عيناها على الشاشة ويدها تنسج الحروف على الكيبورد، كانت أشد تركيزاً وهى تفعل ذلك حتى أنها لم تنظر لتعرف من أتى.. تقدمت حتى وصلت أمام مكتبها وأخذت لحظات أتأمل في تفاصيل وجهها الجاد.. ثم رفعت الفنجان ورشفت رشفة صغيره من القهوة:

- "مكنتش اعرف انك بتشربيها سادة"

أجابتني بنفس جديتها دون أن تلتفت إلي:

- "بس انا طالباها مظبوط"

فحصلت على رشفة أخرى:

- "تصدقي طلعت مظبوطة"

توقفت لحظة ونظرت إلي من أسفل لأعلى وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة خفيفة.. ابتسامة أزاحت كل احزاني ورسمت الابتسامة على وجهي، عادت إلى انشغالها مرة أخرى وعادت إليها نظراتها الجادة وهى تتابع الحروف وهى تكون الكلمات على الشاشة:

- "انا آسف"

نطقت بها بعد شيء من التأني وتأنيب الضمير.. فأجابتني ببرود قاتل:

- "على ايه"؟

- "على اللى حصل"

تركت ما كانت تفعله ونظرت إلي بعين تخفى الكثير من الحزن وبلهجة فيها شيء من الغضب قالت:

- "الي انا عايزة اعرفه انت عملت كده ليه"؟

- "مش عارف"

نهضت من على مقعدها منزعجة

- "يعنى ايه مش عارف؟ الحركة اللى انت عملتها دى ميعملهاش انسان متحضر وطالب فى اعظم جامعات العالم.. وحتى لو انسان مش متحضر ولا طالب فى الجامعة ولا حتى فى امريكا.. بردو مكنش هيعمل الى انت عملته دا.. احرجتنى قدام الناس بدون اى سبب يذكر.. شديتنى من ايدى زى المجرمين...." ثم هدأت نبراتها وهي تستكمل حديثها بنبرات حزن وأنا أقف أمامها دون دفاع:

- "ليه يايوسف عملت كده"؟

- "علشان......"

- "علشان ايه.. مفيش سبب يديك الحق انك تعمل معايا كده"

وقفت أمامها دون إجابة.. مجرم مذنب ليس لإجرامي مبرر، إن كان حبي مبرر فإنه مبرر لنفسي أعاقب وأؤذي به نفسي ولكن ليس لي الحق في ايذاء غيرى بهذا المبرر الوجداني.

وقفت أمامها بجسد متحجر ولسان مقيد وقلب ينبض يطلب من اللسان النطق ولكن اللسان ضعيف مقيد لا يملك من أمره شيئاً.. حاولت كثيراً أن أفك قيود لساني وانتظرت هي أيضاً ذلك. أخذت أحاول النطق، أحاول أن أحرك شفتي لعل اللسان يتحرر ولكن أبداً لم يتحرر ولم ينطق بحرف واحد، وفي أثناء ذلك رن هاتف مكتبها فأجابت وهي تحرك كف يدها على عينيها ثم خرجت مسرعة وهي تنظر إلي وتأرج رأسها يميناً ويساراً بحركة توحى بالأسف، وما إن خرجت حتى ارتفعت قبضت يدى وهبطت بقوة على مكتبها وانا أجز على أسناني وخرجت مسرعاً بعد أن تركت عيني أثراً على مكتبها، دمعة يتيمة أخذت مكانها على المكتب.

خرجت وذهبت إلى مكتبي، جلست على مقعدي أسند رأسي عليه وأخذت ألوم نفسي على هذا الضعف، ضعف الحب، يا له من ضعف منتصر، ضعف نتقبله بصدر ملتهب، ضعف يتقبله القلب ويثنى عليه، بل إنه في كثير من الأحيان يقوم مقام المحامي من أجله، يدافع عنه، ضعف مصاحب بالتردد والخوف، يجعلنا نخسر حياتنا بل كثيراً ما نخسر أشخاصاً نحبهم بكل صدق وهذا ما يجعلني في حيرة وتساؤل دائم، هل الضعف أقوى من الحب أم أن الحب هو الأقوى؟

وعلى الرغم من أن الضعف سلوك وحالة سلبية إلا أنه يعمل هنا عملاً إيجابياً وهو خسارة وفقد الأشياء الجميلة في حياتنا.. فلو كان بإمكاني محاربة الضعف منذ لحظات، لما أصبحت في هذه الحالة وما كنت سأتحمل من نفسي كل هذا العتاب.. على الأقل كنت سأريح قلبي وسأتخلص من بعض العذاب.. كنت سأبوح لها عن مشاعري الصادقة.. كنت سأعبر عن حبي بقدر الإمكان وعدم فعل ذلك جعلني أعاني وسأعاني وستستمر مسيرة الأحزان.

طرق باب مكتبي فأجبت الطارق بالدخول ويا ليتني لم أفعل.. فلقد دخلت عليا نار أمريكا التي أحاول الهروب منها.. وكنت قد اعتقدت بأنني تمكنت من الهروب وأنها لم تعد تتذكرني ولكن مجيئها جعلني أتأكد بأنها لم تنسَ ولم تحاول أبداً النسيان.. دخلت مباشرةً بقبلتها المعهودة، قبلتها التي تسجل حضورها، دخلت وهى تزفر الدخان.

طبعت قبله على خدى القريب منها وأخذت تستكمل مسيرتها إلى الشفاه، لولا أن تجنبتها واقفاً أستعير ابتسامة للترحيب.. لاحظت هي ذلك ولكن لم تفصح عن معرفتها ولم تسألني عن سبب التجنب والاعتراض.. طلبت منها الجلوس وأنا أشير لها على إحدى مقاعد المكتب وبالفعل جلست على كرسي اليسار، سألتها ماذا تشرب فأخبرتني بأنها ستكتفي بهذه السيجارة.

طلبت مني أن أنهي عملي سريعاً لأنها تريد أن تصطحبني إلى احتفال.. فرفضت متحججاً بأنني متعب وأحتاج إلى الراحة والاسترخاء.. أظهرت غضبها وأخبرتني بأنها تشعر بالضيق بسبب هذا التصرف أياً كان العذر.. فاعتذرت لها ولكنها أبداً لم تقبل اعتذاري.

نهضت منفعلة وخرجت مسرعة تزفر غضباً بدلاً عن الدخان وأخبرتني قبل ذلك بأنها لن تأتِ إليّ مجدداً ولن تتصل بي وإذا أردتها عليّ أن أذهب إليها فأنا أعلم أين أجدها ومتى.. خرجت فهدأت نبضات قلبي فتسحبت أفتح الباب وأنظر إلى الممرات وشعرت بالراحة عندما رأيتها وهي تذهب بعيداً بخطوات غاضبة.

لكنها لم تذهب إلى الاسانسير، بل استكملت طريقها إلى مكتب المدير، المكتب الذي كثر زواره اليوم من جانبي.. فلقد التقيت منذ قليل بصديقي العدو، سارقي ومخادعي عماد، وها هي الآن روجينا أيضاً تتجه إليه.. فربما كان ناصر أيضاً فريسة لها وعندما عجزت أن تجعلني أقودها ذهبت إلى ناصر ليقودها، فالوسيط بين ثلاثتنا هو جاك وسيط التعارف وموصل كابلات الشهوة.

وما إن رأيتها وهي تدخل مكتب ناصر حتى أخذت طريقي أنا الآخر.. رتبت أفكاري بأنني سأذهب إلى شقتي لأطلع على بعض الكتب أو الذهاب إلى نادى أو شيء أشم فيه هواء نقيًا يريح أعصابي.. ركبت سيارتي وأخذت طريقي إلى منزلي وما إن وصلت واستعددت للنزول حتى اندفعت مرة أخرى بالسيارة وانطلقت بها حيث تعمل رقية، وما إن وصلت حتى أخذت مقعدي في الخارج وهذا أمر لم أعتد عليه، فأنا معتاد على الجلوس بالداخل والاستماع إلى بعض الموسيقى الهادئة من العازفين المثبتين على المنصة الغارقين المندمجين مع آلاتهم.

جلست واسندت ظهري على مقعد الكرسي وما إن فعلت ذلك حتى غرقت في بحر الشرود وعروسته يارا، فما حدث منذ قليل يدل على حبي وشغفي وتعلقي وضعفي أمام حبها، من يوم أن رأيت عينيها وأنا



متعلق في شباكهم، أتمنى رؤيتهم والسكن بداخلهم. فلعيناها بريق خاص يجعل الليل نهارًا ويجمل الحياة في عين من يرى الحياة في عينيها.

نبهتني يد على كتفي، فالتفت بهدوء حتى اصطدمت بابتسامة رقية وهي ترحب بي، فابتسمت أنا الآخر أثناء سؤالها عن السبب الذي جعلني أجلس بالخارج، فهي ليست عادتي، فأجبتها بأنني أريد بعض الهدوء واستنشاق بعض الهواء النقي، فحركت رأسها متفهمة، ثم صمتت ثوانٍ وهي تتفحصني بعين تحاول الكشف عن أسراري، وما لبثت أن فعلت ذلك حتى اتسعت ابتسامتها وهى تسألني:

- "تطلب ايه"؟

- "اى عصير مهدئ"

- "لا مش هينفع.. لان انا النهاردة اللى عزماك وقررت انى اعزمك على اكل"

ظهر في عينيها شيء ما واستكملت مازحة:

- "بس طبعاً على قدى.. يعنى اطلب حاجة خفيفة.. نص اكلة"

فتسللت مني ضحكة هادئة يلازمها تنهيدة هادئة:

- "وليه التكلفة دى"؟

- "ياللا.. مش خسارة فيك"

فاتسعت عيناي في تساؤل واستغراب، فأجابتني على ذلك:

- "متستغربش ومتاخدش على كده.. دا علشان اهتميت وحضرت النهارده"

- "يعنى اعتبرها عزومة تشجيع"؟

- "ممكن بس بشرط.. لو اتراجعت فى اهتمامك ومذاكرتك

ومجبتش دراجات كويسة، ساعتها متعرفش ايه الى هيجرالك"

- "خلاص اختارى انتى علشان ناكل مع بعض"
- "لا انت اللى هتاكل لوحدك.. انا دلوقتى فى شغل"
- "خلاص تبقى تعزمينى بعد ما تخلصى"
- "بس انا لسه بدرى على ما اخلص"
- "وانا مش مستعجل"
- "طيب اسيبك دلوقتى واروح اشوف شغلى"
- "اوكي"

تذهب رقية لتستكمل عملها.. هذا العمل الشاق الذي تقوم به.. أتعجب من نفسي وكيف أتعاظم وأتفاخر لأنني عدت إلى الدراسة والاهتمام بالمحاضرات وكأني فعلت معجزة، في حين أن الحقيقة أنني لم أفعل شيئًا على الإطلاق فأين المشقة في الدراسة وأنا هنا للدراسة فقط؟ لم أعانِي ولم أتحمل أي مشقة للعمل والحصول على المال فالمال يأتي لي دون عناء دون تفكير، أما هي فتعاني.. تتألم.. تتحمل الكثير لتكسب المال لتنفق على نفسها ودراستها وهل تنفق على حالها فقط أم أنها مسئولة عن عائلة تتحمل نفقتهم أيضاً؟ لا أعرف فأنا حتى الآن لم أتحدث معها في أمورها الشخصية، ولم أعرف الكثير عنها وكل ما أعرفه هو اسمها ودراستها وعملها وصداقتها ليارا، لم أحاول قط أن أتوغل أو أستكشف ما وراء تلك البريئة الرقيقة، الصديقة المخلصة يا لها من صديقة مخلصة صادقة في تعاملها مع أصدقائها، تفعل الكثير دون أن تطلب مقابل لما تفعله.

أنهيت تفكيري وعدت إلى شركتي.. دخلت إلى ناصر في مكتبه

وما إن رآني حتى بادر بالنهوض وهو يلتقط الموبايل والمفاتيح من على المكتب واصطحبني إلى الخارج بوجه ضحوك، كشفت أسنانه. ذهبنا إلى المطعم المجاور للشركة وعندما أراد أن يطلب لي شيئًا أتناوله رفضت وأخبرته بأنني سأكتفي بمشروب ولكنه أصر كثيراً ورغم إصراره إلا أنني ثبت على موقفي ورفضت تناول أي شيء، فأنا لن أخذل رقية وسأنتظر حتى أتناول معها العشاء كما تواعدنا.. وبعد أن تناول هو وجبته وتناولت أنا مشروبي، تطرقنا إلى الحديث عن أعمال الشركة وسألته عن طبيعة العمل مع عماد، وأخبرته أيضاً بأنه نصاب وقصيت عليه حكاية نصبه لي ولكن بعد كل ذلك وبعد أن استبشرت وتوقعت بأنني سأستطيع انهاء العمل معه وتحطيم غروره ومقابلته وإخباره بذلك حتى يدرك قيمته.. كان كل ذلك مجرد توقعات لا أكثر، فقد أجابني ناصر وهو يُظهر المفاجئة والانزعاج، أخبرني بأن هناك اتفاقيات وعقود والاخلال بها سيؤدى إلى دفع شروط جزائية ضخمة متفق عليها، مكتوبة في بنود العقد.

اكتفيت بالصمت قليلاً ثم حركت رأسي مؤيداً رغماً عنى وقد بدا عليه الغضب بلمحة ماسحة من الانزعاج من قبل ناصر، وبعد أن انتهينا من الحديث في هذا الأمر وانتهينا أيضاً من التواجد في الكافتيريا وأثناء السير من الكافتيريا إلى الشركة، أخبرت ناصر بأن هناك صديقة أريدها أن تعمل في الشركة.. فتردد في البداية وتحجج بعدم وجود أماكن تحتاج إلى توظيف، ثم انتهى بوعد منه بأن سيبلغني وسيقبل بها عندما يتوافر مكان للعمل.

خرجت من الشركة إلى شقتي وعندها غطت في النوم بعد ضبط

هاتفي، استيقظ سريعاً على رنين الموبايل، فلم أكن بحاجة الى المماطلة فلقد أيقظني رنين العقل قبل أن يوقظني رنين الموبايل، استيقظت وبدلت ملابسي بعد الحصول على دش بارد في الجو الحار، وعند استعدادي للخروج رن هاتفي وكانت رقية هي المتصلة فأجبتها واستمعت لها وكانت تطلب مني ارتداء ملابس رياضية وعندما سألت عن السبب رفضت إخباري وقالت لي بأنني سأعرف عندما أصل إليها وبالفعل ارتديت ما طلبت وأخذت سيارتي متجهاً إليها وعندما وصلت كانت ما زالت في عملها فنظرت إلى الساعة وكانت تقترب من الواحدة بعد منتصف الليل.

جلست على مقعد بالداخل فأتت إلي بابتسامة رقيقة ووقفت أمامي وأخذت تنظر إلى من أعلى إلى أسفل ثم من أسفل إلى أعلى وعلامات الإعجاب تعلو وجهها:

- "تصدق ان كده اجمل"؟

فنظرت إليها وأنا أرفع إحدى عينيّ عن الأخرى فاستكملت:

- "خلاص متزعلش انت حلو فى كل الاحوال"

فابتسمت لها:

- "شكراً.. بس قوليلى بقى.. ليه طلبتى منى البس اللبس ده"؟

فنطقت بكل عفوية وبراءة:

- "مفاجأة"

- "طيب قوليلى هى ايه"؟

- "استنى بس.. اشرب حاجة لحد ما اخلص شغل"

فنظرت إلى ساعة الحائط فتابعتني بعينيها إليها وهى تبتسم قائلة:



- "ما فاضلش كتير"

ذهبت وأحضرت قهوتي ثم ذهبت مرة أخرى وما إن شربت قهوتي حتى أتت وقد بدلت ملابس العمل وارتدت ملابس أنيقة جميلة.. فنظرت إليها نظرة فحص:

- "اااه.. مش بطال"

فرمقتني بنظرة تدل على أن كلماتي لا تروق لها:

- "مش بطال"؟

- "خلاص حلو متزعليش"

فابتسمت

- "ما انا عارفة"

- "قوم ياللا علشان نلحق"

- "طيب ثوانى احاسب"

وأنا أرفع يدي وقبل أن أستدعي الجارسون"

- "لو سـ....."

- "لا القهوة دى عليا.. ياللا بينا بقى"

فنهضت معها سريعاً وانطلقنا بالسيارة، أخذت ترشدني إلى الطرقات حتى وصلنا إلى نادي ومن ثم إلى ملعب الكرة الطائرة وحيناها فوجئت واتسعت عيناي لهؤلاء الموجودين المعاتبين لرقية على التأخير وما إن رأتني يارا حتى نظرت لي نظرات كرة وإلي رقية نظرات غضب وعتاب ثم ذهبت مبتعدة عن الملعب تسير فى الممر، فنظرت إلي رقية نظرة أسف.. فابتسمت وهي تحرك رأسها تشير إلى بالاطمئنان فابتسمت لها ثم نظرت الى يارا وأخذت أتبعها بعيني وعقلي

ثم أسرعت خلفها وما إن اقتربت منها حتى ترددت وارتجفت قائلاً:

- "يارا"

أبطأت حركاتها، فبادرتها:

- "يارا انا.... انا بحبك"

توقفت مكانها دون كلمة واخذت أنا اتابع الحديث وما زال لساني يشعر بالخوف وظهر ذلك بوضوح في حديثي:

- "وحبى ليكى هو اللى خلانى اتصرف معاكى بالقسوة دى لانى مقدرتش استحمل انى اشوفك مع شخص تانى" التفتت ببطء وقد تغيرت ملامحها ونظراتها إلي نظرات لا تحمل أى درجة من درجات القسوة أو الغضب مما شجعني على استكمال حديثي وأنا أهرب من عينيها:

- "كل اللى شاف التصرف دا قال عليه مجنون ومتخلف اكيد، انتى اكيد قولتى عليه مجنون، ايوه انا مجنون لان الحب اساسه جنون فلو كنا فى الحياة الطبيعية نتحكم فى تصرفاتنا إلا ان القلب يتحكم فينا لو حبينا لانه بيتعلق بنبض واحد بأحساس واحد، بوجه واحد، ولو له الف شبيه.. بيبقى في واحده تظل معلقة فى ذاكرت العاشق ليل نهار وصورتك هى اللي معلقة فى ذاكرتى ووجدانى.. صورتك وحدك من شغلتنى وسحرتنى وخليتني متعذب وفرحان في نفس الوقت.. ممكن تكونى كرهانى او كرهتينى اما انا فصعب اكرهك.. مستحيل اكرهك لانى معرفش فى حياتى إلا اني بحبك، بعينيكى.. بأبتسامتك.. بكل ما فيكي"

أخذت شهيقًا مضطربًا وأنا لا أعلم ماذا أقول ثم أكملت قائلاً:

- "انا معرفش إن كنتى بتحبينى أو لا.. بس اتأكدى أنى........"

قاطعتني وهي تتقدم خطوة نحوي، بصوت حنون:

- "بحبك"

ثم رفعت عينيها إلي وهى تبتسم:

- "بحبك اوى اوى يا يوسف"

لم أشعر بنفسي عندما استمع قلبي لها ولم أشعر بيدي وهى تحيط بخصرها.. احتضنتها بقوة.. اعتصرتها بين أحضاني أروي نفسي بها، فأنا الآن في غاية سعادتي في كاملها.. فأنا لا أصدق نفسي، وأكذب أذني فيما سمعت.. هل حقاً قالت أحبك؟ هل نطقتها؟ هل ابتسمت لي الدنيا ورأيت ابتسامتها؟ هل سمعت صوتها فرحاً بعد الغضب والحزن الذى ملأ عينيها لمدة طويلة؟ هل حقاً حدث ما حدث؟

أنا لا أصدق أبداً نفسى، حتى رقية لم تصدق نفسها وفركت عينيها عندما رأتنا نعود ويدينا تحتضن بعضها، فلقد رأيت في عينيها مزيجاً من السعادة والدموع.. أعلم بأن السعادة التي تشعر بها سببها تواصل أوردة الحب بيني وبين يارا.. ولكن لماذا الحزن والدموع؟

لم أطل التفكير في دموعها التي أزعجتني، فلقد أحضرت لها أكثر من مبرر، انتهت هذه الليلة بعد الكثير من اللعب والمرح والنظرات الباسمة التي منحتها رقية لكل منا، انتهت هذه الليلة بعد أن كُتب لنا بداية رحلة ومرحلة أخرى، فما إن التقت قلوبنا حتى عرفت السعادة طريقها إلينا وخصوصاً أنا، لقد أصبحت في غاية السعادة.. غاية الحيوية.. أصبحت الحياة أجمل وأجمل من ذي قبل، كل ذلك بسبب قلبي الذي حصل وارتوى بالحب أخيراً وبعد طول انتظار.. وبعد الكثير من الدموع والألم لم يعد يمر وقت إلا وكنا فيه سوياً، سواء الجامعة أو المكتب أو المحادثة هاتفياً طوال الليل حتى يجبرنا التعب على النوم،

أخيراً التأم القلب ونبض الفؤاد.

ازدادت خطانا كثيراً وانسجمنا مع النسيم وخصوصاً عندما أعطانا ناصر أجازة لاقتراب موعد الامتحانات ومعها وبها تعرفت أكثر على أمريكا، معالمها وسحرها، وكانت بالفعل ساحرة خلابة جذابة هادئة ومنسجمة ولم يكن بإمكاني رؤية كل هذا إن لم تكن يارا بجانبي، فبعينيها رأيت الجمال، وكانت كثيراً تتعمد إثارة غيرتي.. عصبيتي وكانت من ضمن هذه المواقف التي تكررت كثيراً عندما نكون في الكازينو نستمع إلى الموسيقى الهادئة بعد وجبة الرقص التي قمنا بها وإذا بشاب طويل القامة عريض المنكبين بارز العضلات، وإذا به يقف أمامنا وعيناه معلقة عليها ويتحدث وهو يفرج يده مبتسماً:

- "تسمحى لى بالرقصة دى"؟

فنظرت إلى وهي تبتسم وتسألني:

- "تسمحلى ارقص معاه"؟

أثارت ابتسامتها وسؤالها عصبيتي ولكني حاولت عدم إظهار ذلك فأجبتها بهدوء:

- "اتفضلى"

فهزت رأسها وهى تضم شفتيها مبتسمة، ثم نهضت وما فعلت ذلك، حتى استشاط دمى وجحظت عيني من الغضب، فأزحت كرسي وأنا أقف لأكسر عنق هذا المعتوه، ولكنى لم أمكن من فعل هذا، فهي لم تعطني الفرصة للقيام بذلك، فما إن رأتني في هذه الحالة حتى جلست متحججة بأن قدميها تتعبها، فنظرت إلى الشاب وقد أدرك حجتها فنظر إلي من أعلى إلى أسفل وابتسم مستهزئاً ثم رحل.



وأيضاً عندما كنا نتنزه في إحدى الحدائق العامة، رأينا طفلين يلعبان الكرة فنظرنا إلى بعض متحديان بأعيننا ثم نظرنا إليهما وبدأنا الجري لنرى من فينا سيسبق الآخر في الوصول إليهما، وبالتأكيد أنا من سبق في بداية الامر ولكني أبطأت سرعتي حتى تسبقني وأرى في عينيها فرحة النصر، وبالفعل ما إن وصلت إليهما حتى فرحت وقفزت فرحاً وأخذت تعاندني ثم ارتمت بين أحضاني تعانقني، أدركت الآن بأنني المنتصر.....

لعبنا كثيراً مع الطفلين وأعادانا بمرحهما وشقاوتهما إلى طفولتنا المستنزفة، وكونا فريقين، كنت أنا والطفل وهي مع الطفلة وكانت اللعبة عبارة عن أن من يمسك الآخر يطلب منه ما يريد، وكانت هذه اللعبة هي فكرتي، وبدأنا اللعب وكنا نحن الفريق المستهدف فأسرعت وظلت تسرع خلفي وتدور ورائي في الحديقة كلها حتى شعرنا بالتعب فوقفت ونظرت إليها وأنا أنهج وأحدثها بصوت متقطع:

- "ايه رأيك نعمل هدنة"؟

فابتسمت واستكملت وهي تتقدم خطواتها ببطء إليّ:

- "دا مش علشانى دا علشانك انتى"

ما زالت تتقدم وعندما أصبحت على مقربة منى بدأت التفت ولكنها أوقفتني بصوت استرد بعض صحته:

- "افكر"

فنظرت إليها وجدتها مازلت تتقدم اقتربت وهى تغمض إحدى عينيها وتغمغم وأنا أقف على استعداد، وما إن اقتربت مني حتى أسرعت فالتفت أنا الآخر مسرعاً ولكن ما إن التفت حتى سقطت أرضاً

فانتهزت الفرصة وانقضت عليّ، وعندها اقتربت عيناها منى فتعمقت داخلهما سعيداً مبتسماً فأظهرت هي الأخرى أسنانها وهى تبتسم كانت شفتاي تأخذان طريقهما إليها، فأغمضت عينيها وبدأت تسلك شفتيها طريقي ولكنها فجأة نهضت بسرعة وهي تهلل:

- "فوزت..... فوزت"

وعندها فقط نهضت وأمسكت بأطراف يدها واقتربت من أذنيها:

- "انا هخليكى دايماً تفوزى ولو على حسابى لان كل ما بتفوزى بتفرحى وفرحتك دى جايزتى"

فنظرت إليّ مطمئنة خائفة ثم ضمنتي إليها بقوة وأفرغت بعض دمعاتها على كتفي، فلقد شعرت بهم رغم أنها أخفت عينيها عني ومحتهم حتى لا أراهم واسأل عن سببهم.

وبعد أن قضينا وقتاً ممتعاً طلبت مني يارا أن نذهب فلقد حان وقت المذاكرة فاستجبت إليها وأثناء رحيلنا سمعنا صوتاً، فوقفنا ونظرنا إلى مصدر الصوت وكان الطفلان وبجانبهما رجل عرفنا فيما بعد أنه والدهما، تقدم إلينا بعد إشارة الطفلين لنا، وألقى التحية فردينا عليه التحية، وكان رجل أشقر متوسط القامة رفيع الجسد يرتدي نظارة طبية، كان رجلاً لطيفاً في حديثة وأيضاً في شكله العام، ولكنه تسبب في مضايقتي عندما اثنى على جمال يارا، ولكنه كان متفهماً فما إن لاحظ استيائي حتى توقف واعتذر لي وطلب منا قبول دعوة العشاء، فوافقنا ثم ذهبنا بعد تبادلنا أرقام الهواتف وبعد أن قبلنا الطفلين الجميلين.

ذهبنا إلى المنزل وقد عدلنا عن فكرة المذاكرة وتأجيلها لوقت أخر لأننا نحتاج إلى قسط من النوم والراحة استعداداً للمساء، استيقظت على



رنين يارا فأجبتها بخمول:

- "ايوه"

- "مساء الخير"

- "مساء الورد"

- "انت لسه نايم"؟

- "ايوه"

- "انت نسيت الميعاد ولا ايه"؟

- "ميعا! ميعاد ايه"؟

- "العزومة"

- "ايوه ايوه افتكرت.. هو لازم نروح"؟

- "اكيد.. هو انت مش عايز تروح"

شعرت بضيق يخنق حلقها.. فنهضت وأنا أطرد النوم من عيني:

- "أكيد هروح.. هو انا اقدر افوت ميعاد انتى معايا فيه"؟

- "بسرعه علشان مانتأخرش"

- "اعتبرينى جاهز"

اغلقت الهاتف ثم أسرعت وبدلت ملابسي وخرجت مباشرةً متجهاً إليها.. ضغطت الجرس وانتظرت لحظات، حتى خرجت إلي جنية الأرض بهالتها الجمالية التي تخطف القلوب.. نظرت إليها بعين مبتسمة متفحصاً هذا الجمال الرباني الذي منحة الله لها.. نظرت إليها بعيني ولكن في الحقيقة أن قلبي هو من كان ينظر لها.. ينظر بداخلها.. يحاول أن يبحث عن مكانه وكيف تراه فتاته الجميلة:

- "انت روحت فين"

- "لا تسألي حبيبتي.. فلقد ذهب إلى مكان.. نادراً ما يصل إليه أحد.. مكان ليس له اسم.. وما أجمل الأماكن التي لم تكشف بعد"

فابتسمت وقد لمعت عيناها فرحاً:

- "يااااه.. كل ده"؟

- "واكتر من كده كمان"

- "هنتأخر"

- "مش مهم.. يا ريت نعتذر"

- "ليه"؟

- "لانى مش عايز حد يشاركنى لحظاتى معاكى.. ولا حد يلهينى عنك"

- "محدش يقدر يشاركنى فيك.. انت لو فى الشرق وانا فى الغرب وبينا ملايين البشر.. مش هيقدروا يشاركونى فيك.. ومش هشوف غيرك انت"

ابتسم لها قلبي فطوقت يدي تجذبني:

- "ياللا.. علشان منتأخرش عليهم"

فاستجبت لها وذهبنا إلى منزلهم وأعلنا عن حضورنا وانتظرنا بالخارج حتى فتحت جولي، حيتنا بابتسامتها الجميلة وبراءتها المعهودة:

- "أهلاً ومرحباً بكم.. تفضلوا"

فابتسمنا لها وانحنت يارا وقبلتها.. ثم انتقلنا إلى الداخل.. وفى هذه الأثناء كان الأب قادمًا من الداخل وبيده الأطباق يضعها على السفرة، ومن بعده الطفل يضع ما بيده من أطباق، أقبل علينا الاب وحيانا وأثنى

على جمال يارا، ثم طلب منا الجلوس، جلس الطفلان في الاتجاه المقابل وجلس الأب على كرسيه المعتاد وطلب منا البدء في تناول الطعام، فألقت يارا نظرة خاطفة على من حولها ثم نظرت إلى كأنها تريد السؤال عن شيء ولكن لا أعرف ما الشيء الذي سبب حيرتها.. تناولنا الطعام وكان طعاماً شهياً.. وبعد أن انتهينا أشار لنا الأب وطلب منا الجلوس في غرفة الاستقبال.. فذهبنا إلى هناك في حين قاموا هم بحمل الاطباق الفارغة ونقلها إلى المطبخ.. وما إن انتهوا من فعل ذلك حتى تقدم الأب منا مبتسماً، كنا قد انتهينا من حديث ما وهو سبب حيرة يارا التي سألتها عن ذلك فأخبرتني بأنها كانت تنظر منتظرة الأم تأتي ولكنها أبدًا لم تأتِ....

جلس الاب فبادرته يارا بهذا السؤال:

- "لم أرَ زوجتك.. أين هي"؟

ظهر الحزن بوضوح على الاب بعد هذا السؤال مما جعلني لا أنتظر الإجابة، فلقد أجابني صمته الحزين ولكنه ومع ذلك تحدث بعد تنهيدته الصعبة المؤلمة:

- "لقد رحلت زوجتي منذ أكثر من ثلاث سنوات"

كانت إجابته حزينة افقدتنا الابتسامة.. حتى أن الدموع قد تمكنت من التسلل من عين يارا وازداد انحدارها عندما التقت عيناها بالطفلين القادمين حاملين أكواب العصير، وضعا الكؤوس أمامنا على الطاولة الصغيرة واتجها ليجلسا بجانب والدهما إلا أن يارا لم تمنحهم ذلك.. فلقد استدعتهم بابتسامة فأتيا إليها.. فاستقبلتهما حاضنة مقبلة بحرارة ودموع.. ثم اجلستهما على جانبيها..

أخبرنا بأنه يعمل في شركة استثمارية كبرى ولا يملك في الحياة سوى هذين الطفلين.. فهما حياته ودنياه الذي يعيش بهما، بعد دقائق معدودة استغرقناها في الحديث عن العمل، وعندما وجدت يارا أن الطفلين يجلسان صامتين.. لأننا جميعاً نتحدث في أمور لا تتعلق بهما، عندما لاحظت يارا ذلك قررت أن تتركنا وتشاركهما في شيء يخصهما.. فابتسمت وتحدثت بلهجة مرحة:

- "أريد أن أشاهد غرفتكما..."؟

فنهض الطفلان مسرعين وكأنهما كانا في انتظار هذه اللحظة، نهضت معهما ورافقتهما للداخل كالطفلة بينهما، وعين الاب تتبعهما مبتسماً حنوناً بحزن، وبعد لحظات سمعنا صوت ضحكاتهم تنشد السعادة.. فأسند الاب رأسه على كرسيه كمن يعود إلى الماضي بتلك المسحة الحزينة التي زارت وجهه وقبل أن يتعمق وقبل أن تتمكن هذه المسحة منه وقبل أن تتحول إلى حزن دفين.. استدعته من الماضي بسؤالي:

- "كيف ماتت زوجتك"؟

انتفض الاب وهو يعتدل في جلسته وشعرت أن سؤالي هذا كان بمثابة طلقة نارية أصابته في مقتل، ثم أجاب في رجفة:

- "قُتلت....."

فانزعجت وحزنت وسألته:

- "كيف"؟

تردد قليلاً ثم نظر تجاه غرفة الطفلين.. ثم التفت إلي وهو يحاول أن يخبرني بكلمته ألا أطيل في الاسئلة.. قال محاولاً جعل الأمر طبيعيًا:



- "مجرد حادثة"

قالها ثم غير الموضوع سريعاً:

- "ما هو السبب لقدومك هنا"؟

- "انا هنا للدراسة"

- "من اين انت"؟

- "من مصر"

- "رائع.. انها دولة جميلة"

- "جداً"

- "وصديقتك"؟

- "هي أيضاً من مصر"

- "تدرسان في جامعة واحدة"؟

- "نعم"

انتهى تعارفه بي ولكنه لم ينته من حديث، فلقد استكمله بابتسامة عاطفية:

- "اهتم بها فهي تحبك"

تعجبت من كلماته ولكني أشرت له بالموافقة وبأنني سأهتم بها وأحافظ عليها وقبل أن يتحدث أي منا خرج الجميع من الغرفة ويارا تمسك بيدها كرة.. أقبل الطفلين على أبيهما:

- "بابا"

فنظر إليهما فأمسكا يده:

- "نريدك أن تلعب معنا"

فابتسم لهما الأب وهو ينهض معهما وأنا جالس مكاني وعيني



معلقة على إحدى الصور المعلقة أمامي وإذا بصوت يارا يوقظني:

- "انت عاجبك الديكور"؟

- "جداً"

- "طيب اسيبك تتفرج براحتك واروح انا العب"

قالت جملتها ثم خرجت تتمايل كزهرة تجذب الفرشات إليها.. فخرجت خلفها بعد أن ودعت تفكيري الذى أراد منى التعمق والحيرة في كلمات الأب وكيف أدرك حبها لي، أسرعت خلفهم إلي الحديقة حيث يقفون في دائرة يمرر كل منهم الكرة للآخر، فوقفت والتصقت بيارا فضحك الجميع وابتسمت هي ثم باغتتني وأزاحتني من جانبها فكدت أن أقع ولكني تمسكت وأسرعت خلفها واحتضنتها فابتسمت وهى تحاول إبعاد عينيها عنى.. تحاول أن تهرب من قيدي، أخذت تتحرك باسمة مازحة، فاقتربت منها وعيني تكاد تلتصق بعينيها.

- "بـ..حـ..بــ..ك"

توقف حركتها وسكنت نبضاتها.. أخذت لحظات تائهة.. نظرتها شاردة.. ثم قالت بهدوء وبنبرات حزينة:

- "انا كمان بحبك واتأكد مهما حصل انى حبيتك.. مكدبتش عليك"

نظرت إليها في تساؤل فابتسمت وهى تتحرر من يدي وتتجه إلى الاطفال.. قضينا اليوم أو ما تبقى من اليوم سعداء مرحين.. نلعب بكل نشاط.. كان يوماً ممتعاً ولكن جملتها ظلت تراودني وتحيرني وأنا ابحث لها عن إجابة ولكن أبداً لم أجد لها أية إجابة.. ماذا تعنى بقولها هذا؟

ذهبت إلى شقتي بعد أن ودعتها أمام العمارة.. وما إن وصلت إليها حتى انتقلت فوراً إلى سريري أغض في نوم عميق.. وكان هذا هو آخر

يوم فمن اليوم التالي بدأ الضغط.. فلقد اقترب موعد الامتحانات ولم يبقَ عليه سوى أيام قليلة.. في هذه الأيام القليلة اختلفت أشياء كثيرة بل اختلف كل شيء.. فمنذ أن بدأنا المذاكرة الفعلية للامتحانات حتى انفصلنا ولنقل أنها هي من ابتعدت ورجحت أن يذاكر كل منا بمفرده بعيداً عن الآخر، حتى نستطيع التركيز..

لم تكن تلك هي البداية، بل إنها كانت بداية النهاية.. فبعد أن صرنا نذاكر كل منا في جانبه الخاص ومنزله الخاص ومكانه الخاص في الجامعة أصبح لكل شيء بعده خاص، وأنا من جانبي كنت أجتهد أكثر وأكثر حتى أنول النجاح في الدراسة ثم التقدم لها والفوز بها، كانت الاتصالات بيننا هي من تصبرني وتهون عليه الأوقات العصيبة التي أمر بها وهي ليست معي.. ولكن ماذا الآن بعد أن أخبرتني بأنها تحتاج إلى المزيد من التركيز ويجب علينا أن نقطع الاتصال حتى تنتهي الامتحانات.. كانت لهجتها حزينة.. شعرت بذلك وبالطبع وكعادتي اقنعت نفسي بأن هذا الحزن هو حزن البعاد، فهي مثلي لا تطيق البعد ويعذبها كما يعذبني.. أليس كذلك؟ بالطبع هو كذلك.. فإن القلب والنفس يقنعان بعضهما البعض.

حتى لقاءاتنا في الجامعة أصبحت مصادفة وإن جلسنا معاً لا نستغرق كثيراً فسرعان ما ينتهي اللقاء بحجة المذاكرة.. حتى هذه الدقائق المعدومة تنقضي في الحديث عن المذاكرة والامتحانات والجامعة.. فلم نعد نتحدث عن مستقبلنا أو حبنا وإذا تجرأت أنا وبدأت الحديث عن الحب أنهته هي بالانصراف..

تغير كل شيء.. أصبحت علاقتها بي باردة كبرود الثلج وكل يوم كنا نبتعد فيه أكثر من اليوم الذي قبله.. وفي أثناء بعدها عني كانت رقية

تقترب مني وتقف بجانبي.. ولكن لم أكن منتبهاً لكل هذا ولم يشغلني ويحيرني سوى العبرات التي تملأ عيناها بعد كل حديث بيننا حتى ولو كانت مجرد كلمة.. كنت أشعر بأنها تخفي شيئًا عني.. تحاول الهروب مني.. وكلما سألتها عن حالتها وإن كان هناك شيء يغضبها.. تنكر كل شيء وتنسحب بدموعها التي لا تبرح غرفتها..



في آخر يوم في الامتحانات انتهيت منه وخرجت انتظر يارا ولكنها أبداً لم تخرج.. وعندما سألت رقية عنها أخبرتني بأنها رأتها تخرج مبكراً، أخذت رقية وذهبنا مسرعين إلى الشقة، ولكننا لم نجدها بل أكثر من ذلك.. فعندما دخلنا إلى الشقة وعندما دخلت رقية لتبحث عنها في غرفتها لم تجدها ووجدت أن كل شيء قد اختفي، ثيابها وكتبها وكل شيء متعلق بها.. وما إن سمعت ذلك حتى جن جنوني، أخذت أبحث عنها في كل مكان أدركه ولا أدركه.. بحثت عنها عند كل أصدقائها الذين أعرفهم والذين لا أعرفهم.. استمررت في البحث أسبوعاً كاملاً، سبعة أيام لا ترى فيها عيني النوم إلا لحظات.. سبعة أيام كنت سأموت فيهم مرات عديدة بسبب سرعتي الجنونية وبسبب إرهاقي وعدم تركيزي.. سبعة ايام أتجول فيهم وحدي وأنا أري في عين رقية شيئًا تخفيه عني ولكن كلما سألتها عنه أنكرت أن هناك شيء.. بحثت كثيراً وقلبي ينزف وجعاً.. بحثت وكل لحظة يقل إيماني بوجودها ويزيد يأسى ويقيني بأنني أبدأ لن أراها.. سبعة أيام لم أشهد فيهم سوى الدمع والوجع..

وبعدها واثناء جلوسي بغرفتي انتفضت بعد أن انتفض عقلي من

فكرة ربما تكون بداية الخيط.. أسرعت إلى الشركة فبالتأكيد لديهم جميع بيانتها شهادتها هنا وفي مصر وربما استدل على العنوان أو أي شيء من أوراقها.. اتجهت إلى الادارة وطلبت منهم إحضار ملفها وكانت المفاجئة التي لم أكن متوقعها.. فبعد البحث المتكرر والذي استمر أكثر من ساعة سواء في الأجهزة أو الأوراق والمستندات الموجودة فبعد كل ذلك وبعد محاولاتي أنا ومن معي للعثور ولو على ورقة واحدة تتعلق بها.. لم نجد أي شيء يخصها فغضبت منهم وعليهم واتجهت على الفور إلى مكتب ناصر وعيني تشتغل غضباً.. وأثناء دخولي مكتب السكرتيرة كان هو في طريقه لمكتبه.. فأسرعت وأمسكت يده وجذبته بقوة ففزع واتسعت عيناه وهو ينظر إلى في استغراب وغضب.. لم أعطه الفرصة للاستفسار:

- "هي فين"؟

أخذ نفساً عميقاً ثم سأل في برود:

- "هي مين"؟

فأفرغت غضبى عليه وارتفع صوت حديثي:

- "متستطعبتش.. انت عارف انا بتكلم على مين"

نظر حوله وإلي وجه السكرتيرة الخائفة.. ثم عاد إلي وهو يستنكر أسلوبي معه مع ارتفاع درجات صوته:

- "انت ازاى تكلمنى كده"؟

- "انا اكلمك زى ما انا عايز.. يا ريت ماتنساش نفسك.. متنساش انا مين وانت مين.. والغى من دماغك لعبة الموظف والمدير دى"

فأجاب في خيبة، فهو لم يتوقع مني هذا وأنا ايضاً لم أكن أتوقع من

نفسى هذا.. ولكن هو من أجبرني على استعمال هذا الأسلوب.

- "لا مش ناسى يا استاذ يوسف"

- "ايوه كده.. اسمى الاستاذ يوسف.. قولى بقى هى فين"؟

- "مشيت....."

- "راحت فين"؟

- "معرفش"

- "ازاى متعرفش"؟

فأجاب ببرود:

- "نسيت أسألها"

- "ونسيت تسأل كمان على ورقها اول ما اتعينت.. صح.. طبعاً دا دليل على انك مدير فاشل مش عارف تدير شركة صغيرة زى دى"؟

ثم استكملت ساخراً مستهزئاً

- "وقال ايه كنت عايز تعلمنى الشغل"؟

اختنق وجهة لسماع ذلك وما إن استعاد شجاعته ليدافع عن نفسه، كنت قد تركته وذهبت.. تركته يتنفس لهيباً، تركته وذهبت.. أسير تائهاً في الشوارع بين الذكريات.. ابتسم أحياناً لذكرى تجمعنا.. وأبكى كثيراً لرحيلها....

* * *

قضيت شهراً.. هم وغم وحزن عميق.. شهراً لم أشعر فيه بشيء سوى الألم.. كانت رقية هي سندي الوحيد.. تحاول التخفيف عني.. تحاول إعادة البهجة إلى حياتي ولكن أبداً لم تستطع فعل ذلك.. فلقد ذبلت بهجتي وأظلمت حياتي وقتلت روحي دون شعور.. أصبحت

جسداً يسير في الحياة.. يبتسم ليبكي.. ينام ليحيا.. كانت هذه هي حياتي.. حياة بلا حياة.. بلا نبض.. بلا مشاعر.. خالية من كل شيء..

حاولت أن أستجيب لرقية وتوسلاتها المستميتة المتكررة من أجل إخراجي مما أنا في.. حاولت الاستجابة لها.. حاولت الاستسلام لضغطها القوي على قلبي محاولة إعادة الحياة له من جديد.. حاولت كثيراً أن ابتسم حتى ابتسمت.. ابتسامة تذيبها الدموع.. ووسط ما أنا فيه من أحزان يأتي لي اتصال من أخي يخبرني فيه بأنه سيتزوج بعد أسبوعين ويطلب منى السفر لأكون بجانبه..

حاولت التذرع له بأنني مرهق ولدي بعض الأمور الخاصة بالجامعة وأنني لن أتمكن من الحضور.. ولكنه أصر على حضوري.. ولكن مع استماتتي ومبرراتي العديدة الوهمية.. اضطر إلى أن يعذرني لعدم استطاعتي الحضور.. لم يكن من الهين عليه أن أفعل ذلك ولكن كيف أسافر وأنا في هذه الحالة الهزلية.. فلو رآني هكذا سيحزن على حالي وسيشغله ما أنا فيه كثيراً..

كيف لي أن أفعل ذلك وهو الآن يحدثني بسعادة بالغة توضح مدى سعادته بشريكة حياته.. كان صعب علي أن أفعل ذلك وألا أحضر فرح أخي الوحيد.. ولكني اخترت أن أكون بعيداً حتى يعيش الفرحة كاملة..

بعد مكالمتي مع أخي وبعد مرور عدة أيام أتصل فيهم أخي كثيراً ليسألني ما إذا كنت قد انتهيت من عملي أم لا وكانت كل مكالمة يقابله عذر، حتى جاء ما جاء.. فبعد أكثر من شهر على غيابها استلمت اتصالاً جدد الامل في حياتي مرة أخرى وحدد لي مسار بحثي.. أتى لي

اتصال من صديق كنت قد كلفته بالبحث عنها في سجلات السفر وأخيراً وبعد أن تمكن من معرفة وجهتها أخبرني بأنها اتجهت إلى مصر في رحلة الثلاثاء منذ شهر تقريباً.. استقبلت هذا الخبر بسعادة لأنني أخيراً تمكنت من معرفة مكانها وإذا اردت البحث فأنا الآن أعلم أين سأبحث.. اتصلت على الفور بأخي وأخبرته بأنني سأتمكن أخيرا من حضور حفل زفافه، ففرح كثيراً وطلب من الاسراع في الحضور.. فوعدته بأنني سأعود في أسرع وقت ممكن.. انتهت مكالمتي مع أخي ثم اتجهت وحجزت مقعدين في أول طائرة.. ثم اتصلت برقية التي فوجئت باتصالي وذهلت من لهجتي الفرحة.. طلبت منها انتظاري بعد العمل.

ذهبت إلي شقتي هندمت حالي وارتديت ثيابي ثم اتجهت إليها، وصلت وكانت قد أنهت عملها وتنتظرني بالخارج، وما إن وصلت حتى أسرعت تضمني بين يديها:

- "اخيراً.. حمد لله على السلامة"

فابتسمت دامعاً

- "الله يسلمك"

تركتني فنظرت إلى عينيها المتلألئة بالدموع والفرحة الغامرة التي تسبح في مقلتيها.. فابتسمت لها

- "انا جعان جداً"

فضحكت ببقايا دموعها

- "وانا كمان ميتة من الجوع"

ففتحت باب السيارة وأنا أشير لها:

- "اتفضلى"

- "على فين"؟

- "انا عازمك على الاكل"

ركبت السيارة ثم اتجهنا إلى إحدى المطاعم الشهيرة وطلبنا أكلات كثيرة ومتنوعة.. كنت سعيد جداً ولذلك لم أنتبه على لأي شيء ولذلك أكلت بشراهة وكأنني لم أتذوق الطعام يوماً.. فلقد تغير كل شيء.. فبعد أن تمكنت أخيراً من معرفة أنها سافرت كما تمكنت أيضاً من معرفة عنوانها في مصر، بعد أن تناولنا وجبتنا وبعد أن انقطعت أنفسنا من كثرة الأكل.. وبعد أن تناول كل منا مشروبه، أخذت نفساً عميقاً مضطرباً

- "رقية"

- "نعم"

- "انتى مش عايزه تنزلى"؟

لمعت عيناها وهى تجيب:

- "أكيد نفسى.. وهنزل قريب"

- "وليه مش دلوقت"؟

- "لان عندى دراسات وابحاث خاصة عايزه اخلصها"

- "ماتتأجلش"؟

- "صعب"

- "ليه"؟

- "لان هتكون الدراسة بدأت"

- "ولو قولتلك اني عايزك تنزلى معايا"؟

تنهدت برجاء

- "محتاجك معايا"؟

نظرت إلي ثوان ثم ابتسمت:

- "يبقى اكيد هسافر.. اصل انا موعودة بيك"

ابتسمت لها وانا أرى ابتسامتها تلمع في عيني، قضينا سهرة ممتعة.. يسودها الكثير من التساؤلات التي لم تطرح من قبل رقية، أثناء قيادتي واتخاذي الطريق المؤدى إلى منزلي.. وإذا بها توقفني:

- "انت رايح فين"؟

- "راجعين للبيت"

- "بس انا طريقى مش من هنا"

أوقفتني جملتها وصدمني قولها.. فتأملت صمتها الحزين لحظات ثم سألتها"

- "انتى سبتى الشقة"؟

أجابتني تؤمن بحركة رأسها:

- "رحتى فين"؟

ابتلعت ريقها ودمعتها المتسللة:

- "عند واحدة صاحبتى"

- "مقولتليش ليه"؟

- "لأنى مكنتش لاقياك"

صدمنى كلامها رغم صدقه.. فأنا كلما احتجت لها وجدتها ولكن هي عندما احتاجتني لم تجدني.. لم أفعل لها شيئًا حتى الآن سوى الحزن من أجلى، علمت الآن سبب دمعتها التي حجزتها في مقلتيها.. بكت عيناها لأن سؤالي أثار بداخلها الوحدة التي تشعر بها، كنت أسمع



دمعتها وهي تصرخ مستغيثة:

- "أحتاج إلى اهتمام"

أوصلتها إلى وجهتها وقد طال الصمت بيننا إلا من بعض الابتسامات العابرة، ودعتني وقبل أن تختفي بداخل العمارة أوقفتها:

- "جهزى شنطك"

- "ليه"؟

- "السفر بعد ثلاث ايام.. يعنى يوم الخميس"

فسألتني باستغراب

- "انت حجزت"؟

- "ايوه حجزت"

- "حجزت قبل ما تقولى"

- "حجزت لانى عارف إنك مش هتتخلي عنى"

ابتسمت بحنو ثم اختفت بالداخل واتجهت أنا إلى شقتي، جمعت معلومات كثيرة خلال يومي ما قبل السفر.. معلومات لم أكن اعلمها ولم أحاول البحث عنها يوماً ما.. عرفت الكثير والكثير عن يارا.. معلومات أخفتها عني.. لم تشاركني يوماً ولم تحملني همها وسرها.. فلقد علمت من صديقي بأنها الأبنة الوحيدة لرجل أعمال راحل وأن والدها توفي إثر تعرضه للإفلاس.. ثم مرضت والدتها وتوفت بعد ستة أشهر من وفاة والدها.. ثم تولى عمها رعايتها كاملة.



في صباح يوم الخميس اتصلت بها أسألها إن كانت جاهزة أم لا.. فأخبرتني بأنها جاهزة، فطلبت منها انتظار اتصالي، وكنت قد اتفقت مع السائق أن يأتي لي مبكراً لينقلنا إلى المطار وها هو يجلس بالصالة.

انتهيت أخيراً وبعد عناء من تحضير حقائبي ونزلنا بهم وعندما وصلنا إلى منزل صديقتها اتصلت بها وطلبت منها النزول، وكنت قد انتظرتها عند باب الأسانسير.. فما إن نزلت حتى استقبلتني بابتسامة جميلة.. فأخذت منها الحقائب ووضعتها في السيارة وانطلقنا متوجهين إلى المطار.. يسبقني قلبي إليه.. ولم أكن لوحدي بل كانت هي أيضاً شاردة وعيناها تطوف بين حروف الكتاب الموضوع بين يديها، وصلنا المطار ثم أنزلنا حقائبنا وودعنا السائق، لم نصل مبكراً فلم يتبق كثيراً على الإقلاع ولذلك ما إن وصلنا حتى صعدنا الطائرة، وخلال ساعات السفر لم نتحدث.. حتى أنها قد تناولت شرابها بصمت، لا أعتقد بأن هذا الكتاب هو من أخذ تفكيرها ولكن بالتأكيد هناك أمور أخرى تشغلها وتسجنها.. ولذلك هي غير مدركة لما حولها.

وصلنا مطار القاهرة وكانت هناك سيارة تنتظرنا، أخرجنا الحقائب وفتح لنا السائق الباب وعندما كان يحمل الحقائب أوقفته رقية:

- "دى لا"

فنظرت إليها متسائلاً:

- "انتى مش هتيجى معايا"؟

فأجابتني مبتسمة:

- "انا هروح بيتنا.. علشان اهلى وحشونى جداً"

- "والفرح"؟



- "ما احنا هنكون على اتصال"

- "طيب اركبى هوصلك"

- "مش لازم"

فابتسمت متحدثاً بحزم:

- "اركبى"

فركبت السيارة ونظرت إلى من الداخل وهى تحاول تغير معالم وجهها بالتكشير ولكنها لم تفلح في ذلك فما إن ابتسمت حتى ابتسمت وهى تضع عيناها في كتابها.

انطلقنا بالسيارة وكنت حينها حائرًا بين جمال القاهرة وبين روعة رقية الجالسة بصمت والتي تبتسم بين الحين والآخر في استحياء وعيناها تهرب من عيني التي تنظر إليها كل ثوان.. وبعد أن استغرقنا بضع دقائق بالسيارة.. وضعت يدي على صفحة الكتاب.. فتركت عيناها الكتاب والتفتت إلي:

- "انتى مزهقتيش من القراءة.. سيبى الكتاب وبصى على البلد.. ولو مش عايزه بصيلى انا"

- "لا انا ابص لمصر"

قالتها ثم ابتسمت وهي تستدير بعينيها لتشاهد جمال المحروسة وأنا ايضاً شاركتها في ذلك وأخذت أشاهد جمالها ممتزجًا بجمال رقية.

أخذت ترشد السائق يميناً ويساراً حتى وصلنا إلى منزل متواضع في حي من أحياء مصر الجديدة.. لم أسألها ولم أرد أن أُثير في نفسها شيئًا ولكن ما إن رأيت ذلك حتى تذكرت ما قالته لي بشأن دراستي واستهتاري بها وأنا الذاهب للدراسة فقط، دون معاناة دون الحاجة



للعمل أو البحث عن المال.. ورغم توافر كل شيء من مال ومكان وظروف إلا أنني لم أقم بفعل الصواب ولم أجتهد وأبذل شيئًا مقابل تعليمي ولولا وقفوها بجواري لكنت الان تائهاً شريداً ذاهب العقل منعدم الروح والقلب.

اللحظة هي اللحظة التي آمنت فيها بكل ما قيل وعذرتها عما فعلت مع أنني لم أملك العذر بل كان من العدل أن أعتذر لها عما فعلته لها وما تسببت فيه بطيشي وجنوني، نزلنا من السيارة، وكان السائق قد وضع الحقائب ثم عاد إلى مقوده.. وقبل أن أقول أي شيء وقبل أن أحدثها عن يوم الزفاف، فجأة هجم عليها طفلان فيهما شبه كبير منها، وأخذا يحتضناها بلهفة وهي الأخرى كانت تحتضنهما وتقبلهما بحب واشتياق.. لم أرد أن أقطع لحظتهما ولم أنادي عليها عندما ذهبت معهما.. حاملة هي حقيبة وكلاهما حقيبة.. تركتها وذهبت وكنت قد حصلت على رقم تليفونها الأرضي..

لم أذهب لأستريح ولم أهتم حتى بالتقاط أنفاسي، فسرعان ما ذهبت إلى الشركة وطلبت من السائق أن يوصل الحقائب للفيلا..

ذهبت للشركة لمقابلة صديقي ولكن ما إن وضعت قدمي حتى استقبلت الكثير والكثير من التحيات الطيبة من عمال وموظفي الشركة، حتى وصلت إلى غرفة المدير الذي لم أتوقع قدومه ولكنه هنا.. أخي.. رغم يقيني بأن عمله هو أهم شيء في حياته تقريباً، فهو قد يفعل أي شيء على الإطلاق حتى يفوز بصفقة.. لكي يبقى في الريادة كما تركه الوالد.. لا يتنازل أبداً عن عمله ولو خُير بين عمله وأنفاسه قد يختار العمل ويترك أنفاسه ترحل بسلام.

استقبلني استقبالاً حاراً ثم أخذنا نتحدث عن العمل في الشركة وتقييم ناصر الجيد في وجهة نظر أخي.. ثم تطرق لدراستي بعض الشيء وما قمت به هذا العام، ولكن ما إن جاءه هاتف حتى استأذن مني لمقابلة عميل وطلب مني الذهاب للبيت وانتظاره هناك حتى يأتي، ولكني خرجت من مكتبه إلى مكتب صديقي.. فاستقبلني صديقي بالأحضان وطلب منى الجلوس ولكنى رفضت وطلبته منه أن يستأذن من مديره لنذهب إليها أينما تكون.. فاندهش من طلبي هذا وتسرعي ولهفتي عليه لهذه الدرجة.. رغم أنني قد أعلمته مدى حبي لها.

استجاب لي في النهاية وذهب ليستأذن من مديره.. وأثناء هذا الوقت قابلت "مي" التي استقبلتني بسعادة حاضنة معتذرة معاتبة.. فاستقبلتها مرحباً مبتسماً وأخبرتها بأنه ليس هناك داعي للاعتذار.. فأنا أعلم ظروفها وظروف عملها حتى ولو كان من الممكن أن تطمئن علي إلا أنني مسامحها ولست غاضباً منها.. وأثناء حوارنا هذا أتي صديقي فاستأذنت منها ووعدتها بأنني سألتقي بها في المساء وسأحكى لها عن كل شيء تريد سماعه.

انطلقنا بسيارته متوجهين إليها.. كنت أحدثه جملة ثم أهرب منه إليها ولا أعود له إلا إذا أعادني هو.. بعد أن قطعنا مسافة كبيرة توقفنا أمام فيلا فنزل صديقي ثم أنا من بعده ونظرنا إلى الاسم المكتوب وكان يجمل اسم رجل الاعمال حسين كمال.. قرأ صديقي الاسم ثم ضغط على "الانتركم" محاولاً استدعاء أي أحد ولكن لم يجب أحد.. حاولنا كثيراً وانتظرنا أن يجيبنا أحد من الداخل ولكن أبدًا لم يجب أحد، وما إن اقتربنا من اليأس حتى سمعنا صوتاً يجيب بقطع الانفاس.. لحظات



وظهر لنا شخص من الداخل يرتدى بدلة الآن.. يأتي مهرولاً، ثم وقف خلف البوابة المغلقة وسأل وهو ينهج:

- "ايوه يا اساتذة.. عايزين مين"؟

فأجابه صديقي:

- "البشمهندس حسين"

- "لا والله البشمهندس مش موجود.. مسافر"

فسألته أنا:

- "والآنسة يارا"؟

فنظر إلي مستغرباً متردداً:

ولكنه أجاب:

- "الأستاذة في الفيوم.. في فيلا المرحوم"

- "فين بالتحديد"؟

- "معرفش"

فحدثته بعصبية:

- "إزاى متعرفش"

نظر إلي صديقي مسرعاً وهو يجذبني من يدي، ويشكر الحارس، ركب سيارته وطلب مني الصعود فاستجبت له بعد أكثر من مرة.. وعندما رأيت يده تتحرك لتشغيل السيارة أوقفته بقوة:

- "انا مش همشى إلا لما اعرف هى فين"

- "هنروح هناك وهتعرف"

- "انت فاكر الفيوم صغيرة"؟

- "ممكن تهدى شوية"



- "ادينى هديت.. نعم"؟

- "انت لو كنت صبرت كنت قولتلك انى اعرف فيلتهم اللى فى الفيوم"

فسألته بلهفة"

- "بجد"؟

فأجابني مبتسماً:

- "ايوه بجد"

انطلقنا بعد ذلك إلي هناك مسرعين متعجلين حتى أنني رفضت التوقف لنأكل واكتفيت ببعض الأطعمة البسيطة التي يمكن تناولها في الطريق.

وصلنا بعد ساعات إلى الفيوم وقد أخذ منا الإرهاق ما أخذ.. فلم يتبق لي سوى القليل من الطاقة والقوة التي تساعدني وتبقيني يقظاً حتى الآن وربما دقائق قليلة أخرى إن لم تكن دقائق معدودة.

وصلنا إلى منطقة ريفية نسير على طريق ترابي ضيق.. وتوقفنا عدة مرات لنسأل عن فيلا المرحوم جمال حسين.. فأرشدنا إليها أحدهم بيده.. فوصلنا إلى الفيلا وكنا في الليل بعد غروب الشمس بساعات قليلة.. كان يجلس أمامها شخصان يحيطان ببعض الأخشاب المشتعلة.. وما إن توقفنا حتى نهض أحدهما مسرعاً يلملم جلبابه.. قادم نحونا ممسك ببندقية.. فنزلنا من السيارة، فبادرنا:

- "عايزين مين يابهوات"؟

- "الآنسة يارا"

- "وحضرتك مين بقى"؟

- "انا صديقها"
- "اهلاً بحضرتك"
- "هى موجوده"؟
- "لا والله.. دى لسه ماشية من ساعة كده"

أغضبني ذلك ولكني حاولت ألا أظهر غضبي:

- "مشيت راحت فين"؟
- "رجعت على مصر"
- "طيب معاكش رقمها"؟
- "لا والله يا بيه مش معايا"
- "طيب شكرا"
- "رايحين فين تعالوا نسقيكم شاى"

فابتسمت له ابتسامة مجبره قبل أن أذهب:

- "شكراً"

صعدت إلى السيارة ولدي أمر بداخلي بأن أستكمل طريق العودة دون تأخر ولكن ما إن شرعت في فعل ذلك حتى تراجعت بعد أن شعرت بإرهاق صديقي وأنا ايضاً كنت أكثر منه إرهاقاً.. كما أن الوقت متأخر ونحن الآن في مصر.

أصغيت له وأقمنا في أول فندق قابلناه بعد تناولنا وجبة في إحدى المطاعم المنتشرة في الفيوم، وما إن سكنا الغرفة حتى غرقنا في النوم.. ولكن رغم إرهاقي ورغم حاجتي للنوم ورغم أنني بالفعل أغوص في نوم عميق إلا أن عقلي الباطن ما زال يتذكرها وما زال يطاردها محاولاً اللحاق بها مهما كلفه الأمر.

استيقظت من نومي متأخراً.. استيقظت وكانت ساعتي تشير إلى الحادية عشر صباحاً، فانزعجت من ذلك وأيقظت صديقي مسرعاً حتى نهض مضطرباً.

سألني عن سبب صرخاتي وإيقاظي له بهذه الطريقة القاسية، فأخبرته بأن الوقت قد تجاوز الحادية ويجب علينا الإسراع لنصل إلى القاهرة مبكراً.. فنهض منزعجاً لأنه لم يحصل على حقه في النوم بعد، وأثناء ما كان يغسل وجه كنت قد طلبت القهوة فشربناها سريعاً ثم أسرعنا وخرجنا من الفندق ومنه إلى القيادة المتسرعة.. أقود وعقلي لا يهدئ من التفكير، وأثناء قيادتي أتاني العديد من المكالمات التي لم أجب عنها وكان صديقي مستلقٍ بجواري على النافذة، نصف نائم..

وصلنا إلى القاهرة في وقت قياسي وما إن وصلت إلى القاهرة حتى أخذت طريقي إلى فيلتها وأسرعت أسأل الحارس عنها فأخبرني بأنها خرجت ولا يعلم متى ستأتي.. فطلب منى صديقي أن نذهب ونأتي في وقت لاحق.. وبالفعل ذهبنا، وأوصلني إلى منزلي ثم ذهب هو.. دخلت الفيلا فاستقبلني بحفاوة وعانقني عمى عبده بحب شديد، فهو من رباني منذ صغري.. ثم سألني أين كنت فأخبرته بأنني كنت عند صديقي ثم أخبرني بمدى سعادته بعودتي وكيف عاد الضوء إلى البيت بعد أن كان مظلماً، وأخبرني أيضاً عن أصدقائي الذين أتوا لي بالأمس وسهروا كثيراً واتصلوا بي أكثر ولكني لم أجيب على أي اتصال، أخبرني كل شيء ثم طلب منى الذهاب للنوم وهذا خير ما قال، فأنا في حاجة إلي نوم عميق في أمس الحاجة إليه.

صعدت إلى غرفتي المرتبة وألقيت بجسدي على سريري الذي

اشتقت له.. حاولت كثيراً أن أنام ولكن النوم رفض راحتي، والتفكير رفض رحمتي..

دار صراع بداخلي أجبرني على النهوض والسير إلى الجراج وأخذت سيارة وذهبت بها إلى هناك، سألت الحارس عنها فأخبرني كما أخبرني سابقاً بأنها ليست موجودة ولكن هذه المرة كانت لهجته لهجة استبعاد، يريد أن يبعدني، والدليل على ذلك بأن علامات الغضب ظهرت عليه عندما وجدني أبطل السيارة وأنا جالس بداخلها أنظر للفيلا.

انتظرت ساعات رأيت خلالهم ظل خلف الستارة وكأنه ينظر إلي بين الحين والأخر وأيضاً الحارس كان يأتي لي بين الحين والحين ويطلب مني المغادرة بطريقة مهذبة، مثل أن يخبرني بأنها لن تأتِ إلا متأخراً أو أن وجودي هنا يسبب الشك أو أن الجيران تسأل في قلق عن سبب وقفتي، كلها حجج ومحاولات فاشلة لإبعادي، لكني أبداً لم أستجب لأي من تلك المحاولات، وعندما سألته عن الظل فأخبرني بأنها ربما تكون إحدى الشغالات ومن بعدها لم أر هذا الظل أبداً، وعزمت على البقاء حتى أضع لحيرتي وعذابي حداً لأنني اكتفيت ولا أستطيع النوم بهذه الحالة التي يرثى لها.. وأثناء انتظاري ومتابعتي وتفكيري الحائر جائني اتصال من رقية تطلب منى الذهاب إلى دريم بارك فهي هناك ومعها الطفلان.. لم أستطع الاعتذار فليس هناك عذر.. ولذلك وافقت وأسرعت إليها وقد لاحظت نظرة الراحة على وجه الحارس وهو يراني أغادر بعد ما قضيت ما يقرب من نصف يوم أمام الفيلا.. ذهبت إلي رقية وكانت في قمة سعادتها، كانت السعادة تغمرها من عينيها حتى

جسدها المهتز فرحاً.. كانت تشارك الصغار الفرحة وهي تقف بعيداً.. ولكن ما إن رأتني حتى جذبتني واجبرتني مازحة على ركوب الأرجوحة الطائرة..

ركبت معها وامتزجت بفرحتها حتى فرحت.. ليست الفرحة وحدها بل إن الفرحة طردت كل الأفكار من رأسي ولم يبقَ في عقلي سوى السعادة والاستمتاع بالأوقات السعيدة مع من تحب.. وكان أجمل ما حدث هو حمايتها في وتمسكها بذراعي بقوة، عندما تكون خائفة.. كان هذا من أجمل اللحظات التي عشتها، فمن الرائع أن تشعر بأن هناك من هم في مسئوليتك ومن يحتمون بك ويستمدون الأمان منك.

قضيت يوماً من أجمل ما قضيت وفرحت فيه وكأنني لم أفرح من قبل، ولم يكن هذا اليوم فقط، بل كان هذا اليوم بداية.. فلم تعد تتركني وحدي بل جعلتني أشاركها في كل شيء تقريباً.. عرفتني بعائلتها، والدها الموظف البسيط في شركة المياه ووالدتها ربة المنزل الأم الطيبة التي كانت تغمرني بحنانها وخوفها علي وخاصة عندما علمت بأنني يتيم الام والأب.

رغم اندماجي معهم ورغم أنني وجدت نفسي بينهم أفضل وبحالة جيدة ووجدت بينهم الفرحة التي طالما بحثت عنها، إلا أن ذلك لم ينسيني هدفي وكنت كثيراً ما أذهب إلى الفيلا لأسأل عنها ولكن كانت محاولات فاشلة فالإجابة كانت واحدة.

- "مش موجودة ومش عارف مكانها"

استمر ذلك مراراً وتكرارًا ولم أيأس يوماً، ولن أنكر بأن وجود رقية خفف عنى كثيراً ومنع الكثير من الأحزان التي حاولت اختراق



قلبي.. حتى أنها لم تتركني وأنا أنظم حفلة أخي، بل كنت أشاركها الاختيار وكانت اختياراتها صائبة.. ولأنها كانت معي تلازمني أوقاتاً كثيرة أعطى ذلك الفرصة لها ومي بأن يصبحا صديقتين، بل صديقتين مقربتين كما أخبرتي مي التي أعجبت جداً بها وبشخصيتها المبهرة، وكانت كلما أرادت إثارة غضبى وغيظي أخذتها مني لعلمها بأنني لا يمكنني الاستغناء عنها.. لا أنكر بأنها كانت تقترب كل يوم مني أكثر من ذي قبل وكنت أفرح جداً عندما تكون معي وأغضب عندما تتركني لأي سبب كان حتى ولو من أجل أهلها.

لم تتركني يوماً ولم أشعر معها بالوحدة بل كانت حياتي مكتملة وممتعة، استمرت سعادتي حتى يوم زفاف أخي.



قبل الزفاف بساعات قليلة وبعد أن هندمت حالي وجهزت سيارتي للذهاب معه ليأتي بالعروسة التي لم أرها قط.. كنت في أتم الاستعداد للذهاب معه لنأتي بها إلى القاعة.. ولكنه طلب مني الذهاب إلى الفندق لاستقبال المدعوين.

فوافقت وأثناء ذهابي للقاعة اتصلت برقية وسألتها أين هي فأخبرتني بأنها في منزلها تستعد فطلبت منها انتظاري، وبالفعل ذهبت إليها وتأملتها كثيراً، فلقد كانت جميلة جداً بثيابها الأنيقة التي زينت جمالها لتكون فائقة الجمال، وزاد الخجل من جمالها واحمرار خديها وعينيها اللتين تحاولان التهرب من نظراتي الثاقبة وابتسامتي الفاحصة المحلقة بجمالها.

استمرت عيني ثابتة متصلبة مبتسمة لجمالها وتستمد من جمالها

سعادة لا توصف ولكنها للأسف سعادة مؤقتة، وكان من الممكن أن أظل على حالي لو لم يأت الشقيين لينبهاني من حلم كنت أعيشه.

صعدنا السيارة فاتجهنا إلى القاعة، رافقتني ورافقتها عيناي، وكثيراً كانت تحاول إخفاء عينيها عني عندما تراني أنظر إليها عبر المرآة، لم أكن أعلم حقيقة شعوري ولما كان قلبي يرتجف وهو معها؟ هل كان يخشى شيئًا ما؟ هل كان يحاول الهروب من أمر لا أعلمه؟ لا اعلم ما سر هذه النبضات المضطربة، فقلبي معها ينبض بشكل مختلف.. بلحن مختلف، حتى عيني لم تعرف الفرح في هذه الايام إلا معها فقط.

وصلنا إلى القاعة فأخذت مي رقية وذهبتا لتشرفان على الترتيبات وبقيت أنا لاستقبال المدعوين ولكن ما إن تركتني حتى انهالت كل الأفكار المؤلمة ونبض قلبي باشتياق ولهفة وانتظار، فرغم سعادتي وابتسامتي الجامدة الروتينية لاستقبال المدعوين إلا أن قلبي كان ينزف.. ينزف مشاعر وذكريات وحنين كان ينزف بقوة، بطاقة هائلة، حتى أن قلبي تعجب منه ومن هذا التوقيت السيء الذي اختاره وكان سؤاله المتكرر.

- "لماذا الآن يا قلبي"؟



(4)

أخذت أستقبل الناس بنصف فرحة بنصف فكر بنصف ابتسامة، استقبلهم باليد والعقل شارد، استقبلهم بالابتسامة والفرح غائب، دقائق وأعلنت الموسيقى عن قدوم العروسين، فأسرعت لأقف أمام باب القاعة لألتقط أول صورة لهما، صورة وضعت في برواز الوجع، برواز الجرح والعذاب، صورة تستحق جائزة العالم.. فمن النادر أن يلتقط الحبيب صورة حبيبته ليلة زفافها......

نعم إنها هي حبيبتي، لا بل إنها زوجة أخي، نعم إنها زوجة أخي، هي الفتاة نفسها رفيقة الطائرة صاحبة العيون السماوية، هي صديقة الدراسة و.... لا يمكنني الآن نطقها رغم أن قلبي يصرخ بها، لم أتوقع يوماً بأنني سأقف هكذا بأنني سأستقبلها في زفافها وأني سأكون عاجزاً باكياً استقبلها وأبارك لها على عريس ليس أنا.

لا أصدق أبداً ما أنا فيه.. آآآآه ألهذه الدرجة نحن ضعفاء، يحطمنا ويلعب بنا القدر كما يشاء وكأننا دمى بين يديه؟

سالت الدمعة على خدي فلحقتها، فجذبتني رقية بعيداً عنهم ومسحت بمنديلها دموعي، ثم حدثتني بعين دامعة:

- "يوسف.. دا فرح اخوك.. اخوك.. فوق كده وركز وروح باركله".

- "مش قادر يا رقية مش قادر"

أمسكت يدى وهى تحدثني وقد اعتلى الحزن لهجتها"

- "حاسه بيك يا يوسف.. حاسه بيك.. بس دا قسمة ونصيب.. ولازم



نرضى بيه حتى لو كان قاسى"

ثم رسمت ابتسامة ماسحة:

- "امسح دموعك وروح بارك لاخوك"

وبالفعل استمعت لها وأسرعت لأخي دون أن انظر إليه حتى لا يرى ما تخفيه دموعي، احتضنته وضممته إلي بقوة:

- "الف مبروك يا اسامة.. الف مبروك"

- "الله يبارك فيك .. عقبالك"

ضمني هو الآخر بقوة، ثم مددت يدي بعد ذلك لأبارك لها وعيني تعتصر عينيها.. فمدت يدها لتستقبل تهنئتي وقد لمعت عيناها وهي تجيبني بصوت خافت مدفون داخلها:

- "الله يبارك فيك"

باركت لها ثم أسرعت إلى الغرفة المحجوزة لهما، وأخذت أبكى وأبكى.. أبكى بصوت مرتفع لا يعلوه شيء سوى بكاء قلبي، وبعد لحظات انتبهت على صوت الباب وهو يفتح فارتبكت وأنا أمسح دموعي وأنظر للقادم وإذا برقية تدخل وإذا بجسدي يرمي نفسه بين يديها وقد سبقته روحي إليها، أخذت أبكى في أحضانها، أخذت أحاول الخلاص مما أنا فيه، وجودي بين أحضانها منحني الأمان والطمأنينة.

لم أبكِ من قبل أمام أحد ولكن اليوم اجهشت بالبكاء واستنفذت ما لدي من دموع دون خوف أو تردد.. بعد الكثير والكثير وبعد أن أفرغت ما في مقلتي من عبرات الحزن والأسى وبعد أن شاركتني هي ببعض ما لديها من دموع.

جلسنا على حافة السرير وكنت كالطفل أستمع إلى كل ما تقول،

طلبت منى أن أكف عن البكاء فاليوم ليس يومه والمكان ليس مكانه.. تذكرني مراراً وتكراراً بأن اليوم هو فرح أخي وبأنني الأخ الوحيد له ويجب عليه مشاركته هذا اليوم بكل ما بداخلي من طاقة وأن أخفي دموعي حتى لا يكتشفها فلم يعد من الصواب ولن يفيدني البكاء في شيء، طلبت منى النزول والوقوف بجانبه، فاستمعت لها ونزلت القاعة وأخذت أرقص وأرقص، أرقص بهذيان، أرقص وأندمج في الرقص حتى لا أنظر إليها، أخذت أرقص لأطرد طاقة الحزن من داخلي.. لم أستطع أن أمنع عيني من النظر إليها ولكن كلما نظرت لها كلما رأيت لمعان عينيها، انتهى اليوم ولكن لم تنتهِ أحزاني..



أخذت المفاتيح من عمي عبده وذهبت إلى شقة الساحل، بعد أن طلبت منه وأكدت عليه ألا يخبر أحداً بمكاني، ذهبت إلى الساحل لأحرر نفسي، ذهبت إلى هناك طالب النسيان.. أحاول أن ألقي بأحزاني في البحر حتى أعود بلا أحزان.

قضيت أسبوعاً لم أفعل فيه شيئًا سوى الاستمتاع، لم أحدث أحداً غير البحر، نتحدث ساعات الليل وبعضاً من النهار وأحياناً كان القمر يشاركنا الحديث، حتى صرنا أصدقاء ولكن القمر لم يكن صديقي كالبحر، فالبحر عندما أحتاج إليه أجده أما القمر فلا يستجيب لاحتياجي. حاولت أن أقنع نفسي حتى اقتنعت بأن أمر يارا أصبح أمراً مفروغًا منه، ولا يمكن استرجاعه أو التفكير فيه، فهي الآن زوجة أخي.. وحتى لو افترقا أو حدث شيء بينهما لا يمكنني حينها أن أكون معها وكيف أكون معها وهي من تخلت عني؟

هي الآن محرمة عليا تحريماً تاماً.. وأن ما أنا فيه من أحزان يقيدني، يجعلني لا أرى لوناً سوى اللون الأسود، وأما الابتسامة فهي تنسحب منى شيئاً فشيئاً، في الوقت الذي تعيش فيه هي سعيدة تمرح في أحضان زوجها، فلماذا أعاني كل هذه المعاناة، لماذا أبكي وأصرخ وجعاً على فقدان إنسانة لم ترَ عيناها الدمع من أجلى، إنسانة لم تحاول الوصول إليّ كما كنت أحاول وأحارب من أجلها ومن أجل فقط أن أراها.

قضيت أسبوعاً، أسبوعاً عادت فيه ابتسامتي بعض الشيء، عادت الحياة بعض الشيء، وعاد نبض القلب ولكنه أيضاً لم يعد كاملاً بل عاد بعض الشيء. ولذلك عندما لمس أحدهم كتفي وأنا أجلس أمام البحر، التفت واستقبلته بابتسامة رغم عدم معرفتي به، ولكن قلبي ونفسي يعرفان أو يعتقدان حتى صار الاعتقاد يقيناً، نهضت وسلمت عليها ثم أمسكت طرف أصابعها وأنا أنظر إلى عينيها الباسمتين.

- "تتجوزيني"؟

اتسعت عيناها من الصدمة والدهشة.. وسألتني مرتجفة مبعثرة الحروف، بنبض كاد أن يصل إليّ من كثرة اضطرابه:

- "ايه"؟!

فنطقتها مرة ثانية ولكن ببطء شديد بنبض ونفس تتوج الحروف:

- "بقولك.. تتجوزيني"؟

نطقت بلهجة حزينة:

- "عايز تتجوزني علشان تنساها"؟

- "لا علشان بـ........"

وضعت يدها على فمي:

- "بلاش تقولها.. متشيلش نفسك حمل تانى على حملك"

أصابني الصمت فلا أعلم ماذا أقول ولا أستطع القول، بالفعل لقد خرجت الكلمة وهي تحرق حلقي.. حتى أنها وقفت في طريقها ورفضت الخروج.. رفضت تكذب كما كذبت.. صمتًا وعجزاً أمامها، عجزاً عن النطق عن تقديم مبررات توضح السبب الذي جعلني أتقدم على هذه الخطوة، فاستكملت حديثها وأنا لا أقوى على الحديث:

- "انا عارفه إني هكون مجرد أداة تنساها بيها وعارفة بردو انك مستحيل تنساها"

أصابني الحزن من حديثها ووصلني الرفض من تعبيراتها الحزينة التي تخبرني بما هو داخلي تخبرني بما أحاول أن أخفيه عني وعنها، تفضح أكاذيبي وتحيي بداخلي دموعاً توهمت دفنها، لم تجاوبني صراحة ولكن كلامها لا يحتاج لتوضيح فقد نطق بكل شيء، نطق برفضها ونكرها لهذا الطلب الأحمق الذي تسرعت في طلبه، ربما لم تقلها صراحةً حتى لا تجرحني حتى لا تزيد عذابي وآلامي وما إن وصلني ردها حتى انسحبت من أمامها، ذهبت لأهرب من عينيها، ذهبت دون كلمة، دون حرف، ذهبت لأخفي دموعي التي تتجمع الآن في مقلتي. ولكن قبل أن أختفي من أمامها أوقفتني بصوت هادئ دافئ حنين:

- "يوسف"

التفت لها فوجدتها تقترب منى ببطء شديد.. تقترب بخطوات مهتزة تقترب وفي عينيها ابتسامة دامعة، وقفت أمامي لتخبرني وتخبر العالم

كله بأن اليوم هو يوم سعادتي:

- "يوسف.. انا موافقة يا يوسف.. موافقة اتجوزك"

اقتربت حتى صارت أمامي، تقف وتنظر إلى عيني وتمسح بيدها دموعي، ثم استكملت ما بدأته وما أثار بداخلي الكثير والكثير من التساؤلات:

- "موافقه لاني عارفه إنك هتحاول تنساها... موافق لأنى.... لأنى بحبك"

تصلبت مصدوماً سعيداً عاجزاً عن الرد ولكن مشاعري لم تعجز عن ذلك.. فلقد ازدادت نبضاتي وتحركت شفتاي تعبر عن مشاعرها واقتربت منها أكثر فأكثر حتى كادت شفتاي أن تسكن شفتيها.. لولا أنها وضعت يدها حاجزاً وهي تبتسم:

- "مفيناش من شقاوة"

قبلت يدها واعتصرتها بين أحضاني وأنا أحملها وأدور بها كالمجنون، فليست هناك قوة تفوق قوة الحب، عدنا حالمين سعداء محلقين إلى القاهرة، وكانت الساعة تقترب من العاشرة مساءاً، ذهبت هي إلى منزلها لتحدد لي موعداً.. وعدت أنا إلى منزلي.

استقبلني عمى عبده حاضناً مرحباً، وكانت هي جالسة في الصالون تنظر إلى صفحات الكتاب الموضوع بين يديها..

- "حمد لله على السلامة يا يوسف يا بنى"

- "الله يسلمك يا عم عبده.. هو فين أسامة"؟

- "البشمهندس لسه مجاش.. الاستاذة بس هى اللى هنا"

فالتفت حيث أشار بيده فاصطدمت عيناي بعينيها الباردة، فلم أبالي

لها واتجهت إلى غرفتي بعد أن طلبت من عم عبده أن يخبرني بوصول أسامة.

اتصلت برقية وسألتها خائفاً مضطرباً.. ما إذا كانت قد تسرعت في الموافقة وهل تحتاج مزيداً من الوقت في التفكير، أخبرتها بأنني لا أريدها أن تندم فيما بعد.. لا أريد أن أكون أنانياً، لا أريد راحتي وأنسى راحتها، لا أريد حياتي مقابل موتها.. تحدثت معها كثيراً عن هذا وسألتها تكراراً ومراراً.. هل تريد مزيداً من الوقت للتفكير.. فلم تجيبني إلا بكلمة واحدة:

- "بحبك"

كلمة حركت وجداني وصرخ قلبي مردداً لها.. ورغم صيحات قلبي ونبضاته المرتجفة إلا أن ذلك لم يحرك لساني للحديث رغم تحرك شفتاي.. مازال لساني عاجزاً سجيناً بداخلي أم بداخل الذكريات.. حاولت أن أنطقها، حاولت أن أبوح بها ولكن كلما حاولت النطق أشعر وكأن شيئًا يجذبني.. يخنقني.. يكتم أنفاسي.

لم ينجدني ويخلصني من عذابي سوى طرقات عم عبده المتكررة.. يخبرني فيها بقدوم أخي، فسألتها هل حددت لي موعداً مع والدها فأخبرتني بأنه قد أخبرها بأن يوم الجمعة مناسب جداً لزيارتهم وبأنهم سينتظروننا بعد الصلاة، فاعتذرت منها دقائق أخبر فيها أخي.. نزلت إلى أخي وكان جالسًا على حمام السباحة يشرب قهوته.. وما إن رآني حتى ابتسم وما ان اقتربت منه حتى بادرني بالسؤال:

- "كنت فين.. اختفيت فجأة"؟

فاستقبلته باسماً مازحاً:

- "انا قولت عريس بقى"

فهز رأسه باسماً.. فنظر إليها لحظات وهي تضع عينيها أرضاً:

- "انا كنت عايزك فى موضوع"

- "موضوع ايه"؟

ترددت لحظات ثم أجبت

- "انا هخطب"

انتفضت هي في جلستها وهي ترمقني بغضب، وبنظرات مشتعلة.. ولكني لم أبالي لنظراتها، فاستكملت كلامي دون اهتمام بها أو بمعنى أصح أنني ادعيت عدم الاهتمام.. لم يسألني أخي عن العروسة بل أجاب هو:

- "هى....."؟

- "أيوه هى"

فأشار لي بالجلوس

- "أقعد.. هي بنت مين"؟

- "مش مهم بنت مين.. انا هتجوزها هى مش اهلها"

- "بس لازم تختار حد يناسبك"

- "وهى تناسبنى"

- "عندها ايه"؟

- "عندها اللى مش عند حد"

فسألني باستغراب:

- "اللى هو ايه"

- "عندها كل حاجة انا محتاجها.. كفاية انها تكون سندي في وقت

الشدة.. عندها اللي اى حد يتمنى يكون عنده أو انه يرتبط بإنسان بالمواصفات دى"

- "ودا هيفيدك فى ايه"؟

- "هيخلينى أعيش سعيد"

- "والعائد....."؟

فأجبته وأنا أنظر إليها:

- "حياة من غير كدب"

- "انت مصمم"؟

- "ايوه ومستحيل اغير قرارى"

فابتسم

- "خلاص.. الف مبروك"

فابتسمت وقد خيل لي بأن الابتسامة لن تأتي الآن:

- "الله يبارك فيك.. انا بعد اذنك حددت ميعاد"

- "حددت"؟!

- "ايوه الجمعة بعد الصلاة"

- "اوكي.. بس ابقى فكرنى"

فانتفضت فرحاً ولكني استغربت لها.. فعلامات الفرح تظهر عليها رغم الحزن العميق الذي يلون عينيها.. وقالت لي بصوت يستدعي القوة والرزانة:

- "ألف مبروك"

فابتسمت لها:

- "الله يبارك فيكى"

فنهضت واستأذنت للذهاب فسمح لي أخي فأسرعت وأنا أحتضن الموبايل بين يدي، مرت أيامي الثلاثة ثقيلة وأنفاسها بطيئة ونبضات قلبي مضطربة.

كنت كثير التفكير والخوف من هذا اليوم.. حاولت كثيراً استدعاءه ولكن كلما أتى لي أتى بالظن السوء.. لم يهدأ قلبي ولم تطمئن نفسي لحظة واحدة.. حتى أتى اليوم المنتظر.. ذهبنا إليهم وجاءت معنا وما إن قابلت رقية حتى احتضنتها وقبلتها وباركت لها بفرحة عارمة ليس لها نظير..

جلس أخي مع والدها واتفقا على كل شيء.. كان أخي سعيداً جداً.. تبدو عليه فرحة لم ألتق بها يوم أخبرته، جاءت وجلست بجواري واحمرار خديها يعلن موافقتها، كانت هي الأخرى تجلس بجوارها.. ولكني أبدًا لم أحاول النظر إليها بل إنني قاومت نظراتي وحاربت دقاتي وهدأت من روع أنفاسي المضطربة.. وكانت هي تساعدني في ذلك.. فكلما أنظر إليها كلما انشغل قلبي بها وكلما اطمأنت أنفاسي..

انتهت مقابلتنا بقراءة الفاتحة وتحديد الخطوبة بعد يومين والزفاف بعد شهر، اعترض الأب في بداية الأمر على موعد الزفاف.. لأن شهر غير كاف لترتيب كل شيء.. ولكن مع محاولاتي وتسهيلات أخي التي لم أتوقعها، بل والأغرب من ذلك هو موقف زوجة أخي والضغط على الأب حتى وافق.

كان من ضمن ما ذكرته هو أمر الدراسة الذي غاب عن عقولنا جميعاً.. فلقد استعجلتهم مبررة ذلك باقتراب الدراسة ولذلك يجب علينا الإسراع حتى نتمكن من قضاء شهر العسل وأخذ قسط من الراحة قبل

أن تبدأ متاعب الدراسة وقبل أن يزدحم اليوم بالعمل والدراسة معاً..

مر يوم الخطوبة ومن بعده الشهر المحدد.. مر بكل بساطة وهدوء دون تفكير في شيء مما مضى حتى أنه عندما كانت الذكريات تراودني بين الحين والآخر كنت أهرب منها في صوت وعين رقية.. فلقد كانت معي.. تعيش معي كل لحظة من لحظاتي.. لم تفارقني يوماً ولم تعط الفرصة لعقلي وقلبي أن يدبروا شيئًا ضدي، بل كانت كل خلاياه ونبضاته لها وحدها.. تتحكم بهم بابتسامتها ومرحها وحبها وكلماتها التي تحرك روح الوجدان.. لم أفكر لحظة في الأخرى.

لقد حرمت على التفكير فيها ولم أنظر إليها قصداً وإن التقت أعيننا مصادفة أجد العقل مشتتاً يهرب منها بالتفكير في أمر آخر.. مر الشهر كاملاً ورقية تحتضني وتحتويني بحب أنساني أنفاسي التي أظفر بها.. مر ثلاثون يوماً لم أشعر خلالهم بالألم والاشتياق والمعاناة.. حتى أنني أعتقد كذباً بأنهم لن يأتوا لي مجدداً وأنني تمكنت أخيراً من نسيانها.

لكن أبداً لم يكن ذلك صحيحاً، بل كانت كل اعتقاداتي خاطئة، وقد أدركت ذلك جيداً يوم الزفاف اليوم المرتقب بوابتي للحياة الجديدة، رافقتها من منزلها وأجلستها بجانبي على عرش الزواج، ولكن كلما نظرت لها كلما رأيت وجه يارا وكلما أمعنت النظر إليها كلما اكتشفت بأن هذا هو عرش رقية.. عرشها هي وليس هناك سواها.. آه.. يا له من ألم أشعر به وتتعذب به نفسي.. ما الذي يحدث لي، فأنا ما زلت في أول يوم، بل أول لحظة لحياة حلمت بها ورسمت وتخيلتها جميلة خالية من أي ذكرى مؤلمة.. ما ذنبها هي لنرتبط بإنسان له ماض، إنسان سجنته الذكريات وتقيده المشاعر، أي جريمة ارتكبت لتُعاقب بهذا العقاب؟ بأن

تبني حياتها وسعادتها وحريتها داخل رجل مسجون.

انتهى حفل زفاف وأنا كما أنا ما زلت تائهاً مشتتاً بين الحاضر والماضي.. انتهت حفلتي وأنا مضطرب قلق خائف.. أخشى مرافقتها في أكثر اللحظات خصوصية.. أخشى أن أكون معها بجسدي ومع يارا بروحي.. أخشى ظلمي لها رغم وعدي بألا أظلمها، أخشى أن أكون جانياً سجاناً لها، أخشى عليها من تقلباتي، أخشى عجزي في إقامة عالم لها وحدها، ليس لها سواي وليس لي سواها.. سكنت جراحي وظلت حيرتي كما هي.. ولكن ما إن سجدت لله راجياً داعياً حتى مُحي همي وحيرتي وعاد إليّ اتزاني وتميزي واستقرت نبضاتي وسكن الهدوء كياني، أهدى الله نفسي لي وأهداني لها..

رافقتني هي بروحها وجسدها ورافقتها أنا وكل قوى القلب والعقل والروح ملكها.. ملكها وحدها تحارب لها ومن أجلها.. لم نسافر لنقض شهر العسل بل قضيناه في أجمل بقاع العالم.. قضيناه في أروع الأماكن التي لم أشاهد مثلها في العالم.. قضيناها في مصر.. ففي مصر أماكن رائعة خلابة.. فلولا تراكم الأتربة عليها نتيجة الإهمال لرأى العالم جمالها وهم في أقصى بقاع العالم.

الذهب الموضوع في الوحل يراه الناس قطعه من الحجر يدوسون عليه غير مدركين ما تحت أقدامهم وكذلك المعالم والتراث بكل أشكاله وأنواعه؛ فإهمال التراث أخفاه، وهذا للأسف قمة المأساة.. فلو اهتممنا بعض الشيء بما نملكه لملكنا العالم بأسره ولجاء البشر من كل أنحاء العالم ليروا ما لدينا من جمال....

قضينا أياماً لا تنسى، أياماً ستظل خالدة إلى الأبد، لم أر منها سوى

الحب والاهتمام والعناية.. كانت لي الصديقة والحبيبة والأهل.. كانت لي كل ما أحتاجه في هذا الكون.. لم أحتاج لأحد ولم تترك لي الفرصة لأطلب منها شيئًا.. فلقد كانت تشعر بي من غير كلام وتمسح دموعي بلا دموع وتزيل جراحي التي تسكن بداخلي، والتي أخفيتها عن العالم كله، ولكني أبداً لم أستطع أن أخيفه عنها هي.....

*   *   *

عدنا إلى أمريكا.. عدت شخصًا آخر مختلف عما سبق.. فلقد أصبحت أكثر اهتماماً وانضباطاً.. لا أترك شاردة أو واردة حتى أهتم بها وأتبع خطوات عملها وتغير هذا تسبب لي في الكثير والكثير من التعب، فلقد انتابني الشك كثيراً في بعض الصفقات التي تبرمها الشركة وشعرت بأن هناك شيئًا مريبًا وأنهم يقومون بأشياء مخالفة، ولكن عند دراسة المحاولات والتمعن وبعد الكثير من المجهود والجهودات.. لا أجد شيئًا، لا أصل إلى شيء، فكل وصولي ونهاياتي مسدودة.. مما يزيد شكي وحيرتي.

هل أنا على صواب في أمرهم أم أنني على خطأ؟ وأن ما أشعر به ما هو إلا ظنون وشكوك ليس لها أساس.. وأما عن جامعتي فلم أعد أترك محاضرة ولا أهمل شرحاً ولا أشرد عن كلمة.. كانت هذه هي حياتي، وهذا هو التغير الذي طرأ عليّ.. لا أعلم هل هذا التغير نتيجة الحياة الجديدة والمسئولية الملقاة على عاتقي أم أنه هروب من الحياة القديمة بكل ما تحمله من ذكريات.. أفراحها وأحزانها.. ضغط عملي ودراستي جعلاني مشغولاً دائماً.. متعلق بهم حتى أنني منشغل عن رقية.. زوجتي التي لا تشتكي.. التي تحتملني رغم كل ما تعانيه من



انشغالي.. تحمل مسئوليتي كاملة دون ضجر.. تحضر معي الجامعة ثم تذهب بعد أن تتناول معي الغداء حتى تتأكد من أنني قد تناولته.. تذهب لتقوم بشئون المنزل.. فهي حقاً زوجة رائعة بمعنى الكلمة.. فهي هدية من الله لي.

* * *

مرت شهور على هذا الحال.. حياتي بين دراستي وعملي ورفيقتي رقية.. وكان كل يوم وكل عملية يباشرها ناصر أشك في أمرها، وما يثير شكي ويزيد يقيني بأن هناك شيئًا مخالفًا هو أسلوب ناصر هذه الأوقات.. فعندما يقترب موعد تسليم شحنة أو تصديرها يحاول ناصر أن يبعدني عنها بأن يعطيني مهام في مدن مجاورة.. يكلفني بمهمة تتعبني وتمنعني من التواجد في الشركة أو المدينة بأكملها.

وفى يوم وبعد عشاء منتصف الليل.. سألتني رقية بلهجة مقيدة:

- "حبيبى....."

- "نعم"

صمتت وفي عينيها التردد والقلق، فسألتها:

- "فى ايه.. مالك"

- "يارا كلمتنى النهارده"

- "هى كويسة"؟

- "ايوه"

- "واسامة كويس"؟

- "ايوه.. كلهم بخير"

- "طيب الحمد لله.. فى ايه مالك"

- "اصلها طلبت منى ابعتلها المحاضرات"

- "ما تبعتيهالها"

- "يعنى انت مش هتزعل"؟

فابتسمت وجعاً:

- "وازعل ليه.. دى صحبتك وكمان مرات اخويا"

فابتسمت ابتسامة باهتة تخفى في أعماقها الكثير والكثير من الألم.. أعتقد بأنها لا تصدقني وأعتقد أن قلبي أيضاً لا يصدقني، حتى أنه نطقها صريحة واضحة وقال لي مؤكداً أكثر من مرة بأنني كاذب.. ليس هناك سوى العقل الذي يحاول تصديق نفسه ويحاول إقناعنا بما لا يصدق ولكنه أبداً لم يفلح في ذلك.. نمنا معاً في فراش واحد، ولكن أجسادنا وأنفاسنا مضطربة خائفة مبتعدة.. حاولت عدم إظهار ذلك، ولكنها نسيت بأننا أصبحنا واحدًا.. بأننا أكثر الناس وضوحاً أمام بعض، فالتصاق الأجساد عارية ليست للأجساد وحدها، بل هي لأرواحنا ومشاعرنا وكل ما يتعلق بكوننا بشرًا.

نحن نرى في أنفسنا ما لا يستطيع أحد رؤيته.. حتى التنهدات المعذبة تصل للقلب قبل أن تصل إلى النفس ومن ثم إلى الأذن.. نسيت بأننا صرنا جزءًا واحدًا.. جسدًا واحدًا.. روحاً واحدة.. تعرف جيداً ذلك وعلى الرغم من معرفتها إلا أنني حاولت كثيراً ادعاء غير ذلك، حاولت إخفاء دموعها وأحزانها حتى أنها بالغت بتمثيلها دور السعادة.. بالغت كثيراً حتى امتزج صوت الحزن بصوت ضحكاتها ولمعت عيناها دمعاً يتوسط لمعان فرحتها التي رسمتها لتخفف عني ما أعانيه ولتحاول ألا تجعلني أشعر بحزنها العميق الذي رافق كل نفساً

مضطرب تتنفسه.

مر اليوم دون أن أحدثها في شيء أو أن أخبرها بأنني استمعت جيدا لأنفاسها المتعبة وشاركت قلبها الشاكي وبكت عيني لدموعها التي ظلت حبيسة سجينة مقلتيها، مرت الأيام ولم أسألها ماذا فعلت فيما طلبته يارا منها حتى لا أثير في نفسها وجعاً آخر، يكفي ما حدث هذا اليوم، فدموعها ما زلت حية بداخلي.

(5)

وفى يوم ما، دخلت مكتب أحد الموظفين لأسأله عن عقد ما ولكني لم أجده فجلست على مقعدي أنتظره وحركت أصابعي شارداً فلمست الموس فإذا بالشاشة تفتح.. ولأنى كنت مستعجلاً على هذا الملف ولأني صاحب الشركة وأملك من الصلاحية ما لا يملكه غيرى، أخذت أبحث في جهازه عن الملف الذي أريده، وأثناء بحثي لاحظت وجود سجل مشفر، فاستكملت بحثي ولكن عقلي ما زال مشغولاً يفكر في أمر هذا السجل.. وعندما دخل الموظف فزع وغضب ولكنه ابتسم في النهاية وهو يحيني..

نهضت له وبعدت عن كرسيه ليجلس، وما إن جلس حتى سألته عن الملف الذي أريده.. فبحث عنه وعثر عليه سريعاً وأخبرني بأنه قد أرسله إلى جهازي.. فاتجهت للخروج ولكني توقفت وعدت له مرة أخرى فسألته عن السجل المشفر فأخبرني بأن المدير وحده هو من يعرف الباسورد، فزاد الشك بداخلي وزاد معه فضولي لمعرفة أمر هذا السجل.

ذهبت إلى ناصر في مكتبه.. مكتبه الذي لم أعد أذهب إليه كثيراً.. استأذنت السكرتيرة فأخبرته بوجودي، فأذن لي بالدخول.. وما إن رآني حتى وقف مكانه مبتسماً يمد يده مرحباً:

- "ياااه.. أخيراً نورت مكتبي"؟

فابتسمت له وأنا أصافحه:

- "اتفضل اقعد"

فجلست، فسألني:

- "تشرب إيه"؟

- "لا ملهوش لزوم.. انا لسه شارب.. انا جايلك فى موضوع مهم"

فامتعض وجهه ورحلت ابتسامته:

- "خير......"؟

- "انا عايز باسوورد الفولدر"

فارتجف وهو يسأل:

- "فولدر ايه"؟

- "الفولدر المشفر"

وما إن نطقت ذلك حتى احمر وجه من الغضب، وحاول تغير الموضوع:

- "قولى صحيح.. عملت ايه فى العقد اللى بعتهولك"؟

فأجبت بحسم وتحذير:

- "يا ريت متغيرش الموضوع"

- "لا ابداً مش بغير الموضوع.. بس دا ملف مش مهم"

- "اشوفه واقرر"

فحدقت عيناه منزعجاً:

- "تشوفه..."؟!

- "ايوه.. أشوفه"

صمت للحظات وكأنه يفكر في طريقة أخرى يهرب بها مني.. وفي النهاية نطق بحجة ليست منطقية وأسلوب لا يقتنع به طفل صغير:

- "الصراحة نسيته"

فنظرت إليه نظرة استهزائية وخاطبته بلهجة ساخرة

- "نسيت.. ماشى يا.... مدير" خرجت وتركته يستشيط غضباً كالمعتاد

اتجهت من فورى إلى "مختار" المهندس المصري الذي تعرفت عليه عن طريق المصادفة، ذهبت إليه في الشركة التي يعمل بها، وما إن طلبت منه المساعدة حتى ترك عمله وأتى معي، دخلت مكتب الموظف واستدعيت ناصر من هناك حتى لا يعاقب الموظف في أمر لم يرتكبه.. أتى ناصر وبدأ صديقي في العمل رغم محاولات ناصر المتكررة لتعطيله وإقناعي بأن الملف لا يحتوي على شيء هام.

لكن كلما حاول إقناعي بذلك كلما صممت على الأمر.. وكلما اختنقت عيناه وتباطأت أنفاسه.. تمكن صديقي أخيراً من فك شفرة هذا الملف، وما إن فعل ذلك حتى طلبت منه إرساله الى مكتبي.. لم ينتظر ناصر ذلك بل انسحب مسرعاً وقد تمكن الغضب من رسم ملامحه على وجهة بشكل ملاحظ فلقد لاحظه الموظف وأيضاً تمكن صديقي المشغول من ملاحظته، والذي ابتسم لي ساخراً من الوضع مشفقًا عليه.

انتهينا من كل شيء، فذهبت مع صديقي أوصله إلى شركته.. ثم أخذت طريق العودة إلى شركتي وفى رأسي تدور الكثير والكثير من الأفكار، وكلما تذكرت وجه ناصر كلما راودتني شكوكي، وكلما أيقنت بأن المفاجآت لن تكون أبداً سارة، وأثناء قيادتي مسرعاً سرعة لا تخرق القانون وأثناء متابعتي لأفكاري وظنوني فوجئت بسيارتي تدفع بي للأمام دفعه قوية كادت أن تقلبني، وبصعوبة بالغة تمكنت أخيراً من سيارتي وضغط بقوة على مكابح الفرامل، فتوقفت السيارة بعرض

الطريق وما إن التقطت أنفاسي ووضحت الرؤية أمامي بعض الشيء حتى لمحت شاحنة ضخمة تأتي مسرعة تنقض علي ففتحت الباب مسرعاً وألقيت بنفسي بعيداً وأنا أتابع تحطيم سيارتي وهروب الشاحنة، حاولت اللحاق به وأنا أتكئ على قدمي، ولكني لم أستطع المتابعة فتوقفت بعد خطوات قريبة، وقفت أنظر إلي سيارتي المحطمة وأحمد الله على ما أصابني، وأفكر ما إذا كان هذا مجرد حادث أم أنه أمر مدبر، ولكن من دبر لي هذا.. من يريد التخلص مني؟ ولكن ما بك يا عقلي هل هذا وقت مناسب للتفكير فيمن دبر هذا أم أنه وقت التفكير في حالي وما أصابني نتيجة ذلك؟

استلمت اتصالاً من رقية القلقة القلة تسألني في إلحاح وشك ما الأمر؟ وهل أنا بخير أم لا؟ ورغم إخبارها بأنني بخير إلا أنها لم تكف عن التكرار والتأكيد ولم تقتنع ابداً حتى أقسمت لها.. أولاً بأنني بخير ثم أخبرتها بما حدث.. هلعت في بداية الأمر، شعرت بقلبها قد انتفض من داخلها وأنفاسها انقطعت فجأة.. وأرادت أن تعرف مكاني لتأتي إلي، ولكني لم أخبرها، وحاولت وحلفت وأكدت لها أني بخير لكي تطمئن وأخبرتها بأنني سأحرر المحضر ثم أعود إليها وقد أخبرتها بذلك وكنت قد رأيت سيارة الشرطة وهي تقترب مني، وبالفعل حررت محضرًا سجلت فيه كل ما حدث، ثم ذهبت إلي المستشفى ليطمئنوا على حالي رغم أنني لا أعانى من شيء سوى بعض الألم بالظهر وبعض الكدمات والجروح.

أنهيت فحوصاتي، فأسرعت إلى شقتي لتطمئن رقية رغم أنني كنت أود الذهاب إلى الشركة أولاً، وأنا في طريقي إلى الشقة وأثناء



حديثي مع رقية لتهدئ من روعها، ولأخفف من حدة قلقها وكنت أتحدث معها وأنا أبتسم رغم ألمي فوجئت أثناء ذلك باتصال ناصر.. فاستأذنتها لأجيب، فوافقت بعد أن أكدت لها بأنني سآتي إلى الشقة ولن أذهب إلى أي مكان آخر.

أجبت ناصر فأخبرني بأنه قد أرسل لي سيارة ستصل إلى منزلي بعد دقائق.. أخبرني بذلك مباشرةً دون السؤال عن حالي أو حتى دون أن يتحدث في أي شيء آخر.. فسألته متعجباً وعلامات الاستفهام والغضب تعلو سؤالي:

- "انت عرفت ازاى"؟

صمت لحظات ثم ظهر الارتباك في حديثه وانسحابه:

- "بعتذر يا يوسف.. مضطر اقفل معاك"

أغلق الخط مسرعاً خائفاً.. أغلقه دون أن ينتظر ردًا مني، لم يتسن لي التفكير في الأمر.. فقبل أن يغلق كانت رقية تتصل بي.. فأجبتها بهدوء يخفي اضطراب التفكير ولكني لم أستطع أن أخفي عنها شيئًا، فما إن تحدثت حتى سألتي:

- "في ايه يا يوسف.. انت مخبي عني ايه"؟

- "مفيش حاجة.. انا دقيقتين وهكون قدامك وتتأكدى بنفسك"

وبالفعل كنت قد وصلت إلى العمارة فنزلت من السيارة مباشرة إلى شقتي، فتحت الباب فاستقبلتني بالأحضان والدموع تملأ عينيها، وأخذت تتفحصني بدقة.. تتفحص كل عضو من أعضائي.. ثم هدأت بعد ذلك قليلاً وأسندتني رغم أنني لا أحتاج لذلك، ولكنها أصرت أن أتكئ عليها فاتكأت عليها ولكن أكثر ما أكد لي أنها ستتحملني، أنني عندما اتكأت

عليها ضغطت بقوة على سبيل المزاح ولكنها ورغم ثقلي إلا أنها لم تتأوه ولم تتذمر ولم تظهر لي ولو قليل بأنها تعاني، وبأنني ثقيل عليها.. تحملتني الآن أكثر مما تحملت نفسي واهتمت بي ورعتني وكأنني طفل صغير يحتاج إلى عناية.. رغم أنني بخير "الحمد لله الذي اهداني إياها".

أقمت يومين في الفراش.. يومين ساكناً لا أحرك طرفاً من أطراف أصابعي.. يومين تهتم بي كرضيعها، لا تترك لي الفرصة لطلب شيء.. أي شيء على الإطلاق، فهي تأتي لي بما أريد قبل أن أريد، كانت تريد مني أن أبقى أكثر من ذلك لولا أنني أقنعتها بكل الطرق الممكنة وغير الممكنة أنني بخير ولا أعاني من أي شيء، فقد التأمت جروحي وسكنت أوجاعي وكل ذلك يعود لله ثم لها.

وبالفعل سمحت لي بمغادرة الفراش ولكنها كانت تتابعني هاتفياً.. اتجهت إلى مكتبي لأريح نفسي من معاناة التفكير في هذا السجل الذي يؤرق نومي ويشغل تفكيري، وذلك الحادث المباغت الذي حدث لي، وهل هو فعلاً مجرد حادث أم أنه أمر مدبر؟ وهل لهذا السجل يد في ذلك أم ان وجود السجل وتشفيره وإصرار ناصر على أن يبقى خفياً؟ هل هذا كله له علاقة بالأمر أم أن كل ذلك محض مصادفة لا أكثر؟

وصلت إلى الشركة ومن ثم إلى مكتبي، أبحث في جهازي عن السجل الملعون الذي يؤرق نومي وتفكيري.. بحثت عنه كثيراً، بحثت عنه داخل كل مجلد، داخل كل ملف، لم أترك مكانًا إلا وبحث بداخله.. ولكني أبداً لم أجده فاتجهت مباشرةً إلى الموظف لأسأله وأبحث في جهازه هو الآخر، ولكني لم أجد الموظف في مكتبه، وإنما وجدت

موظفاً آخر وعندما سألته عن الموظف القديم أخبرني بأنه استقال.. أخبرني بذلك وهو يتفحصني.

طلبت منه أن يسمح لي بالبحث عن شيء ما في الجهاز فوافق دون تردد رغم أن التعليمات واللوائح تمنع منعاً باتاً أن يستغل أحد الموظفين أو أن يطلع على شيء خارج اختصاصاته.. تعجبت من موافقته كما تعجبت من نظراته لي، هناك شيء بداخل هذا الرجل، فهو بالتأكيد يعلم من أنا ولكن نظراته تلك تخبرني بأنه يعلم أموراً أخرى أكثر من ذلك.

اتصلت بمختار وأعلمته بالأمر فأخبرني بأنه كان يشك في أمرهم ولذلك اتخذ حذره ونسخ الملف وأخفاه، سألني إذا كان هناك أحد بجواري فأخبرته بلهجة مشفرة.. فطلب منى إبعاده وبالفعل طلبت من الموظف الذهاب إلى المدير وإخباره بأنني أريده.. فرفع السماعة فأخفضتها من يده وطلبت منه الذهاب بنفسه فوافق وذهب مسرعاً.. فتابعت مع مختار ونفذت الخطوات التي طلبها مني، فعثرت على الملف محفوظ باسم آخر فأرسلته إلى مكتبي وأخفيته مرة أخرى.. ثم انتظرت حتى أتى ناصر وما إن دخل حتى قابلته بوابل من الغضب، ثم سألته:

- "فين الملف"؟

فضم شفتيه وتنهد في غضب:

- "الملف.. الملف اختفى.. ومش هو بس، لا دا اختفى معاه ملفات كتير"

فسألته في استهزاء:

- "اختفى"!؟

- "ايوه اختفى"

ثم استكمل حديثه وقد تغيرت لهجته للتلميح:

- "تقريباً كده.. في حد اخترق بيانات الشركة"

فنظرت له وأنا أرفع جفناً عن الآخر:

- "إيه؟ كمل.. وبعدين"؟

- "مفيش. أنا لحد دلوقتي مقولتش للبشمهندس على اللي حصل"

ثم استكمل بلهجة تهديدية:

- "ومقولتلهوش بردو على الاستاذ اللى انت جبته وخليته يدخل على بيانات الشركة.. من غير ما يكون ليه اى صفة"

فأخرجت موبايلي وأتيت برقم اسامة وابتسمت له متحدياً ساخراً من نظراته تلك التي يعتقد بأنه يمكنه أن يهددني أو يجعلني أصمت خوفاً منه هو أو من أسامة:

- "لا وعلى ايه.. هطلبهولك انا واعرفه كل الى حصل.. ممكن يتأكد من ضعف مديره اللى طالع بيه السما ويستوعب ان كل حججه مجرد حجج فارغة مخوخة" رن هاتفه كثيراً دون أن يجيب فحاولت مرة ثانية ولكنه ما زال لا يجيب.. وفى نهاية الأمر جاوبني السكرتير وأخبرني معتذراً بأن أخي في اجتماع، فأغلقت بعد أن طلبت منه أن يخبره بأن يعاود الاتصال بي، أغلقت الخط وقد ارتسم على وجهة ابتسامة تدل على الراحة والطمأنينة وربما تدل على أنه ما زال هناك فرصة أخرى يعيد فيها التفكير ويدرك جيداً قيمة نفسه ويدرك أبعاد حديثه معي.

خرجت مسرعاً وانتقلت مباشرةً إلى مكتبي وجلست على مقعدي



لألتقط أنفاسي.. أحاول أن أهدأ فهذا الملف الساكن أمامي يصيبني بالقلق والاضطراب الشديد في نفس.

فإذا كان هذا هو حالي الآن فكيف سيكون حالي بعد الاطلاع عليه؟ ضغط على الفولدر وعيني على الباب أنظر إليه في توتر وحذر واستنشقت نفساً عميقاً مرتجفاً ثم زفرت به مطمئناً.. وما إن شرعت في النظر إلى الملف حتى رن هاتفي فانتفضت في مقعدي ثم أجبت على رقية وطمأنتها على حالي، ثم ودعتها ونقلت الملف إلى جهازي الخاص وأخذته وانطلقت به خارج الشركة حتى وصلت إلى كافيه هادئ على ضفاف مياه هادئة مستقرة.

جلست وفتحت جهازي وفتحت الملف ولكن استغرقني التفكير بعد ذلك، لأنني لم أجد في الملف ما يثير انتباهي ويبرر حرص وغضب ناصر، فالملف لا يحتوي على شيء سوى بعض البيانات الخاصة ببعض الاشخاص حتى أنني عندما اطلعت على هذه البيانات لم أجد فيها ما يثير التحفيز، فهي بيانات عامة لا تستدعى كل هذه الحيطة والحذر وكدت أن أنتهى منه وأغلقه ولكني لم أفعل ذلك لأنه قد لفت انتباهي اسم قد أعرفه.. اسم تردد في نفسي ولكنى لم أتذكره تماماً وما إن فتحت ملفه ورأيت صورته حتى عرفته.. نعم إنه هو والد الطفلين.. نعم إنه الاب الخائف المرتجف دائماً ولكن ما علاقته بشركتي؟ وهل خوفه هذا له علاقة بسجله؟ يا له من أمر محير ولكني أصبحت الآن على يقين بأن هذه الملفات ما هي إلا قشور تخفى الكثير والكثير من الأسرار، ولكن السؤال الاهم ما مدى هذه الأسرار؟

أغلقت الملف بعد إرهاق وتعب وبعد شرب الكثير من القهوة..

أغلقته وقد ألقيت فيه بملفات أخرى وكان من أهمها ملف يارا ووالدها.

لا اعلم ما الذي أتى بهما إلى هنا ولماذا جاء بهم، هناك الكثير من الغموض يحيط بهذا الملف أغلقت الملف ثم ذهبت إلى منزلهم ولكنني لم أجد أحدًا فانتظرت في الخارج حتى أتو وما إن لمحني الصغار حتى أقبلوا عليّ فرحين فاستقبلتهم بالأحضان ثم حياني الأب وطلب مني الدخول، فجلسنا في الصالة وانتهينا من المشروب، كل ذلك وأنا أفكر في طريقة أبدأ بها الحديث ولكني لم أجد ما هو أكثر ملائمة من السؤال المباشر.. فالأمر لا يحتاج إلى المراوغة، كنت أفكر في حين أنه كان ينظر ويسأل بعينيه عن الأمر الذي أخبأه عنه:

- "ما بك مستر يوسف.. أراك منشغلاً حائراً في أمر ما"؟

فنظرت إليه وقد حسمت أمري:

- "كنت أفكر في سبب تركك للشركة"

- "عن أي شركة تتحدث"؟

- "شركة الكوبرا للاستيراد والتصدير"

وما إن سمع الاسم حتى انسحبت الدماء من وجهة ثم نطق في تهدج وخوف:

- "أرجو ألا تسألني في هذا الأمر مجددًا"

- "حتى وإن علمت بأنني صاحب الشركة"؟

فظهر عليه عدم التصديق

- "أنا أعلم جيداً من صاحب الشركة وبالطبع ليس أنت"

- "من هو إذًا"؟

- صاحبها مهندس مصري يدعى أسامة الزاهد"

- "إذًا أعرفك بنفسي، أنا يوسف الزاهد الأخ الأصغر لأسامة"
وما إن سمع ذلك حتى ازداد خوفه ولأول مرة في حياتي أرى الوجه الحقيقي للهلع ونطقت عيناه ألف مرة بالطرد ولكن لسانه لم يقو على النطق بها وكنت أرى موته وهو ينظر تجاه غرفة الصغار.

لم أقوَ على النظر إليه طويلاً ولذلك تحدثت محاولاً وضع حد حاسم لهذا الخوف ولكني بالتأكيد لن أتمكن منه سريعاً ولن أستطيع أن أمحو أثره بتلك السهولة ولكني سأتحدث على كل حال وأحاول جاهداً أن أخفف من حدة الوجع الذي يشعر بها:

- "نعم انا صاحب الشركة، ولكن هناك أمور كثيرة يخفيها ناصر عني.. تراودني الكثير من الشكوك حوله ولكن ليس لدي دليل اتخذ به موقفًا رادعًا ضده".

هدأت ملامحه بعض الشيء ولكنه ما زال متمسكاً بصمته، فتابعت حديثي:

- "وكان هذا هو السبب لزيارتي اليوم.. فلقد جئتك اليوم لأطلب مساعدتك فأنا بحاجة لهذه المساعدة.. أعلم بأن هناك أمور بداخلك تخفيها عن العالم بأثره، لا أعلم مدى المعلومات التي تعرفها.. أطلب منك وأستسمحك أن تخبرني بما تعرفه حتى ولو كانت كلمة أو حرف قد يفيدني"؟

رفع راسه ونظر إليّ ثم اتجه إلى النافذة.. طل من خلف الشيش المغلق بنظرة مختلسه متردداً ثم اتجه للداخل دون أن يتفوه بحرف.. غاب لحظات ثم أتى ووقف أمامي.. فنظرت إلى عينه وليتني لم أنظر.. فلقد رأيت فيهما كرهاً وغضباً يتجاوز حدود الغضب.. ثم فوجئت به

يرفع مسدساً صغيراً ويوجهه نحو صدري وقد أبدت عينيه الرغبة في الانتقام، وقد تحدثت تلك الرغبة عندما تحركت شفاهه:

- "يمكنني الآن أن أطلق عليك رصاصة وأطلق معها غضبى وأريح بها بعض دموعي.. يمكنني الآن قتلك والثأر لمقتل زوجتي"

ثم هدأت نبراته

- "ولكن لا يمكنني الثأر لأبنائي وخوفي عليهم كل لحظة وخوفي من طريقي ورفاقي وكل من حولي.. لن أستطيع الثأر لكل هؤلاء بقتلك وحدك.. لا يمكنني"

ثم خفض سلاحه وتحدث وقد امتلأت عيناه بالدموع:

- "لن افعل ذلك.. أتعلم لماذا؟ لأنني لست مجرماً مثلكم.. كما أنني لن أشفع لنفسي بقتلك وأنا أعلم جيداً بأنه ليس لك يد فيما حدث وربما حقاً لا تعلم شيئًا عما يحدث حولك"، حدقت فيه متسائلاً كيف علم. فأجاب دون أن ينتظر السؤال:

- "نعم أعلم، فأنا أعلم كل شريك في هذا الفساد وأعلم أصحاب الشركة وكل ما يتعلق بهم وأعرفك أنت، ولكن معرفتنا السريعة ومواقفك المحببة الخالية من أي عداوة جعلتني لا أشك في أمرك ولا أدقق في ملامحك.. بل جعلتني أثق بك وأتخذك كصديق"

أنهى كلامه وجفف عينيه.. كل ذلك وأنا أنظر إليه بجمود، ولكن قلبي كان يعتصر بداخلي، فهذا الجسد الساكن أمامي ما هو إلا قالب يخفى بداخله الكثير والكثير من الحزن والمعاناة.. تتجول بداخله روح معذبة ثائرة تطلب الانتقام لكي ترتاح.

نظرت إليه فرأيت امامي جسداً متحجراً يحاول إحياء الابتسامة

ولكن كلما ابتسم كلما ظهرت ابتسامة منكسرة موجوعة.. فكلما أتت كلما اصطحبت معها الدموع، أردت أن أكسر حاجز الصمت الذي طال بيننا، ولكنني لا أدرك ماذا أقول فمواساتي له لن تفيد لأنني جزء من معاناته حتى ولو لم أكن كذلك بالطريقة مباشرة، فكرت كثيراً فلم أجد ما أقول فتحدثت دون تفكير:

- "كلامك هذا يترك لدى انطباعًا جيدًا بأنك ستقوم بمساعدتي.. أليس كذلك"؟

فنظر وحرك رأسه بطريقه مبهمة وهو يتحدث:

- "نعم، ولكن ليس بالمعنى الذي تتوقعه، سوف أقوم بإعطائك المعلومات التي تحتاجها والتي ستكون عوناً لك في محاربتهم ولكن قبل أن أعطيك أي شيء يجب أن تعطيني كلمة رجل بأنك لن تأتي إلى هنا مجدداً"، فنظرت إليه في تساؤل حزين فأجاب تساؤلي:

- "ليس لأنك راجل فاسد أو ما شابهه، ولكن لكي أحمي أطفالي منهم"

فأجبته وقد أدركت مدى قوة هذا المبرر:

- "موافق"

فابتسم ثم اتجه إلى النافذة وعاد مسرعاً متجهاً إلى الداخل ثم عاد بعد قليل وهو يحمل بيده جهاز صغير.. فطلب منى بريدي الإلكتروني فأعطيته ما يريد فكتبه على جهازي ثم حدثني:

- "الآن كل ما تريد موجود على حسابك الخاص"

وما إن أنهى كلمته حتى مد يده يصافحني:

- "أرجو لك التوفيق.. فأنت قوي وتستطيع محاربتهم والانتصار

عليهم".

فأدركت من تحيته بأنه يخبرني بأن المقابلة قد انتهت فنهضت وعلى شفتيّ ابتسامة ثم صافحته وذهبت بعد أن سمح لي بتقبيل الطفلين، ذهبت وأنا مدرك خوفه على أطفاله وحرصه عليهم، فوجودي ومساعدته لي أو مجرد الظهور في الصورة يمثل خطرًا عليه وعلى أطفاله، فالحرب كبيرة والفساد أكبر وأعوان الشر أقوياء أيضاً.

ركبت سيارتي وسرت بها للمجهول، فلم أكن أعرف وجهتي بعد، وعقلي لا يعطيني الفرصة للتفكير، قدت سيارتي في الاتجاهات التي تقابلني دون أن أعلم إلى أين تمتد هذه الطرق ولا أعلم لماذا أفعل ذلك.. فليس هناك أمر يستدعي بعدي، بل إن بعدي في هذا الوقت وإن كانوا يراقبونني بالفعل فإنه سيثير الشك لديهم.

لم أصل إلى قرار، ولم أستطع مطالعة ما أرسله لي في سيارتي خوفاً من هواجس المطاردة والمراقبة والخوف من كل هذا، ركنت السيارة على الطريق أبحث بعيني على مكان هادئ أجلس فيه.. سرت كثيراً دون العثور على هذا المكان، فجلست على إحدى مقاعد الانتظار وأخذت أتفقد ما أرسله لي.. رأيت في بداية الأمر بعض العقود والوثائق ولكني أغلقتها سريعاً ولم أدقق بها وأجلت ذلك لوقت آخر وأخذت أشاهد الفيديوهات والصور.

كلما شاهدت أحدها كلما اتسعت عيناي وشعرت بالأسى والذنب، فأننا أشعر بأنني شريك في كل تلك الجرائم رغم عدم مشاركتي، ولكن اسم عائلتي يجعلني شريك وبنسبة كبيرة، فكل تلك الجرائم البشعة تبرم باسم الشركة.. يا لهم من أوغاد، هل تحملت أنفسهم وضمائرهم ما

يفعلوه أم أنهم بشر بلا ضمائر؟ وهل أخي يعلم بكل هذا أم أنه لا يعلم شيئًا سوى أنه وضع ثقته في هذا اللعين الذي خان العهد والأمانة.

ما أبشع ما أراه، فلم يترك شيئًا لم يفعله، تاجر في كل شيء، المكيفات باختلاف أنوعها، والأسلحة بمختلف قوتها، حتى أنه لم يترك النساء ولم يكتف بإيجاد عمل للمتفوقات بل إنه وبجدارة وجد فرص عمل للعاهرات بمختلف ميولهن وتوجهاتهن، وجمالهن ونضارتهن، وأجسادهن.

أنهيت مشاهدة الفيديوهات وقد بلغ الحزن مداه وقد استقرت الدموع منتظرة الإفراج، وأثناء جلوسي على هذا الحال مرت أمامي سيارة بيضاء الشكل تأتي سريعاً في اتجاه شابين، فتقتل أحدهما، بالرصاص وتخطف الآخر، فأسرعت لا إرادياً تجاه المصاب وأثناء التفاتي للسيارة رأيت أحدهما وقد وقف على باب السيارة وصوب السلاح نحوي ولم ينتظر لألتقط أنفاسي، بل إنه أطلق رصاصته صوب جسدي ولكنني ارتميت جانباً فسمعت صوتها يدوي مخترقة الأسفلت في النقطة التي كنت أقف عليها منذ رمقة عين.

حاولت إسعاف المصاب ولكني لم أفلح في ذلك، وعندما تجمعت الناس حولي وسمعت صوت سيارة الاسعاف والناس يفسحون لها الطريق انسحبت من مكاني ببطء حتى ابتعدت عنهم فأسرعت لسيارتي وانطلقت مسرعاً إلى الشركة، وتدور في عقلي أفكار كثيرة جميعها توجه الإدانة والاتهام إليّ وكلما حاول عقلي إيجاد مبررات كلما هاجمته الأفكار وثبتت إدانتي. وصلت الشركة فصعدت واتجهت إلى مكتب ناصر وفتحته وأنا أستشيط غضباً، وما إن رآني هكذا حتى اتسعت

عيناه وهو مكانه وسألني ببرود وكأن هذا أمراً عاديً يمر عليه كثيراً وبالفعل هذا صحيح، فتكرار اقتحامي مكتبه جعله شيئًا عاديًا معتادًا..

مر عدة ثوان وهو يتفحص ثورتي وهيجاني وانتظر حتى أهدأ وما إن شعر بأنفاسي تتباطأ وثورتي تهدأ حتى سارعني بسؤاله ببرود:

- "فى ايه تانى يا يوسف"؟

سألني وهو يحدق بي ويتوقع شيئًا عادياً كالمعتاد من وجهة نظره، كما أنه رغم غضبي واندفاعي ورغم ما حضرته من كلمات لأقولها إلا أنني لم أقل شيئًا عند السؤال، ولم أجيب بحرف واحد إلا بعد مهلة قصيرة استنفرتها في لا شيء.. نعم لا شيء على الإطلاق، لم أفكر في إجابة ولم أستعيد ما حدث ولم أتذكر سوى الغضب، حتى أنني فقدت السبب، هناك شيء بداخلي قد حدث جعل عقلي يأخذ منحنى آخر، بفكر آخر غير الذي كان يعانده ويصر دائمًا على اتهامه، وأخيراً أجبت إجابة لم تخطر ببالي، ليس هذا فقط بل أنني أيضاً ابتسمت وكيف لي أن ابتسم! أجبت إجابة أقل ما يقال عنها أنها ساذجة:

- "جيت اعزمك على الغدا"

إجابة لم تقنعني أنا فكيف لها أن تقنعه وهذا واضح من نظراته التي ارتفع معها حاجبه الأيمن قليلاً:

- "يعنى انت داخل عليا زهقان وفتحت الباب من غير استئذان.. كل دا علشان تعزمني على الغدا"؟

- "فى موضوع مضايقنى وعايز اخد رأيك فيه"

- "ممكن يتأجل علشان انا مش فاضى"

تقبلت رفضه ورضيت به لأن ذلك سيعطيني فرصة للتفكير:

- "اكيد ممكن.. استأذنك"

- "اتفضل"

انسحبت من أمامه ولكنه أوقفني قبل الخروج:

- "ولا اقولك"

- "نعم"

- "انتظرنى ثوانى هخلص حاجة ونروح نتغدا"

أغضبتني موافقته كثيراً ولكني حاولت جاهداً ألا أظهر ذلك.. وهو بالتأكيد لم ينتبه لغضبي لأنه كان يتحدث في الموبايل، وما إن انتهى منه حتى خرجنا وركبنا سيارتي وذهبنا إلى مطعم اختاره هو، جلسنا وتناولنا الطعام سوياً وللدقة تناول هو طعامه أما أنا فكنت آكل على مضض، فلقد كنت أفكر أكثر مما أمضغ وهذه ليست عادتي، فأنا أعطى للطعام حقه فعندما يحين وقت الطعام يكون للطعام فقط.. ولكن هذه المرة الأمر مختلف فأنا كنت أحاول التفكير حتى أخرج من هذا المأزق وحتى لا يكتشف أمري فينهار كل ما أحاول بناءه:

- "واضح ان الموضوع كبير"

باغتني بهذه الجملة وانتشلني من مائدة التفكير.. فنظرت إليه ثوان قبل أن أجيب:

- "اتكلم ولا نشرب حاجة الاول"؟

- "لا. نشرب"

وفى أثناء استدعائه للجارسون كانت الفكرة قد حضرت فبدأت الكلام قبل أن تذهب الفكرة:

- "انت عارف ان المجموعه تعتبر لاسامة.. يعنى لو حصل اى



حاجة وفكرنا ننفصل هتكون الاولوية له فى امتلاكها.. ودا حقه لانه هو اللي تعب فيها وبناها بجهده".

فأشار برأسه لأتابع حديثي، فاستكملت حديثي:

- "علشان كده فكرت ان اكيد اليوم دا هيجى وساعتها هضطر انى ابدأ من الصفر او بعد الصفر بشوية.. فقولت ليه مبدأش دلوقتى وافتح شركتى الخاصة"

- "اكيد عندك حق، وخصوصاً إنك متجوز وعايز تأمن نفسك ويكون عندك عمل مستقل تتعب علشانه تبنيه.. لان الحقيقة انك مهما تعبت دلوقتى هيكون تعبك لغيرك"

- "دا اللى كنت عايز اوصلهولك"

- "انا فاهم كلامك وكنت بفكر فيه من مدة"

- "جميل.. كده اقدر اتجرأ واطلب منك المساعدة"

- "انت تؤمر وانا لو هقدر اساعدك مش هتأخر"

- "لو حاولت افتح شركة صغيرة هنا.. تتكلف في حدود كام"؟

أخذ دقائق يفكر ويحرك عينيه كأنه يحسب بها الأرقام ثم أجاب مع حضور القهوة:

- "هى محتاجة دراسة جدوى.. ولكن من وجهة نظرى شركة صغيرة بإمكانيات تساعد على المنافسة تكلف حوالي عشرة مليون دولار"

- "انا قولت كده بردو، بس للاسف اللي معايا واللى اقدر اخده من اسامه كله على بعضه يحمع حوالى خمسة مليون بس، ولو زادو ممكن يزيدو مليون او اتنين"

- "منصحكش تبدأ بيهم، لانك بكده مش هتقدر تنافس الشركات الكبيرة ومتنساش إسمك واسم عيلتك معروفين"

- "عندك حل تانى"؟

- "اكيد"

- "اسمعه......."

- "هكملك انا الباقى وزيادة كمان"

- "انت...."!

- "ايوه انا"

نعم انه يستطيع مشاركتي، بل إن المبلغ كله ما هو إلا زوائد لديه.. فتجارته القاتلة تدر عليه أكثر من ذلك:

- "قولت إيه"؟

- "ها.... بس انا مش عايز شريك"

- "ومين قال انى هبقى شريك"؟

- "اكيد مش لله والوطن.. ولا العشرة والصحوبية تخليك تدفع المبلغ دا كله"

- "كلامك صحيح، بس.... بس مش كله لان صداقتى مع عيلتك تخلينى ادفع اكتر من كده، بس انا بردو مش هدفعهم لله والوطن زى ما انت قولت"

- "امال ايه المقابل"؟

- "المقابل انى هعمل اتفاقيات بإسم شركتك والصفقات دى هتكون لحسابى وبردو ليك نسبتك"

يا لك من داهية.. الآن علمت ما يدور في رأسك:

- "بس انا معنديش استعداد اكتبلك اى ضمانات"

- "ومين جاب سيرة ضمانات"؟

فتساءلت بعيني قبل لساني:

- "امال هتضمن حقك ازاى"

- "أولاً فى ثقة بنا.. ثانياً انا عارف ازاي اضمن حقى"

قال جملته ثم ابتسم لفريسته ونظر لساعته:

- "ياللا بينا لان عندى اجتماع دلوقتى"

بادلته الابتسامة ثم خرجت معه، أوصله إلى شركته ثم أكملت طريقي إلى الشقة.. فلقد كنت بحاجة إلى من أختبئ داخله ويشعرني ببعض الامان حتى يفقد الخوف أثرى.. أريد أن أشعر ببعض الأمان.. ولن أجد هذا الأمان إلا معها هي فقط..

فلتفق يا قلبي، فلم يعد لها وجود.. أنت تقصد رقية أليس كذلك.. قل نعم.. استحلفك بالله أن تقول نعم لأشعر ببعض الراحة....

- "لن تشعر أبداً بالراحة فهي تسكنني ولم ترحل بعد...."

- "وماذا عن رقية"

- "تسكنني أيضًا ولكنها لا تمتلك جزئي الأكبر"

وصلت الشقة فاحتضنتني دون حرف أو كلمة وكأنها كانت تستمع إلى قلبي الذي يتألم وروحي التي تستغيث كأنها تستمع إلى هذا الجسد الصامت، تستمع إلى حواسه التي عجزت عن النطق.. عجزت عن التعبير.. عجزت أن تحسم القرار بين الغائب والحاضر.. بين ما تسكن الآن في جسدي وبين التي تسكن روحي.

لم أفكر في الأمر كثيراً ولم يعر جسدي للأمر انتباهًا، فلقد كان

يبحث عن الراحة وها هى الراحة تحتضنه وترعاه.. كفى يا قلبي لا تذكرنا حتى لا يدركنا العقل بما نخشاه، ضممتها إليّ أكثر فأكثر وكنت على وشك اعتصارها في صدري لولا أن سمعت آه مكتومة فأفلت يدي مسرعاً معتذراً لها ولكنها حركت رأسها رافضة هذا الاعتذار، ثم اقتربت مني أكثر وقبلتني برفق وهي تمسك يدي تعيدها حول خصرها، فاحتضنتها مرة أخرى برفق ثم قبلتها برفق وأنا أقول لها:

- "تسمحيلى اعزمك على العشاء"؟

- "مممممم....."

أخذت تفكر برهة قبل أن تجيب:

- "موافقة. بس بشرط"

- "ايه هو"؟

فابتسمت بطفولية وهي تكرر:

- "لا لا.. شرطين"

فنظرت إليها متعجباً متسائلاً.. فابتسمت قائلة:

- "هما شرطين بس"

- "اللي هما ايه"؟

- "أولاً انت اللى تختارلى لبس الخروج"

- "وثانياً"؟

أخرجت الموبايل من جيبي برفق:

- "مفيش موبايلات"

فابتسمت لها:

- "موافق"

جذبتني من يدي لغرفتها وفتحت دولابها فاخترت لها عشوائياً، رغم أنني وقفت دقائق معدودة أنظر للملابس دون أن أنتبه لأي فروق بينهم وهذا ما أثار تعجبي، فلقد انبهرت بما اخترت رغم أنني لا أذكر على أي أساس اخترت.. هل علي التفكير في هذا الأمر أيضاً؟ هل فعلت ذلك لتشعرني بحسن الاختيار أم ماذا؟

تركتها تبدل ملابسها ودخلت المطبخ لأحضر لنفسي نسكافيه ولكن ما إن وصلت المطبخ حتى اكتفيت بكوب مياه ثم عدت.. عدت مرة أخرى ووقفت قليلاً في الخارج، تراودني بعض الأفكار، ولكني طردتها سريعاً ودخلت غرفتها وكانت قد بدلت ملابسها، ففتحت دولابي وأخذت أنظر إلى ثيابي ولكن بالمصادفة وقعت عيني عليها وهي تنظر إلي وإلى الثياب وكأنها تختار معي بعينيها، فأدركت حينها مدى قسوتي وغفلتي فتوقفت عن الاختيار ونظرت إليها:

- "هتسيبنى اختار لوحدى"؟

- "انت مطلبتش منى اختارلك"

- "هو انا لازم اطلب"

فاستدعت تكشيرة ولكنها طعمتها بابتسامة جميلة وأجابت وهي تقف أمامي:

- "لا مش لازم"

أخذت تختار.. تأتى بالثوب وتفرده على جسدي ثم تأتي بالآخر والآخر حتى استقرت على ما يليق بي، يا لهن من نساء يلازمهم التعب والدقة في الاختيار حتى في أبسط الأمور، كل ذلك ونحن لا نهتم ولا نلاحظ أي شيء، تجهزنا ثم نزلنا في الاسانسير ومنه إلى سيارتي التي

أوقفتني قبل فتحها:

- "من غير عربية كمان"

- "اعتبر دا شرط"؟

ابتسمت وهي تجيب:

- "يعنى اللي قبلهم كانوا شروط"!؟

كأنها تعلم حاجتي للبعد عن كل ما يربطني بالعمل.. الموبايل والرسميات حتى السيارة التي أستقبل بها الكثير من مكالمات العمل، نعم كنت بحاجة للتخلي والبعد عن كل هذا ولو كان بإمكاني لتركت عقلي وتفكيري واصطحبت قلبي فقط ولك السؤال هو أنني لو استطعت وفعلت ذلك وكان قلبي فقط برفقتي فمن منهن كانت سترافقني ومن كانت ستبقى؟ فالقلب لن يصطحبهما معًا بل سيصطحب من تمتلك الجزء الاكبر.

ركبنا الأوتوبيس، ولكني لم أنتبه للطريق فلم أكن كعادتي في الاستكشاف والنظر لكل من حولي ولم أنتبه ولم أركز إلا في انتظار المحطة التي يوجد بها المطعم المفضل لزوجتي وبالفعل نزلنا واتجهنا الى مطعم ومنه إلى طاولتنا الخاصة وكل هذه المدة تركتني دون أن تتفوه بحرف أم أنها كانت تحدثت ولم أنتبه لها وما سر نظرتها العابسة التي تنفرج عندما أنظر لها؟!

جلست وأخذت عيني تطوف على قائمة المطعم وأنا مشتت التركيز والاختيار وعندما أدركت ذلك اختارت هي ما أحب من الأطعمة وأخذنا نتناولها، ورغم أنني أنا الذى آكل وهي لم تأكل شيئًا إلا أنها سألتي عما يشغلني فأخبرتها بأنه ليس هناك ما يشغلني، فصمتت دون تصديق ثم



عاودت السؤال مرة أخرى فجاوبتها مثلما أجبتها أول مرة، فصمتت مرة أخرى وكانت تأكل القليل وهى تبتسم والأكثر منه كانت تطعمني.. ثم تنتظر الوقت المناسب لتعيد السؤال مرة أخرى ولكن بطرق مختلفة.

أدرك بأنها تحاول التخفيف عني وتنتظر الوقت المناسب الذي يتصادف معه السؤال بالاعتراف وقول الحقيقة ولكنها ستنتظر كثيراً لأنني لن أستطيع إخبارها بشيء فلن أستطيع أن أجعلها تتحمل أكثر مما تتحمل ولكني أيضاً أعاني الآن من نظرات القلق التي أراها كلما نظرت إليها ولذلك أصبحت أخشى النظر إليها، أنهينا سهرتنا وعدنا إلى الشقة.. عدت بوجهي العابس وعقلي المشتت وعادت معي بوجهها المبتسم وقلبها المضطرب القلق.

حاولت كثيراً التخفيف عني في الطريق وأخذت تحتضنني وتحتضن يدي بيدها الرقيقة.. حاولت جاهدة وحاولت أنا ايضاً وكنت أستجيب لها وأبتسم معها ولكني كنت أغفل عنها وأتوه منها وأعود من شرودي مرة أخرى.

وصلنا إلى الشقة وبدلنا ملابسنا.. فخرجت وجلست في البلكونة أحاول استنشاق بعض الهواء.. ولكي أبتعد عن عينيها القلقة الخائفة، وقفت أستند على سور البلكونة، أنظر بعين ثابتة وعقل نشط وقلب مضطرب.. وأثناء وقوفي وأثناء تعمق التفكير بداخلي شعرت بيد تلامس أطراف أصابعي فنظرت إلى عينيها الرقيقتين ومسحت دموعها المتسللة، واحتضنتها بحنان وأنا أطمئنها علي:

- "متقلقيش عليا.. انا بخير"
- "بس انا حاسة انك مخبى عنى حاجة"

- "لا ابداً.. مفيش حاجة"

- "ايه الى شاغلك"؟

- "الشغل"

نظرت لعدم التصديق بعينيها فأكملت محاولاً إقناعها:

- "انتى عارفة ان الشغل تعب وفى صفقة شاغلانى"

- "يعنى بجد مفيش حاجة"؟

فقبلت يدها هامساً:

- "اطمنى مفيش اى حاجة.." اخيراً ابتسمت وكم أراحتني تلك الابتسامة، فلقد خففت عنى الكثير من القلق والتفكير في حزنها وقلقها علي، ومع ذلك لم تستطع عيني أن تواجه عينيها ولذلك فضلت النوم في غرفة أخرى.. سهرت كثيراً هذه الليلة حتى أغمضت عينيها وتأكدت بأن النوم قد تمكن منها، فاتجهت من فوري إلى غرفة الأخرى ونمت بملابسي وعندما استيقظت في الصباح وجدتها قد حضرت الفطور وجلست وأصرت على أن أفطر معها رغم أنني اعتذرت لها وتحججت بالعمل ولكنها أصرت على تناول الفطور معها فجلست وأنا أبتسم وتناولت الخبز، ولكن ما إن نظرت إلى عينيها حتى خفضت عيني، ففي عينيها عتاب على الأمس.. تناولت فطوري سريعاً وخرجت مسرعاً بعد أن أخبرتني بأنها ستنتظرني على الغداء فوافقت في استسلام وأنا أذهب مسرعاً.

لم أذهب للشركة، بل ذهبت إلى إحدى الحدائق وجلست أفكر بهدوء يتخلله بعض الخوف.. أخذت أرتب أفكاري وأنا أشرب قهوتي، ثم نهضت وذهبت للشركة وتعاملت كالمعتاد دون إظهار أي شيء

مختلف، جلست في مكتبي أراجع بعض الملفات للصفقات الصغيرة التي أرسلها لي ناصر ليلهيني عن بلاويه.. انغمست في الملفات، أو ربما في توتري وأفكاري، ولم أنتبه للوقت إلا عندما رن هاتفي فأجبتها بإرهاق:

- "نعم"

فأجابت بعتاب:

- "انت نسيت ميعاد الغدا ولا ايه"؟

فأخذت نفساً عميق يساعدني على إيجاد رد مناسب، فأنا حقاً مشغول لم أنته بعد، كما أنني لا أريد الجلوس أمامها وأنا لا أستطيع الإجابة على أسئلة عينيها:

- "لا طبعاً منستش.. بس انا عندى شغل كتير"

- "والشغل دا مايتأجلش لبعد الغدا"؟

- "للاسف ميتأجلش.. لازم أخلصه دلوقتى"

فأجابت محاولة إخفاء غضبها:

- "اللى يريحك يا حبيبي"

فصمت فلم أجد شيئًا لأقوله، وعندما أدركت أنني سأبقى صامتاً فضلت أن إنهاء مكالمتها:

- "سلام يا حبيبى.. ومتتعبش نفسك قوي"

- "حاضر.. سلام"

انتهت المكالمة فنهضت مسرعاً وأخذت سيارتي، كل ذلك بأوامر شبه إرادية فلقد حدثني العقل وسألني ما ذنبها في كل هذا؟ فهي تتحمل منك الكثير دون كلمة وتستوعبك وقت غضبك وتحتويك في أحضانها

وعندما تفرح تحاول جاهدة أن تزيد من فرحك، لم تشكُ يوماً لك ولم تغضب عليك، بل أنها تتحمل بابتسامة شفافة جميلة ولم تسأل يوماً عما تخفيه هذه الابتسامة وإن سألت فأنت لم تحاول معرفة ما تخفيه ولم تساعدها في الراحة مما تعاني أم أنك تعتقد بغبائك أنها لا تعاني شيئًا، يسألني فلم أستطع الإجابة فأفكاره وتساؤلاته كلها صائبة ومصوبة بدقة، فأنا حتى الآن أحملها أكثر مما أتحمل عنها، كم أنا أناني وكم هي رائعة في كل شيء، شيء ما بداخلي جعلني أترك كل شيء لأعود إليها وكأن كل أركان جسدي وروحي يعاتبوني ويلوموني على تصرفاتي معها.

ذهبت ودخلت شقتي فلم أسمع صوتها ولم يصل إلي أذني أي حركة في الشقة، أخذت ألتفت وأستكشف كل أركان الشقة وأنا أنصت الى أي حركة أو همسه تخبرني بأنها هنا ولكن أبداً لم يكن ولم يحدث ما رغبت فيه بل أنني حتى وصلت إلى الصالة للمرة الثانية لم أسمع شيئًا ولم يكن هناك سوى الأطعمة وحدها المرصوصة على الطاولة تحيط بها بعض الشموع المُطفأة بعد أن كانت متوهجة، اللحظة تفرق، فأنا الآن أقف أمامها كمن يقف أمام موتى سلبت منهم الحياة بتوهجها وجمالها.. نعم إنها كذلك ولكنها وفى كل الأحوال كانت ستسلب منها هذا الانبعاث ولكن الفرق بين اللحظة والأخرى.. فلو كنت أتيت باكراً لاستطعت أن أحصل على نصيبي، ولو جزء ضئيل من هذا الجمال الذي كان وبالتأكيد يحيط بهذه الطاولة وبهالة جمالية تنعكس على الأطعمة لتجعلني أشتهيه أكثر وأكثر.

وأثناء وقوفي وحسرتي وألمي على فقدان هذا الغذاء وعدم التمتع به سمعت صوت همسات بكاء يزداد فأسرعت إلى الغرفة التي قليلاً ما

نجلس بها.. نظرت إليها وهي تجلس وتحتضن صورة ما وأخذت تبكي أكثر وهي تضمها إلى صدرها....

أصابني الألم لما شهدت فاقتربت منها بخطوات بطيئة لم تشعر بها وجلست بجوارها على الفراش وحركت يدى أحيط رأسها ففزعت ونظرت إلي وما لبثت حتى تركت الصورة وأخذت تبكي في أحضاني، حتى اختبأت بين ذراعيّ وأخذت تحتضنني أكثر فأكثر وكأنها تحاول اختراق جسدي لتسكن بداخله.. فأخذت أربت على رأسها وأمسح بيدي الدموع التي تسقط من عينيها.. وما إن التقطت عيني الصورة المقلوبة حتى مدت يدي اليسرى وعدلتها لأجد نفسي هي التي كانت تحتضنها في هيئة صورتي.. فرغم أنني أتعذب من بكائها إلا أنها لم تقبل ولم ترض إلا أن تبكي في أحضاني حتى ولو جسدت هذه الأحضان في صورة صماء إلا أنها أحيتها عندما ضمتها إلى صدرها، كما أنها تعمدت البعد عن غرفة النوم حتى لا تترك الدمعة أثرًا لتخبرني ما كان يحدث.

لم ألاحظ دموعي التي أخذت مكانها في مقلتي حتى أنني لم الاحظها عندما هبطت كالأمطار ولكن هي من شعرت بذلك وبعد أن كانت هي التي تسكن أحضاني أصبحت أنا الذي يسكن أحضانها ولم أكن بحاجة إلي المحاولة للعبور داخلها فلقد شعرت بذلك أول ما لمست أطراف أصابعها عيني وأخذت تجففها ثم ترطبها بقبلاتها الحنونة العذبة.. ضمتني إلى أحضانها واحتوت وجعي ودموعي ونسيت نفسها، يا لكِ من امرأة ليس لها مثيل، حاولت جاهدة أن تخفف عنى حاولت أن تريحني وتزيل همي، داعبتني كطفل صغير يعتلى فراش أمه، ولم



تتركني إلا بعد أن جعلتني أبتسم، ابتسمنا كثيراً من مداعبتها لي وتحولت الدموع الحزينة إلى ابتسامات، اقتربت منها وقبلتها قبلة استغرقت دقائق.. ثم همست لها:

- "بحبك"

فطلب تكرارها بفرحة عارمة وكأنها لا تصدق ما سمعت:

- "بتقول ايه"؟

أخذت أرددها وأنا أقبلها:

- "بقولك.. بحبك... بحبك.. بحبك.. بحبك"

أخذت نفساً عميقاً أول مرة تتنفسه وكأنها تستنشق الراحة:

- "ياااااه يا يوسف.. اخيراً نطقتها، انا كنت مستعدة ادفع عمري كله مقابل انى احسها منك" أخذت تقبلني وتحتضني وتمايلت حتى اعتلت صدري، انتهت هذه الظهيرة بعد أن عادت الحياة مرة أخرى وانبعثت في الشموع تناولنا الغداء ثم نسينا أنفسنا.. أعلن عقلي هدنة ورفع قلبي راية الانتفاضة.

استيقظت بعقل هادئ وتفكير متزن يشير إلى أنه بحاجة إلى من يشاركه التفكير.. يحتاج إلى من يكون بجواري يساعدني في تقدير الأمور واتخاذ القرارات المناسبة لها، لم أجد من هو أفضل من صديقي مختار لكى يشاركني التفكير في هذا الأمر، فاتصلت به فأخبرني أنه في الشركة فطلبت منه مقابلتي بالخارج وبالفعل ذهبت إليه وتحدثنا كثيراً ثم أخبرته ما حدث، فصدم في بداية الأمر ولكن سرعان ما تدارك الخبر وأخذ يفكر فيه بعد الكثير من السباب لناصر وأعوانه وأمثاله، وأثناء حديثنا هذا رن ناصر وطلب مني الذهاب إليه فاتجهت من فوري إليه،

وما إن دخلت مكتبه حتى أعطاني شيك دون أن يتفوه بحرف، أخذت منه الشيك ثم عدت إلى مختار في شقته التي يقيم بها وحده لأنه أعزب، أكملنا حديثنا وبعد الحديث والكثير من التفكير استقر رأينا على أمر وهو ضرورة الإسراع في بناء الشركة حتى إن كان بشكل مبدأي لأن المماطلة لن تفيد مع شخصية مثل ناصر.. ثم ألقينا نظرة على الوثائق والفيديوهات وقد أفادتنا تلك النظرة كثيراً لأننا توصلنا إلى أن هناك عملية تصدير ستتم خلال شهر من الآن، ولذلك فمن الضروري الإسراع فيما اتفقنا عليه حتى يطمئن للأمر، ولا ندع له فرصة أن يشكك أو يدقق في شيء وبالفعل وقبل أن أذهب إلي أي مكان قام مختار بالاتصال بأحد المهندسين الذين يعرفهم، والذي عرفت فيما بعد أنه مصري أيضاً واتفق معه على مقابلتنا وتقابلنا واتفقنا على كل شيء، وطلبنا منه عدم الإسراع وفي نفس الوقت إثبات عماله وعمل ولو قليل فوافق بعد أن أخبرنا بأنه يمكنه الانتهاء منها في وقت ما قبل المتفق عليه وبشغل متقن ومبهر، ولكننا أصررنا وأخبرناه بأن هناك أمر ما يستدعي منا الإبطاء في التنفيذ فوافق وذهب بعد أن حصل على دفعة من المال.

* * *

استكملت حياتي كالمعتاد، أذهب إلى الشركة ومنها إلى شقتي، وأوقات قليلة أقابل مختار، ولكننا كنا على تواصل دائم وكان يخبرني بكل ما هو جديد، وكان قد بدأ في محاولة تتبع أصحاب الشركة التي ستتسلم الشحنة بعد شهر وكنت كثيراً ما أذهب إلى الموقع وآتي بصور ليراها ناصر ويطلب مني بعض الإضافات..

وفى يوماً ما، وأثناء تواجدي في المكتب أتفقد بعض الملفات جاءني اتصال من مختار يطلب مني مقابلته فذهبت إليه وكان في وقت الاستراحة.. قابلته في مطعم بجوار شركته، تناولنا الغداء ثم أخذنا نتحدث فأخبرني بأنه حاول كثيراً تتبع أصحاب الشركة ولكنه لم يتمكن من تتبعهم.. فشركة ضخمة مثلهم لا تترك بياناتها متاحة للجميع.. ومن المؤكد أن لديها مهندسين خبراء قادرين على إخفاء بياناتها عن الجهات المختصة نفسها، فسألته وقد تملك اليأس والضيق مني:

- "يعنى مفيش حل"؟

- "لا فى"

فعاد إلي الأمل من جديد:

- "قولي عليه"

- "الحل الوحيد انك تكون عارف شخص يكون ليه علاقة بمدير الشركة"

فلم أفكر كثيراً.. فهناك من أعرفه جيداً وبالتأكيد هو قريب الأقرب له:

- "ناصر"

- "تعرف تجيب أى جهاز بيشتغل عليه"؟

- "صعب.. لأنه حريص جدا"

- "يبقى مينفعش.. انا فكرت فيه بردو ولكن توقعت حرصه الشديد على اى حاجة فيها شغله او اى حاجة متعلقة بصفقاته الفاسدة حتى لو كانت صور"

فأخذت أفكر ملياً ولم أصل إلى شيء، فنهضت وتركته وذهبت إلى

شقتي وعاد هو إلى عمله عدت لأستريح من عناء يوم مرهق ولكن من أين تأتي الراحة والعقل ما زال يعمل؟ ويجهد نفسه بالتفكير في الأمر المرهق: من لديه الصلاحية الكافية للتقرب من هذه العصابة.. من غير ناصر؟

فلنقسم التفكير ونبحث عما هو أقرب لناصر فالأقرب إليه سيكون حلقة وصل بينه وبين الشركة.. نعم إنه هو جاك.. فليس هناك غيره.. أقرب إلى ناصر فهو يده اليمنى واليسرى، إذا أردنا الدقة، اتصلت بمختار وأخبرته ما توصلت إليه وأخبرني هو أيضاً بأنه رتب كل شيء ويبقى الحصول على أي شبكة بيانات متعارف عليها من قبل العصابة.. لم أطل الحديث معه بل خرجت إليه حتى دون أن أبدل ملابسي.

دخلت شقته فوجدت عدداً لا بأس به من الشباب يجلسون معه، بعضهم يأكل وآخرون يلعبون الكرة وفى خلفيتهم آخرين يتابعون باهتمام. عرفني عليهم وكنت قبل أن يعرفني عليهم قد علمت من ملامحهم أنهم مصريون، فلون التربة المصرية لن تتركهم ولو تغيرت ملامحهم ببعض صيحات الموضة مثل الذقن والشنب والشعر واللبس بأساليبه المختلفة وموضته العصرية التي منحتهم بعض الاختلافات السطحية.

عرفني عليهم وعلى مهنتهم فمنهم الأطباء والمهندسين والمحاسبين وعمال في كافيهات ولكن جميعهم متشابهون في الأخلاق، فلم ألاحظ لأحد منهم تجاوزًا يذكر.. جلست معهم وتناولت سندوتش بعد إصرار وشربت بعض الكولا معهم ثم جاء دوري في اللعب ولكني امتنعت في بداية الأمر لأنني لم ألعب منذ وقت طويل ولكن انتهى الأمر بأني لعبت

وخسرت.

كانت الأجواء جميلة ومريحة للنفس. ما أجمل الجلوس مع الرفاق، وبعد انتهاء السهرة وذهاب أصدقائه إلي منازلهم جلسنا معاً بضع دقائق أخبرني خلالهم بأنهم يجتمعون في العطلة الأسبوعية، ثم سألني عما وجدت فأخبرته بجاك وأخبرته بأشياء أخرى تبرهن بأنه اليد اليمنى لناصر، وأثناء استكمالنا للحديث رن هاتفي وكان الاتصال من رقية تتصل للاطمئنان علي وتلفت نظري لتأخر الوقت ومع ذلك لن أعود إلا بعد أن نضع النقاط فوق الحروف المبهمة والتفكير في طريقة تمكنا من جاك فتمكنا من ناصر وشركائه.

أخذت أدير في عقلي كل ما أعرفه عن جاك من يوم أن تقابلنا صدفة وحتى الآن وأدقق جيداً في الأمور التي يحبها حتى أتمكن من امتلاكه، طرق في ذهني الكثير من الأشياء التي يحبها مثل المال وكرة السلة وحب الظهور والخمر ولكن أهمهم على الاطلاق هم النساء فلديه استعداد أن يفعل أي شيء من أجلهن.

وفي اليوم التالي ذهبت لجاك في مكتبه، فتعجب لزيارتي تلك فهو ليس معتادًا عليها كما أننا لم نكن على اتفاق، فلقد حدثت بيننا الكثير من الشجار اللفظي والعصبية والغضب عليه، وزاد تعجبه هذا عندما وجدني أداعبه وأتحدث معه بود لم يعتاد عليهم مني، وعندما حان وقت الغداء نزلت وجلست معه على طاولته ولم أتركه إلا عندما شعرت بأنه لم يعد غاضبًا علي وذلك بعد أن ذكرت له مبررات جعلت النقاش والأساليب بيننا تحتد مثل الغضب وضيق وقتي بسبب العمل والدراسة إلى جانب أني اضطررت إلى إخباره بأنني كنت أحب وأتيت هنا

لأنساها وما إن اخبرته بذلك حتى وجدته أكثر إصغاء وأعمق تعاطفاً وأظهر لي ذلك عندما وضع يده على كتفي وابتسم وهو يدعوني لسهرة اليوم.

بذلك تأكدت بأنه قد عفا ونسى الغضب الذى يسكن داخله، تعاطفت أيضاً مع حالي لدرجة البكاء، لم أنتبه لدموعي، إنما انتبه هو لها وسألني عنها فلم أجب وأسرعت إلى مكتبي لأختلي بدموعي وأسألها عن السبب، فأنا لم أكن جاداً فيما أقول وإنما قلته لأكسب ثقته، فتحدثت دموعي قائلة:

- "عندما قلت ذكرت القلب وابعدت الأتربة عنه لتلمع الذكريات.. عندما تحدثت عن الحب والفراق تحدث القلب عنها وأخذ يشاهد شريط الذكريات وكلما مرت صورة كلما استدعت معها دمعة بل دموع لتعبر عنها ولم تستطيع الدموع ولم تكف ألم الذكريات".

وما إن أتاني هذا الشعور حتى ذهبت إلي رقية في صومعتها الخاصة، المكتبة القريبة من شقتنا، والتي تقضى فيها الكثير من الوقت إن لم تكن تقضى اليوم كله، تعجبت من حضوري ورأيت عينيها فرحة بهذا الحضور، كنت قد قررت أن أدعوها لنخرج سوياً إلي أي مكان يحتوي أزهارًا نشتم عطرها، وطيوراً تغرد لنا ولكن لم أفعل ذلك إنما وجدت نفسي أصطحب كتاباً من الرف وأجلس أمامها، افتح أول صفحات الكتاب وقد لفت انتباهي إهداء هذا الكتاب وأثار إعجابي لاستكماله والتمعن فيه وقد كتب ما يلي: (إهداء إلى الماضي بكل ما يحمله من دموع وابتسامات من نجاح وإخفاقات إلي الشقاء والنعيم.. إهداء إلى الحاضر الذي أعيشه الآن والذي لا أدرى هل سيبقى أم لا؟

إهداء إلى مستقبلي الغامض، وتلك الصحف المطوية والمخبأة في سجلات الزمان.. إهدائي إليكم جميعاً، أخبركم فيه بأنني أحبكم بكل ما تحملوه وحملتموه لي سابقاً وسأعيش متعلماً ولن أعيش يوماً معلماً).

جلست أمامها أطالع الكتاب الذي بيدي وأنا ألاحظ نظراتها لي بين الحين والآخر وهي تحمل لي الابتسامة الرقيقة الجميلة التي تختالني وتجبرني على النظر إليها.. إلى عينيها، ببريقهما الساحر الذي يخترق قلبي دون حواجز.

أخذت ألتهم الكتاب.. ألتهم كل كلمة وكل حرف.. ألتهمه كله كمن يلتهم قطعة حلوى ولم أفرغ منه إلا بعد أن فرغ هو مني، رحلتي في هذا الكتاب كانت رحلة هامة معبرة، عبر بي من مرحلة الدموع والقلق إلى الابتسامة والراحة، لم أذهب إليه بإرادتي ولم أكن أنوي مواعدته اليوم ولكن شيئًا بداخلي هو من قادني ووجهني بإرادتي إليه.. انتهيت من كتابي فاتجهت إليها وعيناها تتبعني.. فهمست لها:

- "لقد انتهي وقت العقل ألم يحن وقت الجنون بعد"؟

فأجابت وهي تغلق كتابها وتجيب مبتسمة:

- "بل حان"

نهضت وأعادت الكتاب إلى مساكنها فأعدت كتابي أنا الاخر.. ثم لمست أطراف أصابعها بأطراف أصابعي ثم توغلت في يدها حتى ضممتها ليدي، دعوتها لسهرة فريدة من نوعها لم أعتاد عليها ولم تعتاد عليها رغم أنني أراها كثيراً وهي في هذه المرحلة، المرحلة الأجمل في أعمارنا، المرحلة التي لا نعرف فيها معنى لشيء سوى البهجة والسعادة وهي مرحلة الطفولة.

ذهبنا إلى ملاهي مشهورة رأيت إعلاناتها أكثر من مرة وفكرت حينما رأيتها فى مرافقة رقية لها.. لنستمتع معاً وها قد حان وقت الاستمتاع.. أمسكت يدها وعبرنا البوابة الأمامية بعد أن أبقيت عمري وهمومي خارجها.. انطلقنا كطفلين امتلكا بأرواحها مقاليد الدنيا وامتلكت أنفسهما الحرية.

توغلنا داخل الملاهي واستمتعنا بكل شيء نقابله دون توقف وساعدنا على ذلك رؤية الناس مبتهجين سعداء من أجلنا وكأنهم يحسدونا علي طفولتنا، أو ربما هم سجناء داخل أنفسهم ويتمنون أن يصبحوا أحرارًا مثلنا، لعبنا مع الصغار كثيراً وأهدينا كبار السن ابتسامات ترحيبية وأعادوها لنا ابتسامات أمل وتمنى وكأنهم يطلبون منا ألا نكف عما نفعله وكأني أستمع إلي أنفسهم التي تخبرني بأن النفس كثيراً ما تستسلم لشيخوخة الجسد وتطلب منا ألا نتخلى عن طفولة النفس ولا نستسلم لشيخوخة الجسد، فكل منهما حياة تختلف عن الآخر، فما الجسد إلا صورة وعبرة وبرهان على تقدم العمر، أما النفس فهي ذاتها النفس التي خلقنا بها لم تختلف في شيء ولم يضاف لها شيء سوى ذكريات الدنيا وهمومها التي نبقى عليها رغم ثقلها وقسوتها.

أخبرتنا عيون الاطفال وصرخاتهم بأنهم سعداء وبأنهم اكثر سعادة لأننا نلهو معهم دون أن يكون هناك حاجز أو معيار لفارق العمر بيننا، وكان امتزاج الخوف والحنان والاستمتاع هي عادتها بل حبها واحتياجها لي، فلم تمر لعبة خطرة إلا واحتضنتني بقوة تحتمى في وتختبئ بداخلي ولكن الحقيقة التي كانت تجهلها هي أنني أنا من كنت أحتمي بها وأن ابتسامتها وسعادتها هي الراحة التي أحصل عليها كلما

رافقتني واحتضنتها وضممتها إلى صدري خارج المنزل أو داخله، فهي في كل الأحوال زوجتي وطفلتي التي أتخلى عن العالم من أجلها كما تخلت هي عن كل شيء من أجلي وأكثر وأعظم ما تخلت عنه هو خوفها من الماضي الذى يسكنني، أو ربما لم تتخل عنه ولكني أراها دائماً نضرة مرحة لم تشعرني يوماً بذنبي ولم تذكرني لحظة بتقصيري معها وانشغالي وهذا دليل على أنها تعلم ان انشغالي عنها غير متعمد.

قضينا ليلتنا الطفولية السعيدة ثم شربنا وأكلنا بعض المأكولات السريعة رغم أنني لم أكن أشعر بالجوع ولكن بالتأكيد سنعود مرهقين ولن يكون بوسعها تحضير شيء للعشاء، اتخذنا طريق العودة بالمترو ويدها تحتضن يدي ويدها الأخرى تمسك قطعة شيكولاتة.. إنها إدمان الفتيات الجميلات.

وصلنا الى الشقة ودخلت لاستحم وما إن انتهيت وأثناء خروجي مروراً بالصالة لفتت تلك الإضاءة الخفيفة نظري فنظرت إليها لأرى شموعاً تزين السفرة ويداها تحتضني بطفولة ورقة:

- "ياللا يا حبيبى العشا جاهز"

ابتسمت وقبلت يدها وانا متعجب منها فمتى وكيف استطاعت فعل ذلك؟ وبالطبع لا أملك القسوة لأرفض دعوتها وهي لم تعطني فرصة للرفض.. فلقد أمسكت يدي بلطف وقادتني إلى السفرة ثم ذهبت مسرعة للمطبخ، فتابعتها بعيني لأرى أمامي طفلة لم تشأ الأقدار أن تكبر بعد، فابتسمت وابتسم قلبي وأنا أسحب الكرسي وأجلس منتظر قدومها.

بالفعل أتت وجلست أمامي وأخذت تنظر لعيني وتطعم فمي وتشبع نفسي بمعاملتها ومشاعرها التي تأسرني كل يوم عن الآخر.. لم تكتفِ

أرواحنا وأجسادنا من المتعة والسعادة بل أخذت تنشدها وتطلب المزيد وبإلحاح، ولم يحل طلبها إلا على السفرة، فلقد تجاوزت إطعامها لي ولم تكتف بالطعام وحده بل أخذت أقترب منها وتقترب منى حتى لمست شفتيها وأخذت ألتهمها بشراهة وأنا أسحبها تجاهي حتى أصبح معظم جسدها على السفرة فحملتها وأنا اتلذذ بطعم شفتيها الذي لا يقاوم ثم أتيت بها أمامي وأنا أحررها من ملابسها وأتوغل في كل ثغرة من ثغرات جسدها الذى يجذبني إليه أكثر فأكثر، ولم أنته على السفرة بل حملتها وهى متحررة مستمتعة مبتسمة ودخلت بها غرفتنا واستكملت التهامها وأنا أستمتع بصوت متعتها الذى يطلبني للمزيد.. فزد وزد حتى طلب الجسد الاسترخاء بعد وقت طويل من النشوة والمتعة والسعادة فاسترحنا بضع ثوان ثم عدنا مرة أخرى وأخرى ولم أنتبه لشيء آخر سوى وهى توقظني في الصباح بقميصها الأحمر وشعرها المستلقي بارتياح وابتسامتها التي تحيني وجسدها الذي يشكرني على ليلتنا السعيدة.

استيقت وارتديت ملابسي ثم قبلتها قبل الخروج، ذهبت إلى الشركة نشطاً وعقلي متزن يفكر بحرية دون قيود.. جلست على مكتبي أنهيت بعض الأعمال ولم يمر الكثير بعدها حتى أتى جاك مبتسماً فرحاً فقابلته بابتسامة وصافحته بحرارة وداعبته بمرح، وكان قد جاء ليؤكد سهرة الليلة، فأخبرته بأنني لم أنسَ وسألته مازحاً عن النساء فأخبرني بإعجاب وفخر واعتزاز بالنفس بأنه سيأتي بأجود أنواع النساء من أجلي.

عززت ثقته بأن أخبرته كاذباً بمعرفتي بقدراته الفائقة في جذب النساء وترويضهن كيفما يشاء.. فانشرح صدره بتلك الاكذوبة وانتهز

الفرصة ليقص عليا بعض إنجازاته فاستمعت له وأظهرت اهتمامي وشغفي وتحملت أكاذيبه وقصصه الوهمية حتى أرضي نفسه وغروره، وبعد أن انتهى من أكاذيبه أو ربما انتهى لأنه لم يصدق نفسه انصرف بعدها وهو يخبرني بأنه سينتظرني في مكتبه لأمر عليه قبل الانصراف.

ذهب وقد اعتدل قوامه.. فلقد وجد أخيراً الفتى المتحمس لقصصه ومغامراته النسائية والتي ينظر له بإعجاب وتفاخر ويطلب التعلم واكتساب الخبرة، خرج من مكتبي وأكملت انا عملي وما إن انتهيت منه حتى ذهبت إليه.

جلسنا سوياً بضع دقائق شربت خلالهما فنجاني الثاني الذي أصر على تناوله معه وأخذ يتحدث مرة أخرى عن مغامراته وما كنت لأنتهي منه لو لم يخلصني ناصر عندما طلبني إلى مكتبه لأذهب إليه، ذهبت إليه مسرعاً حتى أتخلص من كذب جاك الذي لا ينتهي كما أن نفسي لن تستطيع الاستمرار في إظهار الصدق فلكل شيء نهاية، اتجهت إلى مكتب ناصر وما إن فتحت باب مكتبه حتى سألني:

- "ايه اخر اخبار الشركة"؟
- "شغالين فيها"
- "خدت وقت كتير"

جلست في الكرسي المقابل له:

- "شغالين على آخرهم"
- "يشتغلوا اكتر ولو بزيادة.. المهم تخلص فى اسرع وقت ممكن"
- "انا هطلع من هنا عليهم وهأكد عليهم"

- "تمام.. اتفضل علشان تلحق"

لم أترك الفرصة لغضبي أن يأخذ مكان هدوئي ولذلك نهضت مع إشارة يده وذهبت إلى الموقع وتحدثت مع المهندس المسئول وسألته عن العمل فأخبرني بأنهم يعملون وفق الخطة الموضوعة لينتهوا في الوقت المحدد.. فأبلغته إعجابي بالعمل وأعطيته الشيك وذهبت وكنت قد اتصلت بمختار وأخبرته أن ينتظرني في شقته، فذهبت إليه وطرقت الباب ففتح وهو يرتدي لبس خروج:

- "ايه رايح فين"؟

خرج وجذبني من يدي

- "تعالى معايا وانت تعرف"

نزلنا من الشقة فطلب مني ترك سيارتي والذهاب بسيارته فوافقت وركبنا وانطلقنا ولم يخبرني بشيء في الطريق حتى وصلنا إلى مطعم وطلب مني النزول:

- "احنا رايحين فين"؟

- "هناكل.. انا مفطرتش وميت من الجوع"

- "حرام عليك قلقتنى"

- "اكيد لازم تقلق.. لأنى مبعرفش افكر إلا لما اشبع"

تناولنا الطعام ثم أخذنا نرتب كل شيء ونستعد لأي شيء قد يحدث في هذه الليلة، وما إن انتهينا حتى اتصلت بجاك أسأله عن مكانه فأخبرني ووصف لي مكان النادي فذهبت إليه بسيارتي ثم لحق بي مختار إلي هناك، دخلت النادي وأخذت أبحث بعيني حتى رأيته جالس على البار فذهبت وصافحته ولم ينتظر، فما إن رآني حتى طلب لي

مشروبًا فامتنعت في البداية حتى ألتقط أنفاسي، ولكنه أصر فأخذته منه ووضعته أمامي ولكنه أمسكه وأراد إرغامي على شربه فشربته ولم تكن العقبة سوى الكأس الأول فما إن شربت الأول حتى توالت بعده الكؤوس الواحد تلو الآخر.

وأنا اشعر بعقلي وهو يبذل محاولاته لترك جسدي والتحلق بعيدًا ولكنني تماسكت ولكن لم يطل تمسكي ولكن على الأقل حافظت عليه حتى وعيت مختار وهو يأتي ويجلس بجواري وكانت آخر نظراتي له نظرة مشوشة انطلقت معها ضحكة صاخبة لم تأت سوى من استيقاظ المعاناة التي حاولت نسيانها وحاولت أن أخفيها بداخلي كأن عقلي يقيد قلبي ولكن مع المحاولة الأخيرة لتحرر عقلي وتركي، كانت بمثابة الإشارة التي أتاحت لقلبي استلام مقاليد الأمور، لم أنتبه لشيء بعدها ولكن مختار حكى لي الكثير عن هذه الليلة وللدقة فهو قد حدثني فقط عن الساعة أو أكثر التي كان فيها معي.. حكى لي كيف كنت عائقاً أمام تنفيذ الخطة وكانت الخطة هي التمكن من موبايل جاك وإرسال الهاكرز عن طريقه للجهاز، وذلك للأمان بين كليهما.

فأخبرني أنه كلما وضع جاك الموبايل أمامي كنت أبعده عني بدل أن أعطيه إياه وأوقات كنت أقلب فيه بلا وعي وكان صوت هذياني يصل إلى خارج النادي.. قال ل بأنني استمررت في الشرب حتى بعد أن توقف جاك.. فسألته ما إذا كنت قد قلت شيئًا عن الخطة او ما شابهه فأجابني بأنه كان يلحقني وأنه ادعى السكر حتى يتمكن مني.. فكلما لفظ لساني بشيء غيره هو لشيء آخر.. فابتسمت ثم سألته ما إذا كان هناك شيء آخر لم يخبرني به، فأخبرني بأنني أخذت أتحدث عن الزمن



والغدر والحب كل ذلك وأنا أجلس بجانبه وجسدي يهتز كمن أصابه نوبة رعاش ثم صمت قليلاً وسألني:

- "زوجتك اسمها ايه"؟

فتعجبت من سؤاله ولكني أجبت:

- "رقية"

فرأيت في عينيه التعجب من الاسم وقبل أن أسأل عن تعجبه جعلني أصمت من سؤاله

- "امال مين يارا دى"

فتصلبت عيني وتوقف عقلي واضطرب قلبي:

- "يارا"!

- "ايوه.. انت فضلت تجيب سيرة الاسم دا كتير"

فسألته متسرعاً خائفاً:

- "قولت حاجة معينة"؟

- "لا مش بالظبط.. بس كلامك كان ملخبط ما بين عتاب وشوق وحاجات تانية كتير مكنتش مفهومه"، لم أرد أن اخوض في هذا الموضوع أكثر من ذلك ولذلك غيرته بسؤالي:

- "المهم انت وصلت لحاجة"؟

أدركت بأنه قد عرف محاولتي لتغير الموضوع فأستجاب لي دون تردد:

- "أكيد انا منمتش من امبارح اصلاً"

- "ووصلت لايه"؟

- "التنفيذ يوم 16"

- "يعنى بعد اسبوعين"؟

- "بالظبط كده"

- "والمكان"؟

- "غير معلوم حتى الآن"

- "واكيد مش هيعلنوا عنه دلوقتى.. وبالنسبة لدور ناصر"؟

- "لا دا ناصر طلع الحوت الكبير هو قايم بمعظم الادوار.. عامل زى الاخطبوط ليه اذرع فى كل مكان"

- "احنا كده لازم نتحرك"

- "بالطبع لازم نتحرك.. بس المهم انه ميكونش تحرك عشوائى"

- "بمعنى"؟

- "الناس دي مش تلامذة، لا دول معلمين ومعلمين كبار كمان.. يعنى اللى هيلعب معاهم لازم يكون حريف"

- "ايه اللى فى دماغك"؟

- "مفيش حاجة فى دماغى.. لان انا لعبت فى المنطقة بتاعتى وجه الدور عليك، شوف انت ناوى تعمل ايه وهتبدأ منين.. وزى ما انت عارف الخطوة اللى هتمشيها مينفعش ترجعها"

استمعت إلى حديثه جيداً، وكنت في ذات الوقت أفكر ماذا علي أن أفعل وأي خطوة أتخذها فكل خطوة ستحسب علي، ولا يمكن الرجوع فيها وقد تكون سببًا في تقدمي وقد تكون سببًا في اكتشاف أمرى فتعرضني وتعرض من حولي للخطر، فكرت في إبلاغ الشرطة ولكن سرعان ما تراجعت عنها فمثل هؤلاء لديهم رجال في كل مكان ومن المحتمل أن يكون لديهم أعين في الشرطة يخبروهم بكل ما قد يحدث

ضدهم، بالتأكيد سيكون لهم دور وسأبلغهم ولكن لابد أن يكون هذا الوقت محسوب.

أخذت افكر كثيراً، من أي خطوة أبدأ فليس هناك وقت كاف للتأني وانتهى بي الأمر واستقر رأيي على فكرة ما وهى مشاركة أصدقاء مختار ولكن هناك احتمال كبير أن يرفضوا، فليس لديهم دافع قوى ليشاركوا من أجله بجانب أن وجودهم معي سيتسبب لهم في مشاكل إذا ما اكتشف أمرنا لأي سبب كان.. ولكن مع ذلك لن أحكم برفضهم قبل أن يرفضوا سأعرض عليهم الأمر أولاً ثم أترك ما بعد ذلك حسب موقفهم.

لم أخبره عن فكرتي وإنما تركته وذهبت إلى مكتبي ومن ثم إلى ناصر الذي استدعاني وطلب مني مرافقته للموقع وبالفعل ذهبنا وتمم على كل شيء وتأكد بأن العمل سارٍ، وعندما سأل المهندس المسئول على موعد الانتهاء أخبره أن العمل سينتهي في غضون شهر لا أكثر.. فأخرج دفتره وكتب له شيك وهو يطلب منه الإنجاز في العمل فنظر إلي ثم التفت إليه ورد عليه بالإيجاب وبذل الجهد.. فعل ذلك دون خوض في أي تفاصيل سيكون من بينها أوامري بأن العمل يستغرق هذه المدة لا أقل من ذلك.

انتهينا من المقابلة ثم ذهبنا إلى كافيه.. تناولنا مشاريب يصاحبها الحديث، بدأ الحديث بالمديح في شخصي وعملي، ثم تطرق إلى الشركة وأنه سيأتي يوم أكون فيه وحدي وأبدأ من الأول وبالطبع سيكون ذلك شاق ونجاحي غير مضمون ولكنه يطمئنني بأنه سيبقى معي يساندني لأصبح من الناجحين المتميزين، ثم صمت قليلاً بعد رشفة قهوة ثم

تحدث مرة أخرى بلهجة التوجيه:

- "هنصحك نصيحة تستفاد منها.. لو عايز تكبر بأعمالك لازم تكبر بتفكيرك الأول"

- "وإزاى اكبر بتفكيرى"؟

- "يعنى مثلاً عندك فى مصر بيهاجموا تجار السلاح والمخدرات ويمنعوها وهى كده كده بتتهرب وبتوصل للى محتاجنها.. كان ممكن يستفيدوا منها احلى استفادة وتدخل للدولة الفلوس اللى بتدخل جيوب المرتشين.. وما عليهم الا ان يسمحوا بمرورها بحدود.. ساعتها هتلاقى اقتصاد البلد ارتفع غير ان اللي عايز يعمل حاجة بيعملها، اللى عايز يقتل بيقتل مش شرط السلاح المستورد لان السلاح المحلى بيقوم بنفس المهمه والمخدارات ملهاش مسكه ولو مسكوا شحنه بتكون عدت بدلها عشرة وبعدين الكبار محسبوهاش صح ولا فاضين يشغلوا دماغهم لانهم كده كده فى نعيم، سايقين ومحدش بيقولهم رايحين فين اما بقى لو منعوها الناس هتفوق وساعتها هيعرفوا طريقهم وف الحالة دى مفيش قوة هتقدر توقفهم ولا هيقدروا يستغفلوهم وينهبوا لقمة عيشهم زى دلوقتى"

فهمت ما يرمي إليه ولكني أظهرت خلاف ذلك حتى يخبرني بالمزيد فربما أفهم بعض تفكيره:

- "ودا ايه علاقته بكبر التفكير"

فنظر إلي وكأنه متعجب من سؤالي هذا وربما يحدث نفسه عن غبائي:

- "يعنى مش شرط قانون الدولة يبقى قانونك.. لازم يكون ليك

قانونك الخاص اللى يخدم مصلحتك ويمشى امورك ولو قانونك قوى ومريح ساعتها هيمشي علي قانون الدولة نفسه..."

- "وطبعاً المبدأ دا بأي اسلوب"

- "صح"

- "حتى لو كان غلط"

- "مفيش اسلوب غلط فى البيزنس.. ولكن فى اسلوب خطر واسلوب مريح والمكسب اكتر فى الخطر.. وبدل ما تعمل ثروتك فى سنين ليه متستخدمش عقلك وتعملها فى سنة"؟

- "ولو اتسجنت"

- "مفيش حاجه اسمها سجن، لان حياتك هتمشى بقانونك انت وقانونك لازم يكون فيه صلاحيات تدين اى حد إلا انت"

في لحظة أخذت أفكر في كلامه بل وصل بي الأمر إلى محاولة التصديق.. لم يكتف العقل بهذا فقط بل أخذ يدير بعض الأمور التي من شأنها إقناعي بمبدأه وأنه على صواب وأنني على خطأ وأنه ليس هناك خطر فب عالم تُكتب فيه القوانين لتخترق.

ربما كنت اقتنعت بكلامه ورأيه إن لم أكن مثقفاً أقرأ عن الخير والشر وعن دهاء المجرمين واستخدامهم الجيد للمصطلحات وشرحهم المتقن الذي يخدمهم، أما قراءتي الكثيرة جعلت مداركي تنضج لتتخطى محاوراتهم العابثة ومحاولاتهم الفاشلة المدروسة بدهاء، فلقد أصبحت لدي القدرة على التميز والفصل وتحليل ما يقال، القراءة ليست مجرد كلمات عابرة، بل هي رسائل وحكم ومواعظ وإرشادات توجهك إلى الصواب، فكل جملة بها كلمة مثمرة إن لم تكن بأكملها.

استمعت إليه جيداً وأوهمته باقتناعي وما إن صدق حتى ابتسم ابتسامته الخبيثة.. انتهت مقابلتنا وأوصلني للشركة ثم ذهب، فركبت سيارتي وذهبت إلى شقتي، نمت بها حتى المساء حتى أيقظتني رقية بحنيتها المعهودة.. فاستيقظت وبدلت ملابسي ثم خرجت متجهاً إلى مختار في شقته.

كان التوفيق حليفي، فلحسن حظي أنني وجدت أصدقاءه مجتمعين.. فاستأذنته للداخل وأخبرته بالأمر فطلب مني إخبارهم واستغلال فرصة اجتماعهم اليوم، فخرجت لأقول لهم ولكني وقفت متردداً أنظر إليهم دون حرف.. أخذت أنظر إليهم من وجه لآخر أفكر في بداية وطريقة تكسب تعاطفهم.. وعندما طال بي الأمر ولاحظ مختار نظرات القلق التي تعلو وجههم تدخل سريعاً ليضع البداية:

- "بصوا يا شباب علشان متقلقوش اكتر من كده.. كل الحكاية ان يوسف محتاج مساعدتكم"

ثم أشار إلي

- "اتفضل يا يوسف اشرح لهم الموضوع"

فتحدثت ببعض التردد:

- "الموضوع باختصار ان مدير شركتى طلع تاجر سلاح.. لا دا تاجر سلاح دى شوية عليه، هو رئيس عصابه، ايده فى كل فساد وفي كل مرض، وانا مش هكدب عليكم واقول انى مش خايف، لا انا خايف أواجهه وانا حذر جدا لان لو اكتشف خطتى اقل حاجة ممكن يعملها انه يخلص منى بدم بارد، وتانى يوم يمشى فى جنازتى ودموعه على خده، دلوقتي فى شحنة مخدرات وسلاح هتتهرب قريب وطبعاً هتتهرب عن

طريق شركتى وانا بحاول ألالقى طريقة اوقفه بيها من غير ما اضر اسم الشركة، انا محتاج مساعدتكم فى ده....." استنشقت نفساً عميقًا وأنا أنظر لوجوههم ثم استكملت كلامي:

- "انا هقدر موقفكم لو رفضتوا لانى مقدر الخطورة والمشاكل اللى ممكن تصيبكم"

فأجاب أحدهم وهو أحمد الذي يعمل نادلاً في أحد المطاعم:

- "هو حد لسه رفض؟ انا عن نفسى معاك لان انا شوفت سواد السواد فى بلدى بسبب البلاوى دى ولولا ربنا تاب عليا يا عالم كان زمانى بقيت فين وبعمل ايه"

وأجاب آخر وهو ياسر يعمل محاسب:

- "انا كمان معاكم"

ثم توالت الموافقات من الجميع فلم يرفض أحد وتحمسوا جميعاً ورفضوا أن أواجه الخطر وحدي، شعرت في هذه الليلة بسعادة غامرة ليس لموافقتهم، بقد ما هو شعور بالأمان نابع من مساندتهم لي، فكم تمنيت أن يرفضوا لأخوض المعركة وحدي ولا أحمل على عاتقي خوفاً آخر وقلقًا ورعبًا من أي شيء قد يصيبهم بسببي.

لكني الآن أصبحت أمام الأمر الواقع، فلقد أثبتوا معدنهم الطيب بشهامتهم ورجولتهم ومساندتهم لي رغم معرفتهم السطحية بي ولكنهم وبالتأكيد يثقون بمختار ولذلك وثقوا بي ووقفوا بجانبي، جلسنا جميعاً واجتمعنا في دائرة وأخبرتهم بكل شيء وأخذنا نفكر سوياً في الخطوة التالية.

كل منا أبدى رأيًا، وكل رأي كنا نناقشه لنفصل بين الصواب

والخطأ ونخرج الصواب من كل رأي لعلنا نستفيد منهم إذا جمعناهم جميعاً في فكرة واحدة، وهذا هو ما توصلنا إليه فبعد التفكير المرهق والمناقشات الجدية توصلنا إلى ضرورة مراقبتهم فوضعهم تحت أعيننا حماية لنا ولكن مثل هؤلاء لا يمكن مراقبتهم بالطرق التقليدية البسيطة، بل لابد أن تكون هناك طريقة مختلفة وفريدة من نوعها تمكننا منهم ونحن بعيدون عنهم.

لذلك قررنا الابتعاد عن المراقبة الشبكية لأنهم قد يتمكنوا من اكتشافها وتتبع مصدرها وان نتبع التجسس عن طريق الكاميرات الدقيقة التي تعمل بالطاقة الشمسية وأيضاً سماعات متناهية الصغر توضع على هواتفهم وذلك أمر صعب، فكيف يمكننا وضع أجهزة تصنت للجميع ولذلك سنكتفي بما يمكننا التعامل معهم وهما ناصر والفتى التابع جاك.

وما إن انتهينا من التشاور حتى تناولنا قهوتنا ثم غادرت مجموعة وكنت أنا من بينهم ونهضت المجموعة الأخيرة لتستكمل اللعب، ذهبت وأنا أشعر ببعض الراحة، فأنا لم أعد وحدي بل أصبح لدي أصدقاء أثق بهم، يحمونني وأحميهم وهذه هي نعمة الصداقة.

نهضت في اليوم التالي على اتصال مختار بمنزله، قابلته أمام شركته واستلمت منه الأجهزة ثم ذهبت من فوري إلى الشركة ومنها إلى ناصر وقد رتبت في عقلي ماذا علي أن أفعل.. دخلت مكتبه وصافحته وقد رسمت الابتسامة على وجهي ثم جلست وانتظرت حتى انتهى من طلب القهوة ثم تحدثت:

- "تعرف ان بسبب كلامك معرفتش انام"

فابتسم وهو يسأل:

- "ليه"؟

- "فضلت افكر بعمق.. اول مرة موضوع يستحوذ على تفكيرى بالطريقة دى"

فاتسعت ابتسامته:

- "ووصلت لايه"؟

- "وصلت انى اقتنعت بكلامك.. وفكرت فى قوانين العالم لقيتها كتيرة ولما سألت نفسى عن القانون الاقوى لاقيت انه قانون الوحوش، القانون الوحيد اللي اصحابه عايشين بحرية رغم جرائمهم البشعه على عكس الناس البسيطة اللى جريمتهم ممكن تكون لقمة عيش اتسرقت علشان تسد جوع"

- "وقرارك"؟

- "ممكن تعارضنى فيه"

- "وممكن اساعدك"

فاتخذت نفسًا عميقًا قبل أن أجيب:

- "قررت اكون وحش"

- "لا انت قررت تعيش صح"

حضرت القهوة فشربناها ثم طلبت منه الموبايل لإجراء مكالمة، لأنني نسيت هاتفي فأعطاني إياه فابتعدت عنه واتصلت بمختار على أساس أنه رقية وأنا أسألها عن بعض الأمور في الكلية كل ذلك وأنا أنصت لمختار حتى أخبرني بأنه قد تواصل مع الموبايل وتمكن منه فأنهيت المكالمة، وحذفت الرقم وأعدت الموبايل واستأذنته للذهاب إلى

مكتبي ولكن قبل أن أذهب أوقفني وهو يعطيني مفاتيح السيارة:

- "اوصل لمقر الشركة وبلغني بآخر التطورات.. بس متتأخرش"

فأخذت منه المفتاح ثم انصرفت غير مصدق ما حدث هل تمكنت من السيارة بتلك السهولة؟ فأنا لم أبذل جهداً يذكر لاستكمال خطتي فكل ما بذلته كانت مجرد مراوغة وهنا صرخ العقل بداخلي ليهاجمني:

- "لا ليست مراوغة.. فأنت بذلت وقدمت ما هو أثقل علي من الجهد قدمت نفاقًا.. نفاق من شأنه زيادة إيمان ناصر واقتناعه بأفكاره، فأنت قد أعطيت له قوة استمرارية دون أن تدري فهو اليوم قد اكتسب مؤيداً جديداً وليس أي مؤيد، بل مؤيد مثقف وهو يدرك جيداً بأن سلاح العقل لدى المثقف يفوق سلاح الجهل لدى التابع".

تابعت ما كنت أفعله وفعّلت برنامج التتبع في السيارة أيضاً، في حين اتصل مختار وأخبرني بأنه تمكن من جهاز جاك أيضاً.

وصلت إلى المقر وباشرت العمل وجلست مع المهندس بعض الوقت ثم عدت إلى الشركة وأبلغت ناصر بأن العمل يسير بصورة جيدة ثم ذهبت لأكمل يومي في الشركة، وأنا على تواصل دائم بمختار.

مرت الأيام التالية في مقابلات كادت أن تكون سرية، ولكن الغريب في الأمر أننا لم نعد نستقبل شيئًا من ناصر، بل أننا لم نستقبل من البداية، ولذلك ذهبت له يوماً وسألته عن السيارة لأنني لاحظت أنه لم يحضر بها منذ أيام، فأخبرني بأن هناك من هاجموه وسرقوا سيارته وكان بالسيارة موبايل وملفات هامه ومبلغ مالي لا بأس به، فغضبت حتى ظن بأنني غضبت لأجله، والحقيقة أنني غاضب من أجلي انا؛ فخططي لم تكتمل بالشكل المطلوب.

لم يزعجني هذا فقط، بل إنه في اليوم التالي فوجئنا بأن جاك كثيراً ما يترك موبايله في منزله أو مع إحدى العاهرات وأن بيانات (vool) توقفت هي أيضاً ولم يعد هناك أي جديد.

فكرنا كثيرًا ماذا نفعل فكل الطرق أُغلقت وكل محاولاتنا باءت بالفشل لأن كل برامج التتبع تم إيقافها؟ ولذلك لم يكن أمامي شيء آخر سوى المواجهة، عليّ أن أواجه ناصر وإقناعه بالتخلي عن منصبه في الشركة، وبذلك أستطيع ايقاف الشحنة، قررت ذلك فذهبت إلى ناصر في منزله، فلم أستطع الانتظار حتى الصباح، بل نحن الآن صباحًا فالساعة على مشارف الخامسة صباحًا.

ذهبت إليه وما إن ضغطت على الجرس حتى فتح الباب دون إطالة ثم طلب مني الدخول وهو يشير تجاه المكتب.. فتقدمت وهو من بعدي، وقفت أمام مكتبه فتقدم هو ووقف خلف مكتبه وطلب مني الجلوس:

- "اقعد"

- "انا مش جاى اتضايف.. فى كلمتين هقولهملك وامشى"

- "طيب اقعد الاول"

- "قولتلك مش قاعد"

فنظر إليّ بعين متحجرة، ودفع كتفي بقوة وغضب:

- "وانا قولتلك اقعد"

صدمت، كانت هذه أول مرة أراه هكذا، وأول مرة يتجرأ على فعل ذلك معي وما سر شرار عينيه الذي يصيبني، وقف بجواري ووضع يده على كتفي وهو يبدأ حديثه:

- "فاكر يا يوسف لما كلمتك ونصحتك وقولتلك لازم تكبر ولازم

يكون ليك قانونك الخاص والكلام الكبير دا" تنهد بسخرية ثم أكمل:

- "اكيد فاكر، لانه كان من يومين بس، انت يومها سمعت الكلام بس من غبائك مفكرتش فيه"

فتحرك جسدي غاضباً محاولاً النهوض والرد عليه ولكنه لم يستطع فعند محاولتي ضغط هو على كتفي بقوة أجلستني مرة أخرى، وتحدث بصوت عالٍ غاضب:

- "ايوه غباءك لانك مفكرتش فى الكلام ولا فكرت انا ليه قولتهولك فى الوقت دا بالتحديد"

ثم هدأت نبراته:

- "انا حاولت انصحك بس انت مهتمتش بالنصيحة، حاولت احذرك بس انت مفهمتش تحذيرى".

تحرك تجاه كرسيه وهو يستكمل حديثه بعد أن التقط أنفاسه، أشار بأصبعه قبل أن يجلس:

- "انت كنت جاى ومتنرفز وعايز تقول حاجة.. اتفضل قول"

وما إن التقطت أنفاسي لأتحدث حتى تحدث هو:

- "ولا اوفر عليك الكلام واقولك انت جاى ليه"

فنظرت له مذهولاً غير مصدق، هل حقاً يعرف سبب وجودي ويعرف ماذا سأقول؟ هل حقاً ما يدور برأسي، لم يهملني الوقت الكثير للتفكير:

- "انت كنت جاى علشان تهددنى وتطلب منى اقدم استقالتى.. صح"؟

لم أقوَ على إجابته، فكررها مرة أخرى بغضب ويده تنزل على

المكتب بقوة حتى أن جسدي اهتز من قوتها:

- "صح ولا غلط"؟

فحركت رأسي مؤيداً لكلامه، فاستكمل بعد ابتسامة خبيثة:

- "كلمتك عن انك لازم تكبر ولازم يكون ليك قانونك الخاص، ولو قانونك قوي هيمشى على الكل وهيكون العالم ماشي بأمرك.. انت سمعت كل دا بس مقتنعتش، بس الاكيد انك هتقتنع"

حركت لساني بصعوبة حتى نطقت:

- "عرفت ازاى"؟

- "عرقت من غبائك، لانك اول ما جيت تلعب لعبت مع الكبار.. حتى ان غباءك وصل لدرجة انك مسألتش نفسك ايه اللى خلانى اديك عربيتى مع ان الجراج مليان"؟

ابتسم وهو يرد على سؤاله:

- "انا ادتهالك علشان تنفذ اللى فى دماغك ومضيعش عليك خطتك"

نهض من على كرسيه لينهي الحديث الذي احتكره وحده:

- "انت تطلع من هنا على سريرك وتتغطى كويس، وطلع من دماغك الكلام اللى انت مش قده، زى سيب الشركة والكلام الكبير عليك ده" فاستجمعت قواي وأنا أنهض لأهدده لأول مرة في المقابلة:

- "لو مقدمتش استقالتك هبلغ الشرطة"

فضحك ضحكة عالية ساخره كسرت تهديدي:

- "روح بلغ.. الشحنه باسمك.. عليها موافقتك"

فحدقت مذهولا غضباً، فأكمل:



- "متستغربش، الموافقة تمت قبل ما تشك في اى حاجة، ونصيحة تانية هقولهالك انت راجل اعمال شاطر ودماغك حلوه وتفكيرك ييجى منه، بس كل دا فى الشغل اللي علي مايه بيضه ومفيش شغل على ماية بيضه، واللي خلاك تنجح فى مصر هو اخوك لانه استاذ فى اللعب الشيطانى مش انت، انت لسه ملكش فى الشغل الشيطانى، لسه متعلمتهوش.. بس هتتعلمه واعتبر ان دا اول درس فيه"

أشار إلي بالانصراف فلم يكن من أمري سوى تنفيذ ما أمر به دون حرف، تحركت وانصرفت عاجزاً لا أملك من أمري شيئًا حتى تفكيري كاد أن يحتضر، فلم يسعني عقلي للتفكير في شيء سوى تكرار حديثه وتذكيري بانكساري.

وصلت شقتي واتجهت إلى غرفة أخرى حتى لا أقلق رقية وأحضرت الغطاء من الدولاب ووضعته على وجهي ليذكرني بانهزامي وضعفي، ولا أتذكر كيف نمت ولكنني وبالتأكيد نمت بالغضاء.

اتصل بي ناصر في اليوم التالي وسألني مستهزئًا عن سبب غيابي فأخبرته بأنني متعب فأنهى مكالمته بعد أن طلب مني أن أتصل به عندما تتحسن صحتي، وما إن فعل ذلك حتى دخلت رقية وهي تحمل حقيبتها استعدادا للذهاب إلى الجامعة وتعجبت لرؤيتها لي في الفراش.. فسألتني قلقة:

- "مجهزتش ليه"؟

- "مش هروح"

فسألتني بخوف، وهي تجلس بجواري وتضع يدها على جبهتي:



- "ليه فيك حاجة"؟

- "لا شوية ارهاق.. فقولت اخد النهاردة اجازة"

فنهضت متجهة للخروج:

- "رايحة فين"؟

فابتسمت وهي تجيب بدلع

- "انا كمان مرهقة وهاخد النهاردة اجازة"

- "والجامعة"؟

- "انت عندى اهم"

ثم ابتسمت بخجل وهي تقترب مني وتهمس لي:

- "والصراحة انت واحشني قوى وعايزة افضل معاك"

طبعت قبلتني على خدي فانفرجت لها شفتاي مبتسمة، ذهبت وبدلت ملابسها ثم أتت وأمسكت يدى لأرافقها للسفرة ورغم أنني لم يكن لدي نفس لأي شيء، إلا أنني لم أستطع الامتناع بل استسلمت لها بكل إرادة، وكيف لا ومن يستطيع رفض أوامر تلك الطفلة التي تحمل بداخلها مشاعر زوجه وأخت وأم وصديقة، تحمل بداخلها أجمل وأنقى مشاعر خلقها الله في قلوب البشرية وهى مشاعر الإنسانية.

تناولنا الفطور ثم جلسنا نشاهد التلفاز مع بعض المقبلات.. وأثناء جلوسنا وضحكاتنا على هذا الفيلم الكوميدي.. وما إن أتى إعلان حتى تجهم وجهي وعدت إلى حزني، فباغتتني وفاجأتني بسؤالها:

- "مش ناوى تقولى بردو يا يوسف"؟

فنظرت إليها مندهشاً لأسألها:

- "اقولك على ايه"؟

- "نامت فى حضنى ونظرت لعينى"

- "تقولي على اللي انت مخبيه عنى واللى قالقك"

ترددت في إخبارها، ولن أنكر بأنها أحسنت الاختيار، فلقد اختارت الوقت المناسب للسؤال.. ولكني لم أرد أن أتعبها معي، فيكفي ما تعانيه معي في حياتي، ولكنها وأثناء تفكيري قالت ما جعلني أخبرها بكل شيء:

- "تعرف يا يوسف ان اسعد لحظات المرأة هو الوقت اللى جوزها وحبيبها يحكيلها عن كل اللى شاغله ويشاركها أراؤه.. ساعتها بتحس بكيانها اكتر وانه مرغوب فيها بشكل اكبر وبتحس انها كبيرة فى نظر جوزها للدرجة اللي خلته يعتمد عليها ويشاركها حياته كلها خارجها وداخلها.. المعلن للجميع وسره وحده.. وقتها بتتأكد انه اعتمدها روحه لانه شاركها اسراره اللى محدش يعرفها"

خاطبت روحي فنطق لساني وأخبرتها بكل شيء يتعلق بشحنة ناصر وكل شيء حتى الساعات الأولى من هذا اليوم...

وما إن بدأت حتى اعتدلت في جلستها وأخذت تنصت إلي في اهتمام واستيعاب لما أقول وظهر حزنها عندما علمت بما تحتويه الشحنة وبكت عندما حدثتها عن أضرارها للمجتمع بتحطيم وهدم وغياب شبابه، وكم من الأرواح ستزهق دون ذنب بيد مجرم مثل ناصر وأعوانه.

انهيت كلامي ولم تنته دموعها بعد، وهذا ما كنت أخشاه وهو أن تذرف دمعه بسببي.. لم أملك فعل شيء سوى أنن ضممتها لصدري لتبكي بداخلي، وما إن سكبت دموعها حتى رفعت رأسها وأنا أجفف

عينيها وضمتني إلى صدرها بقوة وتحدثت ببقايا دموعها:

- "شايل كل دا لوحدك وساكت"؟

ضممتها إلي بقوة وأنا أبتسم، فلم أدرك بأنني كنت أحمل حملاً ثقيلاً إلى هذا الحد إلا عندما رأيت دموعها، أردت أن أغير الحديث وأشغلها بأي موضوع آخر حتى تكف عن البكاء فدموعها ألم لا يطاق.. فاستدعيت ابتسامة قائلاً:

- "انا اكتشفت ان القراءة والثقافة ملهمش اى قيمه والصراحة زعلت او على العزومات اللى ضيعتها وكان فيها شرب واكل وانبساط كل دا علشان اقعد اقرأ كتاب"

انتفضت من بين يدي وتحدثت متحمسة مدافعة وما زالت دموعها تتغلب على حديثها:

- "لا يا يوسف متقولش كده، متظلمش الثقافة ومتلومش الكتب على غدر البشر"

فتحدثت ببعض الأسى:

- "انا مبلومهاش.. انا بلوم نفسى انى اهتميت بيها اكتر من اللازم"

- "لا ولا تلوم نفسك، علشان انت عملت الصح.. وانا حبيتك اكتر لما بدأت تقرأ"

فرفعت حاجباي مستغلاً حبها لي لأمزح معها لعلها تبتسم فتشرق شمسي:

- "يعنى لو مكنتش قرأت مكنتيش هتحبينى"؟

فلمست صدري بحنية وتحدثت بدلع:

- "أكيد كنت هحبك يا رخم"

- "بس انا بقول الحقيقة وخصوصاً في المشكلة اللى مريت بيها دى.. كنت فاكر انى الكسبان واني انا المسيطر فى اللعبة علشان عندى تفكيرى المستقل وثقافتى اللتى تمكننى من التغلب عليهم"

- "ممكن اسألك سؤال يا حبيبى"؟

- "اسألي......"

- "التلميذ فى المدرسه.. نسبة نجاحه بتعتمد على كام في الميه من مجهوده وكام في الميه من مجهود المدرس"؟ فأجبت مما قرأت مسبقاً

- "بيعتمد على حوالى 70% من مجهوده و30% من مجهود المدرس"

- "ولو تلميذ متفوق هيحصل من 80 الى 85% من مجهوده صح"

- "ممكن"

- "هي القراءة نفس التشبيه تقريباً.. الكتب بتلعب دور المدرس وبيعتمد نسبة افادتك منها من 30 الى 40 % تقريباً اما ثقافة الحياة هى الثقافة الكبيرة والنسبة الاكبر علشان كده انت مغلطتش انك اهتميت بالقرأة والكتب، ولكن لانشغالك وثقتك فى الاخرين ولحسن نيتك اهملت النسبة الاكبر وهى ثقافة الحياة".

صمت بعد حديثها مقتنعاً مؤمنا بما تقول، فعلاً لقد أهملت ثقافة الحياة وهزيمتي نتيجة لتفوق ناصر في تلك الثقافة، صمت قليلاً أفكر وما إن هيأت نفسى للحديث حتى مسكت على لساني وهى تنهض مسرعة بعد نظرة خاطفه في الشقة واتجهت إلى غرفتها وطلبت مني تبديل ملابسي استعداداً للخروج وما إن جئت لأسألها حتى اختفت من أمامي، فنهضت وأغلقت التلفاز الذي أوقفت صوته مبكراً ولحقت بها



لأبدل ملابسي، ربما يكون هناك أمر هام، دخلت غرفتي فوجدتها اختارت ثيابها ودخلت لتبدلها:

- "هنروح فين"؟

- "عايزة اخرج معاك"

لم أكرر سؤالي وبدلت ملابسي في صمت وانتظرت حتى انتهت ثم خرجنا بعد أن أصرت على ترك موبايلي، ولم نذهب بالسيارة أيضاً فركبنا تاكسي ولم نبتعد كثيراً ولم نجلس في مطعم أو كافيتريا وإنما جلسنا بجوار إحدى الأشجار التي تزين حديقة من الحدائق العامة للمدينة.

لم يكن ذلك وحده هو العجيب في الأمر لأننا لم نعتاد عليه، وإنما تعجبت أيضاً عندما طلبت منى تغيير شقتنا، والسيارة والموبايل ولما سألتها أخبرتني بأنها تشك في ناصر، فكل هذه الأشياء هو من اختارها وأتى بها وربما وضع أجهزة تصنت بها، فوافقت على ذلك لأنه قد خطر في بالي بالأمس، ولكن الآن علي أن أغير كل شيء حتى أرتاح وأطمئن، ليس عليّ وإنما عليها هي أكثر، فلن أسامح نفسي إذا أصابها شيء بسببي ولن أرحم من يتجرأ ويلمس ظفرها.. أخرجت الحاسب اللوحي من حقيبتها ولم ألاحظها حينما وضعته، ومن أين أتت به فلقد وضعته في مكان لا يعثر عليه أحد، أعطته لي بوجه بشوش، فنظرت إليها رافعاً أحد حاجبي بتعجب فابتسمت وهي تحرك رأسها كي ترضيني.. فأخذته منها ثم انتظرت ثوان، أعلم بأنها تريد فتحه ولكن لأى سبب:

- "عايزانى افتحه ليه"؟

- "علشان اشوف الفيديوهات والملفات اللى عليه واخر حاجة وصولتلها عن vool"

و vool هو رئيس العصابة، حليف ناصر.. فأتيت بما طلبت وأعطيتها الجهاز وأخذت أتابعها وهى تتفحصهم بدقة وتكتب بعض الملاحظات الهامة في دفترها الصغير، وما إن انتهت حتى أعطتني إياه وهى تنهض مسرعة تجاه عربة الآيس كريم.. يا له من أمر مضحك، مجنونة تسكن داخل عاقلة، مزيج رائع إذا كانت لامرأة مثلها تدركه جيداً وتقدره بعناية.

قضينا ما يقرب من نصف يوم في الحديقة.. ساعات لم نشعر بمرورها كأنها لم تمر بعد، قضيناها في سرد بعض ذكريات الطفولة وكم كانت تلك الهادئة شقية وحدثتني أيضاً عن حلمها بأن تصبح مصر من أهم دول العالم، وأنها تمتلك الموارد لذلك ولكن سوء استخدامها وإدارتها السبب في تحطيم أحلام كل مصري تمنى يوماً أن يشاهد بلده تعتلي القمة.. فهي لا تنكر أن الشعب على عاتقه مسئولية مثل الحكومة ولكن الشعب لن يستطيع تنفيذ مسئولياته والوفاء بوجباته وهو مقيد بأغلال الفاسدين الذين يسمحون للجهلاء والمنافقين بإدارة الموارد الهامة وأهملوا النوابغ المتفوقين.

تحدثنا كثيراً هذا اليوم في أمور مختلفة ومثمرة، وشعرت بأن لديها الكثير والكثير من الأمور التي أرادت دوماً أن تحدثني عنها ولكنها دفنتها داخلها؛ لأنها لم تجدني أبداً بجانبها.. انتهت من إخباري بعض ما يسكنها ثم اقترحت علي الاتصال بمحمد الساحي، وهو رجل مصري يعمل ضابط شرطة، أخبرتني بنزاهته ورفضه للظلم وبغضه للشر

ودفاعه من أجل الحق.

أخبرتني أيضاً بأنه تعرض أكثر من مرة للموت بسبب شجاعته وتحديه زعماء بعض العصابات وأخبرتني دون سؤلها بأنها تعرفت عليه عن طريق عملها في المطعم فما إن عرف بجنسيتها حتى تودد منها وعرض عليها كل خدماته، وطلب منها التوجه إليه عندما تواجها أي مشكلة. وافقتُ واتصلتُ من موبايلها ودعوته للغداء ولكنه رفض في بداية الأمر حتى عرفته بنفسي وأخبرته بأنني زوج رقية فوافق على الفور دون أي تردد أو تأجيل.

ذهبنا لمقابلته في إحدى الكافيهات وعاتبنا في البداية على عدم دعوته للفرح، فهو في أشد الشوق لزيارة مصر، ثم تحدثنا عن ناصر وأخبرته ما يجب عليه أن يعرفه، فتحمس للأمر وناقشه معنا بعد خطاب العظماء، ثم أكد علينا ضرورة الحفاظ على السرية وعدم التحدث إليه بأي حال من الاحوال، والتعامل مع ناصر معاملة المهزوم، والحرص من التحدث معه بأي أمر له علاقة بالشحنة حتى ولو حديث جانبي أو تلميح من بعيد، ثم ابتسم وهو ينظر لثيابه:

- "كويس انك طلبت منى البس لبس يخفي شخصيتى.. مع انى بتخنق من البدل ومحبش النظارات اللى بتخفى الوش دى"

فابتسمت له:

- "بس لايقين عليك جداً"

فنظر إلى رقية لعلها تثني عليه أيضًا، ولكنها أبداً لم تقل شيئًا واكتفت بابتسامة فنظر لي وكأنه يثنى عليها بنظراته تلك.

صمتنا قليلاً ثم استأذن لانشغاله، انتهينا نحن أيضاً من جلستنا ثم

ذهبنا نبحث عن شقة ولم نيأس ولم نتراجع رغم الإرهاق الذي كنا نعانيه حتى انتهى بنا الأمر باستئجار شقة صغيرة بسيطة، ثم ذهبت وأحضرت الكتب وبعض الملابس، نمنا في هذا اليوم نوماً عميقاً مريحاً فالراحة نتيجة الشعور بالأمان والطمأنينة، وأهم مصدر لهذا الشعور هو الحب.

استيقظت في الصباح وذهبت لعملي بالمواصلات بعد أن قررت الاستغناء عن سيارتي فلست بحاجة إليها، وإن احتجتها في عملي فسيارات الشركة تفي بالغرض، أما عن حياتي الشخصية فليس هناك جهد أو مشقة في استخدام المواصلات العامة، فهي تؤدى ما تؤديه السيارة الخاصة بجانب أن راحة المواطنين هنا هي الأهم، ولذلك تجد أن جميع الموصلات مريحة والتعاملات بسيطة دون تعقيد يذكر أو خلافات بين المواطنين، فهنا كل مواطن يعرف حدوده ولا يتخطاها ولا يتدخل فيما لا يعنيه ولذلك نجد الحياة هادئة والحوارات مثمرة.

وصلت لمكتبي وراجعت بعض الملفات حتى استدعاني ناصر، فذهبت إليه ولكني لم أذهب إليه منكسراً مهزوماً بل ذهبت وأنا صاحب الشركة وليس هناك بديل عن ذلك.. دخلت مكتبه فسارعن باستهزائه:

- "ايه اخبار المرض معاك"؟

فنظرت إليه نظرة ثقة وثبات:

- "لكل مرض دواء"

وجلست استمع لهرائه:

- "الا الامراض الخبيثة"

- "ربنا يعفينا منها.. ومع ذلك المرض الخبيث مش قاتل القاتل، هو

الاستسلام له"، تراجعت بسمته الأخيرة حتى اختفت وظهرت ابتسامتي عوضاً عنها، تحدثت معه متجاهلاً كل ما حدث ناسياً ما كان منذ يومين وتعجب هو من ذلك، فالضعيف صار قويًا وإن كانت القوة هنا هي قوة الحديث، وليست الموقف.

عدت إلى مكتبي لأستكمل عملي وقابلت العملاء وناقشت معهم أعمالهم المُعلقة بسبب العجز المالي، أخبروني بأن ناصر رفض تسليم طلبياتهم إلا بعد سداد المبلغ كاملاً، ولذلك أتوا إليّ بعد أن عرفوا بأنني صاحب الشركة ولست موظفاً، فاستمعت لهم ثم اتفقت معهم على تسليمهم الطلبية ولكن بعد كتابة بعض الضمانات التي تحفظ للشركة حقها.

تركتهم يشربون قهوتهم في مكتبي وذهبت لناصر لأعلمه بما اتفقت عليه، ولكنه كاد أن يرفض لولا أن وجدني مُصراً على تنفيذ ما اتفقت عليه وأنني جئت فقط لإخباره، فاستسلم للأمر الواقع فاتصلت بالمستشار القانوني وطلبت منه كتابة العقود اللازمة، وبالفعل نفذ ما أمرته به وتم الاتفاق وإبرام العقود وتحديد موعد التسليم.

ذهبت إلى موقع الشركة لأباشر العمل بها وأخبرني المهندس خلال ذلك بأن ناصر أتى أكثر من مره ودفع للعمال مبالغ مقابل الإنجاز في العمل وبدلات للإضافي، وبالفعل كان هناك عمل إضافي ولكنهم لم ينجزوا فيه أكثر مما طلبت، وعندما استفسرت عن السبب أخبرني بأنه صديق مختار ويعرفه معرفة جيدة ويدرك بأن إصراري على الانتهاء في وقت محدد هو وفقاً لخطة ما وسبب مقبول، ولذلك ينفذ ما طُلب منه دون تردد أو إجبار، بجانب أنه لم يقبل ولم يرض أبداً عن أسلوب

التهديد الذى استخدمه ناصر ف أكثر من مرة، ولكنه لم يقف على الأمر ولم يرد إثارة المشاكل ولذلك تغاضى عنه وتجاهل تهديده مما دفع ناصر إلي إعادة حساباته والتصحيح من أسلوبه ولهجته.. كل ذلك عرفته من المهندس المسئول وكم كنت سعيداً بذلك.

أعدت السيارة ثم انتظرت الحافلة حتى أتت كنت خلال الانتظار انظر إلى وجوه من حولي مسنين وشباب أحييهم كلما التقت عيني بأعينهم، أتت الحافلة فصعدت متجهاً إلى الجامعة، وأثناء جلوسي وبعد قطع مسافه لا بأس بها جلست بجانبي فتاة طويلة القامة يتجاوز عمرها الثلاثين جلست بجانبي تحرك رأسها راقصة على أنغام موسيقاها التي تستمع لها وحدها وفى لحظة ودون أي إنذار اختفت من جانبي ولم أجد لها أثرًا ولكن لفت نظري تلك الورقة الصغيرة المطوية والموضوعة فوق كتابي فأمسكت بها وفتحتها مترقباً لأقرأ بها ما يلى (مارى فول - 685043 بيانات) لم يكتب بها سوى تلك الجملة وهذا الرقم، فطويت الورقة مرة أخرى ووضعتها في جيبي متسائلاً من أرسل لي هذه ومن تكون تلك الفتاة التي جلست بجانبي وكيف لها أن تختفي بتلك السهولة ودون أي أثر.. سيتضح كل شيء فيما بعد.

وصلت الجامعة واتجهت من فوري إلى المكتبة، فلقد كنت أعلم مسبقاً بأنها قد أنهت يومها الدراسي وستنتظرني برفقة الكتب، كما أنني على تواصل دائم معها عن طريق هاتفي الجديد الذي لا يعرف أحد رقمه غيرها، دخلت المكتبة فرأيتها تجالس كتاباً، لم تكن وحدها في المكتبة فلقد كان هناك عدد لا بأس به، كل منهما يطالع ويستمع إلى كتابه باستمتاع وشغف للمزيد والمزيد اصطحبت كتاباً وجلست بجانبها

ورغم اندماجها في الكتاب إلا أنها لم تنس وجودي ولم تقيد يدها التي لامست يدي أكثر من مرة وكأنها تخبرني بأنها معي.. ترافقني في كتابي بين السطور والحروف.

أخرجت ورقتي وأعطيتها إياها فنظرت إليها ثم سألت في فضول بعد أن أدركت بأن وقت القراءة قد انتهى فلن تستطيع أن ترافق الكتب بعقل مشتت:

- "مين ادهالك"

- "بنت قعدت جنبى فى الاتوبيس وبعدين سابتها ونزلت.. على ما اعتقد ان محمد الساحى هو اللى بعتها بالطريقة دى علشان لو حد مراقبنى وخصوصاً بعد ما اتنقلنا وسيبنا الموبايلات والسيارة"، نظرت إلى الورقة بدقة تفكر في شيء ما.. فبادرتها:

- "الاسم بيدل انها بنت فول رئيس العصابة.. واكيد بعتلنا الكود والاسم علشان نعرف بيانتها ممكن معرفتنا بيها توصلنا لحاجة"

نهضت فنهضت بعدها وأعدنا الكتب، ثم ذهبنا لقسم المعلومات وبحثنا عن الاسم وأدخلنا الكود فظهرت بياناتها

الاسم: مارى فول ديواردو

السن: 25

المؤهل: طالبة في جامعة سيتانفورد

العنوان: نيورك ......

قرأنا البيانات وأفادتنا المعلومات كثيراً فلقد عرفنا بأنها طالبة معنا هنا، لم تنتظر رقية وأسرعت تبحث في سجل الطلاب عن الاسم فتوصلت إليها وأنها تدرس في قسم إدارة الأعمال، وبذلك تكون هناك

الكثير من الأمور قد اتضحت وستفيدنا فيما نريد التوصل إليه وما نريد معرفته فأي معلومة تُضاف إلينا قد تساعدنا الآن أو فيما بعد.

انتهينا من بحثنا ثم اتجهنا إلى شقتنا وجلسنا سوياً نصمت كثيراً ونتحدث بعض الشيء ونحن نشاهد التلفاز ونأكل المقبلات....

شعرت بها تتحدث براحة كلما أرادت التحدث وكأنها تشكر الله ثم الظروف على ما حدث لكوني الآن معها.. أقضي معظم أوقاتي برفقتها، لم يكن شعورها وحدها إن صدق إحساسي، بل كان شعوري أنا وشكري أنا أيضاً، فأنا الآن أدركت ما قد فقدته في بعدي وانشغالي عنها، فالأسرة هي نصف الدنيا إن لم تكن بأكملها وقد توصلت إلى ذلك الآن وأنا آكل المقبلات وأنظر لعينيها اللتين تمداني بالطاقة والحيوية عبر ابتسامتها الساحرة، ليس هذا وحده بل أصبحت أقضي وقتًا أكثر في القراءة وأصبحت أعيش آلاف القصص.. آلاف الحيوات الجميلة التي كانت بطلتها هي الجميلة الرقيقة الناعمة رقية.

وفى مساء أحد الأيام دعوتها إلى حفلة ساهرة دعاني إليها أحد رجال الأعمال، رافقتها إلى هناك واستمتعت بها ومعها كثيراً وهي ترقص بين يدي وتملأ وجداني بكلمات وتنهدات الحب التي تنفذ لقلبي مباشرة، سهرتي معها كانت مميزة لم تستطع الظروف أن تأخذني منها رغم محاولاتها الكثيرة البائسة من وجود صديقي القديم وبرفقته الشيطانة التي استطاعت أن تتلاعب بعواطفي من قبل.. كما رأيت أيضاً تلك المثيرة العاهرة التي أتت لتقبيلي فقبلت الهواء بعد أن جذبتني رقية بعيداً عنها، وكانت تلك حركة مميزة منها فأنا لم أكن أراها، بينما هي كانت تراها وتعرفها جيداً ومَن مِن النساء لا تعرف وتحفظ وجوه

غريماتها.. كل من تحدثت ولو بحرف مع من تحب؟

رقصنا وكنا نرقص وحدنا.. سهرنا ولم يكن أحد برفقتنا، فلقد انتزعتني من العالم الذي أعيش فيه وبنت لي عالمًا داخلها، أحيا فيه معها وحدها ولا أملُّ أبداً من رفقتها، فرحيقها يتجدد مع كل نفس تستنشقه، وألوانها تزدهر وخدودها تورد مع كل ابتسامة جميلة ونبضاتها تتجدد مع كل نظرة تخبرها فيها عيناي كم أحبها وأشتاق إليها رغم وجودها.

استطاعت وبجدارة أن تجعلني لها وحدها وتكفيني بها عن الدنيا بأسرها، انتهت سهرتنا وليتها لم تنته، انتهت بعد أن تمكنت منا ولم نتمكن أو ننتهي منها، وصلنا إلى شقتنا بمتعة باقية وطفلة تحتضن يدي وتضع رأسها على كتفي بين الحين والآخر، وصلنا غير مدركين ما يحدث في الحياة، أو ما كان يحدث خلال حفلتنا التي تركنا فيها كل أحمال الدنيا وكل ما يشغلنا أو يغتصب فرحتنا بأي خبر حزين أو نظرة قلقة أو مجرد فكرة لذكرى ماضية قد تتسبب في خلل للحظتنا.

لم نكن نعلم ما يدور حولنا ومن كان يحاول الوصول إلينا ولم يستطع وربما أراد القدر ألا نعلم حتى لا نحزن ونبكي قبل الأوان.



(6)

وصلنا إلى شقتنا وبدلنا ملابسنا وما إن ضغطت رقية على زر تشغيل موبايلها وما إن فتح حتى توالت الرسائل تشير بمحاولات اتصال تخطت عدد المرات المسموح بها، ويبدو أنه عندما يأس المتصل من إجابة رقية أرسل رسالة كتب بها ما يريد، وكانت كل تلك المحاولات والرسالة أيضاً من شخص واحد لم يحدثنا منذ شهور حتى اعتقد بأنها قد نسيتنا تمامًا، وهي مي صديقتنا وسكرتيرة الشركة وإن كنت أعلم بأن تذكرها سيكون هكذا لتمنيت ألا تتذكرنا أبداً، فلقد أرسلت رسالة سوداء أظلمت ليلتنا المقمرة وأيقظتنا من سهرتنا الممتعة.. رسالة أفزعتنا وسرقت النوم من أعيننا (أسامة فى المستشفى وطالب يشوفك تعالى بسرعه لانه محتاجك جنبه)

كانت ذلك هو مضمون الرسالة، فلم تقوَ روحي على الانتظار، ولم تعطني فرصة لقول شيء، فلقد شعرت بروحي تنسحب منى والدموع تغرق عيني فجففتها رقية وهي تضغط زر الاتصال:

- "بإذن الله خير"

ردت مي على اتصال رقية ولكنها لم تجب إجابة شافية، فلم ترح قلبي ولم تقل لي ما يخفف من حدة أحزاني أو دموعي التي أخذت تتساقط بغزارة، فهي لم تقل شيئًا ولم تضيف أي حرف زائد عن الرسالة، ولذلك أغلقت الخط وكأنني لم أكلمها ولم أستمع لها، فكل ما قالته وضح من خلال رسالتها.. أخذت أفكر وأفرض أسوأ الفروض الممكنة، فأصعب شيء أن تتخيل ما حدث لإنسان قريب منك فأنت لا

تتوقع الأفضل بقدر ما تتوقع الاسوأ، لم تتركني رقية فريسة لأفكاري، بل أخذت تريحيني وتطمئنني بكلماتها الطيبة حتى نمت على صدرها واستيقظت على صدرها وأنا احتضنها وأتشبث بها تشبث طفل رضيع يخشى فراق أمه.

أيقظتني في السادسة صباحاً وأخبرتني بأنها حجزت لي طائرة خاصة واتفقت معهم بأن يكون الإقلاع عند السابعة والنصف، فنهضت لأجد حقيبتي جاهزة وكل شيء مهيأ للسفر، وعندما سألتها عن سبب بقائها أجابتني بأنها ستبقى لتضع حدًا لناصر وألاعيبه وستستكمل ما بدأناه، فخفت عليها وطلبت منها مرافقتي ولكنها رفضت وأصرت على البقاء متحججة ببعض الأمور الأخرى.

ذهبت على وعد مني بأنني سأعود بعد أن أطمئن على أسامة، وطلبت منها ألا تتخذ أي خطوة إلا بعد استشارتي وأن تعدني بأنها لن تُقدم على أي عمل قد يؤذيها، ولكني لا أتذكر بأنها وعدت بشيء فحنينها وانشغالي بالحديث معها وطلباتها بالاهتمام بنفسي ومحادثتها وأن أسلم الامر لله وأن أدعو وأصلي لله، كل هذا الاحتواء جعلني أنسى الوعد فكيف لي ألا أنسى الإصرار عليه؟ جاءت معي إلى المطار وانتظرت بجانبي حتى موعد الإقلاع.. فودعتها وطلبت منها الاهتمام بنفسها وألا ترهق نفسها في شيء وألا تدخل في صدام مع أي شخص كان.

ركبت الطائرة وعقلي منشغل قلق على أسامه ولساني يدعوا له بالشفاء وأن يحفظه لي وقلبي مضطرب قلق علي رقية، خائف أن تقحم نفسها في أمر قد يكون خطرًا عليها.

وصلت القاهرة ومن ثم إلى الفيلا وأخذت العنوان من عمى عبده واتجهت من فورى إلى المستشفى، سألت في الاستعلامات فأخبروني بأنه محتجز في العناية المركزة، مما زاد حزني واندفاعي وأنا أسرع مهرولاً إلى تلك الغرفة اللعينة، وصلت إلى الممر فرأيت مي تجلس على كراسي الانتظار.. تجلس وحدها دون رفقة، فأسرعت إليها أسألها عنه فأشارت إلى الغرفة المغلقة وأخبرتني بأن الاطباء لا يسمحون لأحد بزيارته فتركتها وذهبت أبحث عن الطبيب المختص حتى وصلت إليه في غرفته فسألته عن أخي فصارحني وليته ما صارحني، أخبرني بأن حالته خطرة، وغير مستقرة بعد ويتمنى ويدعو الله أن تمر بسلام وعندما سألته عن مرضه أخبرني بأنها حالة تسمم.......

فتعجبت واستنكرت الأمر، ثم سألت عن الفاعل وكانت تلك هي الصدمة التي لم أتوقعها أبداً، فلقد أخبرني بأن الشرطة ألقت القبض على زوجته لأنها المتهمة الأولى إن لم تكن الوحيدة في القضية، استمعت إليه دون نقاش وصرخ قلبي يعترض ولكنه لم يجد من يسمعه، لم أقوَ على مسح دموعي، لم أقوَ على فعل شيء حتى الكلمات أصبحت جوفاء تؤلم عند نطقها.. ليست معي لتخفف عني ولا يمكنني التحدث إليها حتى لا يزداد قلقها وخوفها، الآن أنا وحدي أواجه الخوف وحدي والأحزان وحدي، أواجه الواقع بمرارته وقسوته وعذابه وحدي.

خرجت من عند الطبيب ونظرت إلى أسامة من خلف الزجاج.. أنظر إليه وطعنات قلبي لا تتوقف أبداً، فأنفاسه الحرجة تجرح أنفاسي ونبضاته المضطربة ترهق نبضاتي القلقة المترقبة الداعية بشفائه.

جلست بجانب مي شارداً تائهاً عن العالم بما فيه، فعقلي لم يتحمل

أن يصيبه مكروه فكيف يمكنني الحياة من بعده؟ فتجربتي أثبتت لي بأنني ما زلت صغيرًا أحتاج إلى من يساندني ويعلمني، كيف لي أن أعيش في هذا العالم المؤلم وذئابه البشرية المفترسة؟

قضيت ثلاثة أيام على هذا الحال.. آكل وأشرب وأذهب لأبدل ملابسي ثم أعود وأجلس إلى جانبه وأنام إلى جانبه.. قضيت ثلاثة أيام وحدي لا أشعر بونيس سوى صوتها الذي كنت أسمعه وأتعجل اتصالها فصوتها الحنون يخفف عني بعض الشيء وقلقها يزداد مع كل مكالمة كأنها تعلم بما أخفيه ولكنها توهمني بأنها تصدق أكاذيبي التي أخبرها فيها بأنني بخير حتى لا تحملني قول ما لا أريد قوله.

كانت هي وحدها من ترافقني بجانب مي التي تواسيني وتجلس معي كثيراً، ولكني لم أكن أبداً أشعر بوجودها وكانت تخشى دائماً أن توقظني من شرودي بعد تلك المحاولة التي حاولت فيها فانفجرت فيها غاضباً باكياً.. أعلم بأنها ليس لها ذنب فيما حدث ولكن أحزاني التي تتراكم داخلي وأفكاري التي تطاردني تجعلني سجيناً مع كل فكرة تولد داخلي أو ذكرى تائهة مباغتة متحدية كل محاولات هروبي.

خرج الطبيب الاستشاري من غرفة العناية وسمح لي بزيارته استجابةً لطلبه، دخلت الغرفة وتحركت إليه، كان مريضاً لا يقوى على الحراك.. فأنا لم أعتد عليه هكذا بل أنني لم أراه يوماً هكذاً، لم أره ضعيفاً هزيلاً لا حول له ولا قوة، ولكن أي ضعف أتحدث عنه فنحن لا شيء أمام القوي الجبار؟ فأرواحنا تزهق وأجسادنا تنهار وهو أبداً لا ينهار، جلست بجانبه أنظر إليه باكياً أحاول التماسك حتى لا يسمع بكائي وتماسكت أكثر حتى كدت أن أكتم أنفاسي عندما حرك كمامة

التنفس بصعوبة ليهمس في أذني.. همس بنبض وصوت متقطع:

- "ابعد عن ناصر واياك تسمع كلامه، ومتصدقش ان قانون القوة هو اللى بيفوز.. انا صدقته واذيت ناس كتير علشان قانونى يبقى اقوى، بس يوم ما اتأذيت اتأذيت من اقرب الناس ليا، من مراتى اللي كانت عايشه معايا بجسمها بس، اتأذيت من كره الناس ليا وبعدى عنك، اوعى تصدق ناصر واعرف ان القانون اللى بيفوز هو قانون الحب والخير للناس، قلوب الناس اغلى من ملاين الدنيا ورضى ربنا اغلى من الدنيا نفسها"، كانت تلك هي كلماته الاخيرة ووداعه الأخير الذي كسرني.

بكيت وانهرت باكياً بجواره ولكن ما فائدة بكائي فلقد رحل ولن يعود، تركني وحيداً أواجه الدنيا، لم أكن أعرف بأنني أحبه كل هذا الحب ومتعلق به إلى هذا الحد، ولكن ما فائدة الكلام الآن فنحن لا ندرك الإحساس إلا بعد فوات الأوان....

أقمنا شادر العزاء وحضر المودعون، وكان بينهم ناصر الذي عبر عن أساه وحزنه على رحيل أخي ونزلت منه دمعتين لا أدري هل سقطوا منه أم أنه هو من أسقطهم؟ لم يقيم في مصر سوى يوم واحد وفى اليوم التالي وقبل السفر وأثناء توديعي قال لي بلهجة تهديه:

- "حافظ على اللي معاك وحذرهم علشان متودعش حد تانى قريب"

انتهى من تهديده وانصرف بهدوء لعلمه بأنني ضعيف لن أقو على مواجهته.. انصرف هادئاً وتركني ثائراً غاضباً أموت قلقاً عليها، ولكنها الآن هنا معي وليست هناك فلا داعي لقلقي، ولن أسمح لها بالسفر إلا عندما ينتهي كل شيء واتأكد واطمئن بأنها ستكون بأمان. أخبرتها بعد

الوفاة مباشرةً فلم تنتظر الغد بل حجزت أول طائرة لتأتي وتكون بجانبي، فهي تعلم كم أنا بحاجة إليها، كم أحتاج إلي يدها الرطبة لتلمسني فتهدأ أنفاسي وكم أحتاج إلى صدرها لأبكي بداخله دون خجل.. شعرت باحتياجي لها وبالفعل أنا بحاجة إليها، من يعلم لأي حال كنت سأصل إن لم تأتِ؟ ولكن أعلم أنني وبالتأكيد كنت سأصل إلى مرحلة لا تحتمل من الدموع والأحزان على فقدان أخي.

قضينا ايام العزاء واستقبلنا المودعين وكانت رقية دائماً معي لا تتركني فريسة لوحدتي، حتى لا أُقتَل بسيف الذكريات، وفى يوماً ما وأثناء جلوسي في مكتب الفيللا أراجع بعض الملفات وإذ برقية تدخل وعلي وجهها تعابير الفرحة، المنتصرة.. وظهرت تلك اللهجة واضحة عد حديثها:

- "يوسف.. يوسف"

نظرت لها ففاجأتني قائلة:

- "انا عرفت موعد الشحنة"

حدقت عيني وسألتها متعجباً:

- "أمتى"؟

- "يوم الاربع اللي جاى 29"

- "عرفتى ازاى"؟

هنا هربت بعينيها خوفاً من غضبي فلقد نبهت وأكدت عليها ألا تفعل شيئًا، وألا تقحم نفسها في المخاطر ولكن معلوماتها وعيناها تؤكد أنها لم تنفذ ما طلبته منها، ولذلك تحاول الهروب من عتاب عيني الحزينتين، تحركت وجلست أمامي وتحدثت بحرج، فهي تعلم بأنها قد

ارتكبت خطئًا كبيرً:

- "انا كنت على تواصل دائم مع محمد السياحي، وبعتله برنامج التتبع اللي عرفت فيما بعد انه بيستخدمه من قبل ما ابعته وفى نفس الوقت وطدت علاقتى بمارى والنهارده محمد بعتلى انه قدر يخترق شبكة فول عن طريق مارى وعرف ان الموعد المحدد"، لم أجبها ولم أتحدث بشيء، وبقيت صامتاً أنظر إليها في لوم:

- "انا آسفة يا يوسف"

اعتذرت ثم ذهبت وتركتني أفكر فيما يجب عليّ فعله، ولكن لم أطل التفكير وإنما اتصلت بمي وطلبت منها تجهيز طائرتي الخاصة للسفر غدًا، لم أذهب إليها ولم أحدثها تلك الليلة ورغم أنها سهرت كثيراً وحاولت كثيراً التحدث معي، ولكني كنت أتجنبها ليس غضباً منها بقدر ما هو خوف عليها فأنا لن أتحمل أن تُمس بسوء أو تعاني بسببي، ولذلك أردت إبعادها عن كل شيء حتى لا تتعرض لأي أذىً من هؤلاء الخونة عملاء الشهوة.

في اليوم التالي، استيقظت من نومي على المكتب وذهبت لغرفتي لأجهز الحقيبة وأيضاً لأصالحها، فهي قد فعلت كل هذا من أجلي، وأنا اعلم ذلك جيداً ولكن خوفي عليها هو من جعلني أعاقبها هذا العقاب القاسي حتى لا تفعل ذلك مجددًا.. طلبت من عمي عبده أن يحضر لي قهوتي ثم ذهب للغرفة ولكنى صُدمت وأصابني الهلع، فهي ليست هنا فأين هي إذاً؟

نزلت مسرعاً أبحث عنها في مكتبتها ولكني لم أجدها فأخذت أبحث عنها في جميع غرف الفيلا وأنا أستدعي عمي عبده بصوت عال، الذي

أتى مسرعاً مفزوعاً فسألته عنها فأخبرني إنها لم يرها من الأمس.. فلقد خرجت في وقت متأخر وعندما سألها أخبرته بأنها ستخرج لتشتم الهواء حتى أنها لم تأخذ السيارة معها بل خرجت على قدميها، جن جنوني واتصلت بها كثيراً ولكنها لم تجيب وفى نهاية الأمر عثرت على الموبايل في غرفتها.

ماذا أفعل الآن؟ كيف لي أن أصل إليها؟ هل حدث ما يدور بعقلي؟ هل لناصر يد في اختفائها؟ ماذا أفعل.. ماذا أفعل الآن.. عليّ أن أجدها بأي طريقة.. يجب أن أبحث عنها بكل الطرق الممكنة، والغير ممكنة.. عليّ العثور عليها ولو كلفني ذلك حياتي.

ذهبت لقسم الشرطة وأبلغت عن اختفائها وكان معي مستشار صديق أخي، فاهتموا وأجروا عمليات البحث على الفور وأرسلوا صورتها لجميع الوحدات بجميع المستشفيات ولكن دون نتيجة تذكر وكنت أبحث في الوقت ذاته بنفسي في كل الشوارع وعند جميع الصديقات التي أعرفهم، ذهبت إلى اهلها فلم أجدها ولم أخبرهم بغيابها وذهبت بعد أن أوهمتهم بأنني أتيت لأودعهم.

لم يمر الكثير من الوقت حتى رن هاتفي فأجبت مستبشراً ولكن ما إن تحدث الطرف الآخر حتى تلاشى أملى، فقد أجاب بصوت غليظ متحجر:

- "مش المعلم قالك ابعد حريمك.. ادى اخرة اللي ميسمعش الكلام.. مراتك عندنا فى الحفظ والصون"

فصرخت به غاضباً:

- "لو حد لمسها هقتله"

فأجاب بهدوء:

- "متخفش الاوامر اللى عندنا اننا منلمسهاش إلا......"

استنشق نفساً تهديدياً ثم استكمل جملته:

- "الا لو قليت عقلك.. يعنى اعقل علشان منزعلهاش"

أنهى تهديده ثم أغلق الخط وأنهى الاتصال ببرود، تأكدت الآن شكوكي وصدقت كل أفكاري فناصر هو المدبر المنتصر، ماذا عليّ أن أفعل الآن، فهي من أوصلتني إلى هذا.. لم تستمع لي ولم تنفذ ما طلبته منها، هل ألومها الآن على فعلها؟ طلبت منها ألا تقترب من الخطر فاقتربت أكثر وواجهت الخطر من أجلي.

لم انتظر كثيراً فما إن أنهى الصبي اتصاله حتى اتصلت بمعلمه لأخبره بأنني لن أفعل شيئًا ولن أنوي على فعل شيء وسأتركه يفعل ما يريد شرط أن يترك زوجتي، اتصلت به لأعتذر له وأطلب الصفح وأن يكون كريماً صديقاً ويبقى على العشرة ويعفو عنها، اتصلت به لأقول له ذلك وفكرت في اعتذارات كثيره أثناء الاتصال ولكنه أضاع تفكيري وذهبت محاولاتي سدىً، لأنه لم يجب فحاولت مرة أخرى، واثنين وثلاثة ولكن دون استجابة.. فجلست على مكتبي حزينًا أفكر فيما هو آتٍ.. فهو الآن يعاملني ببرود.. معاملة الحاكم للمحكوم، لا أملك من أمرى سوى انتظار الأوامر الجديدة، فهو يملك بيده كل شيء، أما أنا فكل ما أملكه بيدي هو لا شيء.

انتفضت من على مقعدي بعد أن تذكرت أمراً هامًا.. أمراً أنساني خوفي وحزني إياه، فلقد وضعت جهاز تتبع في قلادتها قبل نزولي للقاهرة، لأتدارك أي أمر قد يحدث في غيابي، كانت محاولة لحمايتها

ولكن ما مررت به قد أنساني ذلك، أما الآن وبعد أن تذكرت فعليّ أن أحضر جهاز التتبع من غرفتي لأتتبع إشارتها، ذهبت لغرفتي مسرعاً وأخذت أبحث عنه، أتذكر بأنني وضعته هنا ولكن أين وضعته؟ أين هو الآن.. أين؟

بحثت عنه كثيراً وكلما بحثت كلما ضاق صدري واختنقت عيناي، وعندما انتهى بحثي واستسلمت ليأسى جلست على سريري أفكر وأدور بعيني، وفى لحظة ما رأيت عيني موجهة إلى جزء ما في دولابي فنهضت وأسرعت إليه، فهو هنا بالتأكيد وليس في مكان آخر، فتحت الدرج السري في دولابي فابتسمت عيني في أمل وهي تنظر للجهاز المجاور لبعض مقتنياتي القديمة والثمينة.. ذكرياتي السعيدة والحزينة.

أخذت الجهاز وهبطت السلم مسرعاً بعد أن شغلته وحدد لي موقعها، وبعد أن أتيت بسلاحي من الدرج ذاته، ركبت سيارتي ووضعته جانبي واتجهت من فورى إلى الموقع المحدد دون أن ابلغ الشرطة أو أي أحد، فأنا لا أثق بأحد، وما إن وصلت هناك حتى اتصلت بهم ووصفت لهم العنوان، بعد اثنين كيلو متر بعد كفر الشيخ طريق ترابي ضيق بجانبه ترعة مياه وفى آخر هذا الطريق توجد زوجتي في مبنى لمزرعة الدواجن، وصفت لهم العنوان وركنت سيارتي بعيداً واقتربت من المزرعة أراقبها من جميع الجهات.

لم أجد أحدًا، ولم أجد بابًا أو شباكًا آخر غير الرئيسي، فصعدت على الماسورة الحديدية الممتدة على طول المبنى، فصعدت عليه وساعدني ذلك ممارستي القديمة للرياضة، انتهت بي الماسورة إلى السطح، فأبطأت خطواتي أراقب المكان وأنا أنزل السلم بهدوء وحذر

حتى وصلت للطابق الثاني ونظرت عقب الباب فلم أجد أحداً ففتحت الباب بهدوء وأنا أخرج سلاحي ودخلت أبحث بعيني في المكان ولكن لم أجد أحداً، فعدت إلى السلم واستكملت نزول السلم حتى وصلت للدور الأول وكان الباب مفتوحًا فاختلست النظر لأرى رقية تجلس على كرسي خشبي مقيدة الأيدي من الخلف ومكممة، وأمامها رجل أصلع ينظر إليها بشهوة ذئب مقيد بأوامر سيده، ولكن من الواضح عليه بأنه لم يعد يطيق القيد فشهوته ازدادت وبدأت تتحرك أقدامه متجهة إليها ليفترسها، ولكن أبداً لم ولن يحدث، فقبل أن يفعل ذلك وأثناء اقترابه والصراخات المكتومة من رقية كنت قد حررت الرصاصة من سلاحي لتصيب كتفه قبل أن يسقط عليها، أسرعت إليها وقطعت قيدها بالخنجر الموضوع بخصر المصاب، وبينما أؤهلها لنهرب سويًا من هذا المكان سمعت أصوات أقدام تتسارع، فنظرت للأسفل لأجد خلفي أربعة رجال، وكنت أمام الدور الثاني فدخلت مسرعاً وأتيت بباب مكسور مركون بالداخل وما إن اقتربوا منى حتى رميته عليهم فسقطوا أرضاً وتدحرجوا على السلم ومنهم من هرب بالقفز للدرج الأسفل.

استكملت صعودي مسرعاً حتى وصلت السطح فأحنيت ظهري وطلبت منها أن تصعد على ظهري وأن تمسك بي جيداً.. ترددت في البداية ولكن أمرتها بأن تفعل ذلك مسرعة ففعلت ما أمرت به وحملتها ونزلت بها من على الماسورة حتى وصلت للأرض بعد مشقة وبعد أن كدنا أن سنسقط أكثر من مرة.

وصلنا للأرض فنزلت وأمسكت يدها وأسرعنا تجاه السيارة، ولكن لم نصل للسيارة فلقد أوقفنا الرجال وأحاطونا من كل الاتجاهات وهم

يشهرون الأسلحة علينا، اقترب أحدهم من الخلف واستغل حمايتي لها ونزع المسدس من جانبي ثم عاد إلى مكانه ليقترب معلمه الضخم وهو يعقد حاجبيه غاضباً، وفى أثناء اقترابه وتوجيه سلاحه اتجاهها وهو يتوعدني بغضب:

- "قولتلك اعقل علشان منزعلهاش وانت معقلتش يبقى نزعلها"

أطلق كلمته الاخيرة وهو يطلق معها الرصاصة تجاه رقية فتحرك جسدي لا إرادياً ليستقبل الرصاصة عنها ولكن ما الذي سيحدث لها بعد رحيلي، فتحت عيني بصعوبة ونظرت حولي بألم وسؤال متكرر في عقلي (أين أنا الآن)؟

* * *

جدران بيضاء وفراش أبيض وتلفاز ومقعد وترابيزة صغيرة، وما تلك الضمادات الموضوعة على صدري، هل نجوت؟ وإن كنت كذلك فأين هي الآن؟ يا رب لا تتركني لحيرتي المؤلمة ولتفكيري القاتل وطمئن قلبي عليها، فلا تحيني بشفاء جسدي وتقتلني ببعدها عنى.

لم تمر ثوان حتى أرسل الله لي إشارة، يخبرني فيها بأنه قد سمع ندائي ورجائي، فلقد فُتح الباب ودخلت روحي من خلاله، الآن فقط قد تم شفائي وعدت إلى الحياة مرة أخرى، وطرح عقلي سؤال آخر وهو كيف حدث ذلك وما الذي حدث؟ جلست بجواري ونظرت إلى عيني مبتسمة:

- "حمد الله على السلامة"

ثم وضعت يدها برفق على ضمادتي والتي كان موضعها هو قلبي وهى تستكمل قائلة:

- "مكنتش اعرف انك بتحبنى كده"

فأجاب قلبي دون تردد: لم تعرفي شيئًا بعد، ولن تعرفي أبداً مقدار حبي لكِ.

- "انا بقالى كام يوم هنا"؟

- "سبع ايام"

صمت صمتاً حزيناً ولكن لم أردها أن تشعر بحزني، فسبعة أيام يعنى بأن ناصر قد تمكن مني وأصبح هو المنتصر بالتأكيد، وأنه قد أرسل الشحنة بسلام دون عراقيل ودون أي عناء، أخذت أفكر بحزن وابتسامة جامدة خادعة على وجهي، ولكنها لم تتمكن من خداعها، أمسكت أطراف أصابعي بحنيه:

- "اطمن...."

نظرت إليها متسائلاً عن أي اطمئنان تتحدث:

فأجابت سؤال عيني:

- "ناصر اتقبض عليه"

سألتها بإلحاح وتنهيدة مريحة:

- "احكيلى ايه اللى حصل"

- "في الوقت اللى دفعت فيه عنى وخدت الرصاصه مكانى كانت الشرطة وصلت وحاوطتهم وخلتهم يسلموا نفسهم وبعدها وصلت الاسعاف ونقلناك هنا، ورحت القسم بعد ما اطمنت عليك وقولتلهم على كل حاجة واتفقنا اننا نخلى الراجل اللى كان خاطفنى يتكلم مع ناصر عادى وكأن كل شيء ماشى زى ما هو عايز وبالفعل حصل والراجل نفذ كل الى طلبناه منه بالحرف بعد ما رئيس المباحث ضغط عليه

وهدده.. بس كانت المشكلة قابلتنى هى اتصال ناصر المتكرر وطبعاً مفيش رد منك ولو قفلنا الموبايل كان هيقلق اكتر وبالصدفة اتصل بمي وهى معايا هنا فطلبت منها تقوله انك مشغول ومانع الاتصالات، فى الوقت دا خدت رقم مختار من عندك وقولتله اللى حصل فبعت برنامج يقلد صوتك بعد ما يسجله على الموبايل وبكده رديت انا وكأنه انت، وطبعاً هو كان بيسمع صوتك انت ودا الى خلاه يصدق وخصوصاً انى حاولت على اد ما اقدر انى اقلد اسلوبك وكلمت محمد الساحى وعرفته اللى حصل وخليته يتواصل مع مختار واصحابه وقدروا فعلاً يراقبوهم ويعملولهم كمين ويقبضوا عليهم بعد ما حصل ضرب نار متبادل اتصاب فيه مختار فى كتفه وخالد صاحبه فى ذراعه والحمد لله بقوا كويسين ولسه مطمنة عليهم قبل ما ادخلك".

ماذا أقول؟ بعد كلامها هذا فليس هناك شيء يُقال، فلن تفعل ذلك سوى زوجة عاقلة ذكية، زوجة عاشقة لزوجها، حقًا إن كيدهن عظيم، وإن حبهن لأعظم.

وهنا تكون قد انتهيت من فترة شاقة من تفكيري وتم استئصال مرض خبيث كاد أن يفتك بالعالم عن ريق شبابه، فرحت كثيراً بل إن سعادتي تفوق السعادة ولم أعبر عن ذلك بالكلام بل بتقبيل يدها:

- "بحبك"

قضيت أيامي الباقية في غرفة المستشفى ثم ذهبت إلى غرفتي وحضن زوجتي، وما إن تماثلت للشفاء حتى سافرت أمريكا وعينت مختار نائب مدير للشركة كما قمت بزيارة والدد الطفلين الذي استقبلني استقبالاً حاراً شاكراً مهنياً فرحاً يخبرني بأنه وأخيراً قد شعر بالراحة

بعض القضاء على ناصر وأعوانه، فاستقبلت راحته بابتسامة وسعادة ثم أخبرته بأنني قررت تعينه مديرا للشركة لما أعرفه عنه من الكفاءة والنزاهة في العمل وبالفعل تمت موافقته فطلبت منه تشكيل مجلس الإدارة وأبلغته بأنني قد وظفت بعض الشباب وكان هؤلاء الشباب هم أصدقاء مختار الذين وقفوا بجانبي، وقد كانوا يستحقون ذلك وأكثر.

وما إن أنهيت كل شيء وتأكدت من مسار العمل حتى عدت إلى القاهرة، فما زال هناك عمل شاق في المجموعة عليّ القيام به، فأسامة لم يكن يخبرني إلا بالقليل عن المجموعة ومسار العمل بها.

وصلت إلى الفيلا وصعدت لغرفتي فلم أجد رقيه فنزلت إلى المكتبة ثم حمام السباحة، ولكني لم أجدها فأين هي فأنا أريد مفاجأتها بهديتي الصغيرة فأنا الآن متحمس لرؤية ابتسامتها والشعور بفرحتها ولكن أسفاً أنها ليست هنا، اتصلت بها ولكن هاتفها مغلق فسألت الشغالات عنها فأجابوا بأنهن لا يعرفن أين هي فدخلت غرفة عم عبده وسألته ما إذا كان يعرف مكانها فأخبرني بأنها قد خرجت منذ ثلاث ساعات.

يا إلهي أين هي الآن؟ لماذا تقلقني عليها دائماً؟ اتصلت بوالدها فأخبرني بأنها لم تذهب إليه اليوم.. ماذا عليّ أن أفعل؟ هل أخرج للبحث عنها؟ أم أنتظر فربما خرجت تشتري شيئًا وفرغت بطاريتها، لن يهدأ لي بال حتى تأتي، قررت الانتظار قليلاً وما إن أخذت السلم صعوداً لغرفتي حتى رأيتها تدخل فأسرعت إليها وسألتها:

- "كنتى فين"؟

ترددت ورأيت في عينيها الخوف والقلق فتجهم وجهي وأنا أعيد عليها السؤال محاولاً الهدوء:

- "كنتى فين......"؟!

فأجابت بعد صمت طويل وحروفاً مرتجفة:

- "كنت بزور يارا"

حدقت فيها غاضباً محاولاً استيعاب ما قالت وأيضاً السيطرة على انفعالي، نظرت إليها لحظات محاولاً استعادة هدوئي، ولكنها ترى الغضب بعيني فتحاول عيناها الاعتذار بدموع، وما إن رأيت الدموع تختلي بعينيها حتى أنهيت ذلك بانسحابي والصعود لغرفتي، فلا أريد لدموعي أن تختلي بي كما اختلت بها، لا أنكر بأنني غاضب عليها ولم أتوقع منها أن تفعل ذلك ولو كانت لتفعل لأخبرتني به أولاً.. نعم أنكر عليها فعلتها تلك دون إذني وأيضاً لا أنكر ولن أفكر إلا أن هناك سبب قوى جعلها تفعل ذلك إن لم تكن صداقتهما هي السبب الأقوى.

دخلت غرفتي وجلست على فراشي وأخرجت الهدية ووضعتها بجانبي، وسألت نفسي وأنا أنظر إليها هل كان لي أن أفعل ما فعلت؟ ولماذا لم أتمالك نفسي حتى أتم تلك اللحظة الجميلة، ولكن كيف ذلك فالأمر لم يكن هيناً على الإطلاق.. كيف لها أن تزور قاتلة أخي؟ كيف ذلك حتى ولو أتت لي بمبررات الدنيا فلن تغفر لها فعلتها.

ولكن أنت يا قلبي ستغفر لها أليس كذلك؟ نعم سأغفر لها لأنني أحبها، سأغفر لها لأنها فعلت الكثير وهذا أقل ما يجب عليّ فعله، نعم سأغفر لها ليس هذا فقط بل سأسمح لها بزيارتها، ولكن هذا التصرف من أجل من؟ ربما لا أصدق أنها فعلت ذلك ولكن ليس هناك دلائل تبررها وتثبت إدانتها وهي أيضاً لم تتحدث بما ينفي التهمة عنها، إذا فهي مجرمة ولا يمكن أن أفكر أو أن أقرر بخلاف ذلك، لا بل يمكنك،

لا يمكنني.. لا يمكنني أبداً، وإن كنت سأسمح لها بزيارتها فأنا سأفعل ذلك من أجل رقية وليس من أجلها هي.

نهضت من على فراشي والتقطت الهدية من أمامي ونزلت وأنا عازم على ألا أفقد تلك اللحظة في أي شيء كان، ولن أسمح للظروف والمواقف أن تؤثر في وأن تعكر صفو لحظاتي الجميلة، وصلت إلى صومعتها المفضلة فلم أجدها هناك، لم أر شيئًا سوى الكتب المرصوصة في انتظار كل طامع في العلم لتطعمه ما يشاء، أغلقت الباب ثم أخذت طريقي لأبحث عنها، وأثناء ذلك أشارت لي إحدى الشغالات تجاه حمام السباحة، فاختلست النظر من الداخل لأراها تجلس على ضفة الحمام وتحرك قدميها في المياه برفق، فكرت أن أفاجئها بحركة رومانسية مجنونة.

خلعت ملابسي ووضعتها على الكرسي وتسحبت من الباب الخلفي ونزلت المياه بهدوء.. لم تمر ثوان حتى صعدت أمامها بطريقه مندفعة فانتفضت ولكن ما إن رأتني أفتح العلبة وأخرج الخاتم حتى صرخت فرحة وارتمت في أحضاني، مرت ساعات قليلة تناسيت فيها ما حدث، ولكنها أبداً لم تتناس ولم تعطِ نفسها الفرصة للنسيان، ولذلك أتت لي في مكتبي وتحدثت إلي بحرج وهى تشعر بالذنب وقد وقفت قبل أن تدخل عليّ الغرفة قائلة:

- "انا آسفة يا يوسف"

فنظرت إليها متسائلاً في بلاهة مكشوفة:

- "على ايه"؟

- "انى روحت زرتها من غير إذنك"



- "بس مش اسفه انك زرتيها.. صح"؟

فنظرت نظره مترددة خائفة تشعر بأنها ستقول شيئًا يغضبني:

- "انا حاسة انها مظلومة"

- "خلاص روحى طلعيها بإحساسك"

أدركت بأن النقاش سيتجدد وبأنني لا أملك نية للنقاش في هذا الموضوع فقررت الانسحاب:

- "بعد إذنك"

التفتت للخروج فأوقفتها قبل أن تتحرك:

- "استنى"

التفتت إلي مرة أخرى:

- "نعم"

- "تعالي"

فتقدمت إلي وهي تبعد عينيها الحزينتين عني، فنهضت وتقدمت إليها حتى وصلت إلي وهى ما زالت تخفض رأسها بحزن.. فأمسكت رأسها ورفعتها برفق وأحزنني أني رأيت عينيها حزينتين.. فتحدثت إليها برفق:

- "انا مقدر تصرفك ومقدر إحساسك.. بس انتى كمان لازم تقدرى موقفى، اللى مات دا اخويا"

فنظرت لعيني وتحدثت بنبرة حزينة متقطعة:

- "انا آسفة يا يوسف"

قبلت رأسها وابتسمت لها:

- "انا كمان آسف"

قابلت ابتسامتي بابتسامتها، ثم تركتني وذهبت وجلست أنا لأكمل ما كنت أفعله، أنهيت ما كنت أفعله ثم صعدت لغرفتي لأجدها قد حضرت بدلتي وألبستني إياها ووضعت لي العطر، فقبلت يدها قبل أن أخرج:

- "هتوحشيني"

فمنحتني ابتسامتها الخجلة، خرجت وذهبت لمكتبي أراجع بعض ملفات الشركة، قرأتها وكنت أصاب بالخزي والوجع مما أقرأه، فأخي لم يكن نزيهاً في العمل كما توقعت ولم يبرم صفقاته بشرف، فكثيراً ما كان يعرض ميزانية أقل مما يستحقها العمل وبذلك كان يُنهك بعض الشركات الكبيرة وكثيراً كان يتسبب في إفلاسها، وليته يفعل ذلك ويحافظ على العمل أو أن الخسائر تصيب رجال الأعمال وحدهم، بل أن الخسائر تنال من الأفراد فالميزانية القليلة كان ينفق أقل منها فلا يعطي الأبنية حقها فلقد كان يأتي بمقومات ضئيلة لتحمل حملاً ثقيلاً لن يدوم، كما كان ينزع الشرائح الأصلية من الأجهزة ويعوض عنها بأخرى زائفة وبالتالي كان ذلك يأتي بالضرر على الأفراد ممن تهدم مساكنهم وآخرين تُخرب أجهزتهم التي اشتروها ليستفيدوا منها.

عرفت كل ذلك بطرق غير مباشرة، كنت أقرأ ملفات الشركة وكلما قرأت كلما أنكرت على أخي ما كان يفعله وكلما كثرت الملفات كلما توغلت وكلما أصبح لدي يقين بأن ناصر لم يكن سوى تلميذ مقارنة بأخي، ولكن هل أصدق بأن أخي الذي علمني ورباني لم يكن سوى وحش يلتهم الآخرين.

هل أعذرها الآن لما فعلت فربما فعلت ذلك انتقاماً من أخي الذي قتل والدها وحرمها من حنانه أم أدينها بذلك؟

فلقد عرفت عن طريق بعض التحريات بأن والدها كان رجل أعمال معروف ومنافس قوي لأخي وكانت بينهما عداوة عمل شديدة وكان أخي وكعادته لا يقبل أن ينافسه أحد ولا يرضى بغيره في السوق ولذلك ترصده جيداً ونزل ضده في كثير من المناقصات وبطرق أخي غير المشروعة كان يفوزوا بها بسهولة وكان الأخير يخسر خسائر فادحة، وكانت القشة الأخيرة له هي تلك المناقصة التي دخل بها ضد أخي بآخر ما يملك وفاز أخي بالمناقصة دون أن يلتفت لأي شيء، ودون أن يرأف بحالته المادية والصحية وبسبب تلك المناقصة مرض والدها ولازم الفراش شهورًا قبل أن يلقى ربه، وفى تلك الأثناء تقدم أخي لخطبتها ولكنها رفضت كما رفضت مسبقاً عندما تقدم لها قبل تلك الصفقة الملعونة التي أودت بمال والدها وثروته للهلاك وبالتأكيد لم يكن هذا الشعور رحيماً بها، فربما شعرت بالذنب وربما أوهمت نفسها بأنها السبب في موت أبيها ومن ثم أمها التي لحقت به بعد مدة قصيرة، هل حقاً فعل أخي كل هذا؟ إلى هذا الحد لا يعرف قلبه الرحمة ولم يشعر بتأنيب الضمير، نعم الأعمال قذرة ولكن هل تصل القذارة إلى هذا الحد؟ أنا الآن أشعر ببعض ما كانت تشعر به، فالأموال لا تعنى شيئًا مقابل الأهل، وبالتأكيد أن مال عمها لم يكن سوى ورقات مالية تشتري الأشياء ولكنها أبداً لم ولن تشتري السعادة.. فكم بكت على فراقهم وكم احتاجت لهم ولم تجدهم.. كم اشتاقت إليهم.. إلى احساس الأمان معهم وبهم.. ها أنا الآن أشعر بالأسى، ولولا أنه أخي لكرهته، أشعر بكل ذلك وما أنا إلا مستمع، فما شعورها إذا وهي التي عاشت تلك المأساة وعاشت في كنف الحرمان سنين طويلة.

لا أصدق بأنه فعل ذلك ولو كان حكى لي بنفسه ما كنت أصدقه ولكنها الحقيقة التي لا يمكن الهروب منها.

كل هذه دوافع قوية للانتقام، فليس هناك دافع أقوى من دافع الانتقام للأحبة، مرت الأيام وكل يوم يزداد التناقض بداخلي ويحتد النزاع بين عقلي وقلبي، فعقلي يدينها وقلبي يثبت براءتها، قلبي يريد مني البحث عن الحقيقة وإثبات براءتها، وعقلي يطلب مني الكف عن هذا العبث وترك الأمور للقضاء، فهي مُدانة مجرمة، تستحق العقاب وليس هناك داع لمحاولات البحث والتفكير في غير ذلك، لأن بحثي لن يغير من الأمر شيئًا، وإن ما يشعر به قلبي ما هو إلا شعور بائس ومحاولات يائسة وربما يكون الغرض منها هو الإثبات لنفسه بأنه لم يتخلَ عنها.

استمر هذا النزاع وتلك المحاورات كثيراً وكثيراً، كان يشتد النزاع بينهما ينتهي ببكاء قلبي وإرهاق عقلي فكل منهما له وجهة نظر تختلف عن الآخر، يدافعون عنها باستماتة، أحدهما يعتمد على الإثباتات والبراهين، والآخر يعتمد على العاطفة، ولكن كل منهما سينتصر.

مرت أيام قليلة قبل أن أذهب لرقية في مكتبتها، وجلست أمامها ونظرت إليها ثوان قبل أفتتح حديثي وكانت هي في تلك الأثناء تنظر إلي تنتظر كلماتي:

- "زرتى يارا تانى"؟

أغلقت كتابها قبل أن تجيب:

- "لا"

- "عايزك تروحى تزوريها"

تعجبت لطلبي ونظرت إلي في تساؤل مستمر فاستكملت حديثي

دون سؤال:

- "انا طلبت زيارتها بس هى رفضت زيارتى.. انا عايز أأكدلك انها مُدانة، وانها هى اللى قتلت اسامة"

فنظرت إليّ نظرة عتاب:

- "يعنى انت كنت عايز تزورها علشان تقولها الكلام ده"؟

- "لا. انا كنت عايز ازورها علشان اسمع منها الحقيقه.. ممكن الاقى اى دليل يثبت براءتها"

نظرت إلي بتعجب فهي بالتأكيد لم تصدق كلماتي ومحاولتي في إثبات براءتها، هل حقاً أهتم بذلك أم أنني أفعل ذلك لإرضائها وإرضاء نفسي؟

وافقت على طلبي فأعطيتها إذن الزيارة وما إن تسلمته مني وألقت نظره عليه حتى رأيت بعينيها شعرت بأنها أصبحت مقتنعة بأنني جاد في القول والفعل أيضاً، ظهرت ابتسامة ماسحة على وجهها المحبوب الطيب البريء، نظرة سعادة لما أفعل، ومراعاة لمشاعري أيضاً فما أفعله لن يغير من الواقع شيئًا فمن مات هو أخي ومن أحاول مساعدتها هي القاتلة وستظل مُدانة حتى تثبت براءتها.

أخذت الاذن ثم ذهبت تطلب من الطباخة أن تجهز الأكل لتحمله معها إليها وما إن تم كل شيء وهيأته بنفسها للذهاب حتى اتصلت بي في الشركة تخبرني بأنها ذاهبة.

وبالفعل ذهبت وتركت أنا الاخر ما بيدي وخرجت أجلس في أحد الكافيهات المطلة على النيل لأستريح من عناء يومي، فالأيام المقبلة ستشهد الكثير من الإرهاق والصراعات في فهم ما كان يدور ومنع ما

دار بطريقة فاسدة من قبل.

جلست استنشق هواء النيل وأنظر إلى تحركاته المنتظمة وجريانه الراسي، وأفكر في العالم الذي يحتويه هذا الهدوء وكيف تُفترس الكائنات الصغيرة من الكائنات الأكبر؟ أفكر في الهروب والصراعات التي تحدث بداخله دون ضجيج.

أنهت زيارتها ثم اتصلت بي في الاجتماع فطلبت منها أن نتقابل بالخارج، فعليها أن تختار المكان ثم تخبرني لأذهب إليها، ومر ما يقرب من ساعة حتى اتصلت بي مرة أخرى وأخبرتني بأنها تنتظرني في إحدى الكافيهات المطلة على النيل، وكانت تلك الصفة من أهم الصفات التي نتشاركها سوياً، وهى عشق الهدوء والنيل.

ذهبت إليها وانتقلت للداخل أبحث عنها حتى رأيتها تجلس في ركن بعيد تستطيع رؤية النيل من خلاله، تمسك بيدها كتاباً ينسيها أين هي الآن، فهي الآن في أرض الخيال ولا تعلم شيئًا عن أرض الواقع، وصلت إليها وجلست أمامها بعد أن طلبت منها الإذن بالجلوس وبعد أن سمحت لي بابتسامتها.

نظرت إلى الكتاب التي أغلقته تواً وابتسمت تعجباً فابتسمت، وهي تخبرني بأنها اشترته وهي في طريقها لهنا، تجاوزت الحديث عن ذلك مبتسماً فأنا لم أكن بحاجه للإجابة، فأنا أعلم كم تعشق الكتب وتفضلهم عن كل شيء ولكنها لم تفضلهم عليّ يوماً.

عم الصمت لحظات وهي تلك اللحظات التي طلبت فيها قهوتي وطلبت هي عصير برتقال، وما إن ذهب الجرسون حتى قصت عليّ ما حدث في الزيارة، بداية من مقابلتها الحارة بالأشواق والعناق إلى أن

ودعتها بالدموع ووعدها بأنها ستكرر الزيارة، وبالطبع استهدفت ماكنت أريد معرفته بالدقة والتفصيل الممل، أخبرتني بأن السبب الرئيسي لاتهام يارا هو أن أخي تناول السم في العشاء، ويارا هي من قامت بتحضير الطعام في تلك الليلة، لأن صافي الشغالة والمسئولة عن المطبخ طلبت أجازه قبلها لأنها مريضة وستذهب للطبيب، ففضلت أن تجهز الطعام بنفسها لأنه طلب منها كثيراً أن تطهو له لأنه اشتاق إلى مذاق طعامها، وهى كثيراً كانت تنشغل عن ذلك أو تنسى، ومن حظها السيء أنها قررت في تلك الليلة أن تفي بوعدها وأن تسعده ،ولم تكن تعلم أن قرارها هذا سيقتله، ولو كانت تعلم ما كانت تفعل ولا أقدمت، رغم أنها تزوجته لتقتله ولكنها لم تستطع فعل ذلك.....

والسبب الثاني هو أنها لم تتناول معه الطعام، ولم تكن تلك هي المرة الأولى، بل أنه المعتاد فهي تنام باكراً وهو يعود متأخراً وقليلاً، ما كانا يجتمعان على وجبة العشاء وهذه في حالة إذا عاد قبل منتصف الليل، فكان يوقظها لأنها لم تغط في النوم بعد، أما خلاف ذلك فكان كل منهما يتناول وجبته وحده وكثيراً ما كان أسامة يتناول العشاء بالخارج ولا يتناول معها سوى وجبة الإفطار.

وللأسف، لم تهتم المباحث بذلك ولم تضعه صوب عينيها ولم تتأكد النيابة عندما أخبرها المحامي ولم تطلب من الشرطة البحث والدقة في ذلك مما جعلها مُدانة، فهي لم تقل شيئًا بالنسبة لهم وهم لم يسمعوا شيئًا.. هناك شيء آخر لم يهتموا به أيضاً، وكان أكثر اهتمامهم هو استدعاء صافي التي أنكرت ما قالت وهو توجيه يارا لاستخدام بهارات بعينها تم شرائها حديثاً، كما أخبرتها بأن تلك البهارات تتمتع بقدرتها على إضافة

نكهات رائعة للطعام تجعله شهياً أكثر، وكان ذلك هو آخر حديثها ووصفها، أضاف حديثها بعض الوضوح ووضع أمامي بعض الدلائل.

فصافي تلك هي المسئولة عن المطبخ، ولكن كثيراً كنت أراها وهي تنظف المكتب رغم أنها ليست المسئولة عنه وإنما عم عبده، التي تكاد تكون تلك هي مهمته الوحيدة في الفيلا، كنت أفرح وأحييها ببعض المال عندما أراها تقوم بذلك عوضاً عنه ولكن من حديثها يتضح بأن الأمر خلاف ذلك وبأنه كان هناك هدف من تلك المساعدة العلنية، إذًا فعلي أن أتتبع آثارها فربما أصل لشيء، إن لم أصل للحقيقة كاملة.

ذهبت هي للفيلا، وعدت أنا لمكتبتي، وأكملت عملي وأنا أفكر في حديثها، فهذا هو أول الطريق وصافي بداية الخيط ولذلك وبعد أن أنهيت عملي وعدت مبكراً في ذلك اليوم، أخذت أتابع تصرفاتها دون أن تشعر.. كانت تصرفاتها طبيعية تشبه تصرفات أي خادمة مطيعة، ولكني لاحظت شيئًا ما، وهو عندما طلب منها عم عبده أن تضع القمامة في السلة لاحظتها وهى تحملها وتتأفف منها وكأنها تحملها مجبرة أو أن ذلك لا يليق بها، قضيت تلك الليلة كالمعتاد وليست تلك الليلة فقط بل الليالي الأخرى أيضاً أتابعها من بعيد ولا أفعل شيئًا آخر، ولا أحدثها في شيء حتى أشرق يوم الثلاثاء، وهو يوم أجازتها.

خرجت من الفيلا الساعة السابعة صباحاً، فخرجت خلفها أراقبها سيراً وعندما أوقفت تاكسي أوقفت واحداً آخر وطلبت منه السير خلفها، وبالفعل بقيت خلفها حتى وصلت لمدينة نصر في حي من الأحياء الراقية هناك، ونزلت أمام برج ضخم حديث البناء فتوقفت بعيداً وشاهدتها وهي تدخل العمارة وتحيي الحارس.. فأسرعت للحارس

وأعطيته مائة جنيه ثم سألته:

- "مين اللى لسه طالعه دى"؟
- "دى صافى هانم"
- "صافى هانم! وشغالة ايه"؟
- "سيدة اعمال"
- "ساكنة فى الدور الكام"؟
- "الدور الخامس"
- "بتبقى موجودة طول الاسبوع"؟

نظر لي نظرة قلقة فقد خاف سؤالي أو ربما طرق في ذهنه شيء ما ولذلك أخبرني كاذباً:

- "ايوه يا بيه"
- "شكراً"

نظر لي نظرة أخرى مبهمة يتضح منها بأنه قد شك في أمري.

عدت إلى الفيلا وتناولت الفطور مع رقية ثم ذهبت للشركة وانصرفت منها الساعة الثانية عشرة ظهراً وذهبت لمدينة نصر، انتظرت أمام العمارة حتى خرجت بعد ساعة وهى ترتدي ثيابًا أنيقة ونظارة شمسيه وتقود سيارة أحدث موديل فتحركت خلفها حتى ووقفت أمام نادى الزمالك ودخلت بعد أن أظهرت الكارنيه للحارس، أما نحن فنشجع الأهلي وعضويتنا هناك، فربما اختارت الزمالك للهروب وحتى لا تلتقى بنا مصادفة لعلمها بأننا لن نأت لنشجعه، لسبب ما طرأ في عقلي أمر، فأخرجت الموبايل وكتبت رقمها على الفيس بوك فظهر لي حساب باسم سمو الأميرة، وصورتها وهي من صفوة المجتمع.

حفظت الحساب ثم ذهبت واتصلت بمختار وأنا في مكتبي وأرسلت له اللينك وطلبت منه اختراقه ولم تمر نصف ساعة حتى أعطاني بياناتها، البريد الإلكتروني والرقم السري وسألني إذا ما كنت أريد تغيير الرقم السري أم لا؟ فطلبت منه ألا يعبث بالحساب حتى لا تلاحظ، وما إن أغلق الخط حتى فتحت الحساب وبحثت في الرسائل فوجدت الكثير من المعاكسات وعلاقات عمل ولكن هناك رسالة مرسلة لحساب باسم (زعيم العالم) ونص الرسالة هي: (العملية خلصت وانا مستنية بقية حسابي).

رسالة بتاريخ بعيد ولكن ليس ببعيد جداً، بل إنه بعد مقتل أخي بإيام، اتصلت بمختار سريعاً وطلبت منه محاولة أن يعيد الرسائل المحذوفة وبالفعل نفذ ما طلبته بعد ساعة من اتصالي، فقرأت الرسائل بأكملها وعرفت من المرسل إليه وكيف اكتشف أمرها.....

اتصلت بمحمود أثناء عودتي وطلبت منه مقابلتي، ومحمود هذا هو صديقي عاد من فرنسا قريباً لم تره صافي قط، لأنه لم يزرني منذ سنوات، قابلته وأخبرته بما عليه فعله وماذا يقول وأعطيته رقم هاتفها وبالفعل اتصل بها أمامي وأخبرها بأنه يريد مقابلتها بخصوص المبلغ المتبقي، وطلب منها العنوان فأعطته إياه، وطلبت منه الحضور بعد ساعة وبالفعل قام محمود بعد وقت قصير وذهب إليها ودار بينهما الحوار التالي.

- "اهلاً عزيزى"
- "جميلة زى ما وصفك ناصر"
- "ميرسى ربنا يخليك"



- "فين الفلوس انا مش شايفة معاك شنطة"؟

- "بس معايا شيك"

- "لا انا مبتعاملش بالشيكات وناصر عارف كده"

- "وانا كمان عارف.. والشيك هيتصرف وهجبلك فلوسك كاش"

- "ومجبتهاش ليه معاك"

- "عايز اتأكد الأول إنك انتى اللى نفذتى"؟

- "واثبتلك ازاى"؟

- "احكيلى اللي حصل وازاى اتهموا مراته وازاى مفيش أى دليل ببرائتها"؟

فابتسمت ابتسامة غرور وعظمة:

- "علشان تعرفوا انا ذكية قد ايه"

- "هعرف بعد ما تحكى"

- "اللي حصل ان فى اليوم ده انا طلبت أجازه واتحججت ان انا تعبانة وبالليل روحت واستغليت ان محسن الحارس عينه منى، فدخلت معاه اوضته واديته اللى هو عايزه.. بس مش كله، يادوبك هزار ولعب خفيف لحد ماجه أسامة بيه فطلع جرى وفتحله وهو بيفتحله حطتله منوم فى الويسكى ولما رجع شربه لحد ما نام وبعد ما نام جريت ودخلت المطبخ من الباب اللى ورا واتأكدت انها حطت البهارات فأخذت علبة البهارات وبدلتها بواحدة تانية كنت مخبياها في المطبخ وبكده كل أسامه بيه الأكل والحكومة اتهمت الهانم"

- "ومخفتيش ان الهانم تاكل معاه"

- "لا. وحتى لو كلت بردو كنت هبقى انا بعيد عن الصورة وعن

عين الحكومة"

- "لا فعلاً ذكية.. وعلى فكرة شنطة الفلوس على الباب"

- "انت بتهزر"؟

- "لا مبهزرش الراجل اللى شغال معايا واقف بيها بره مستنى تفتحيله"

وبالفعل قامت مسرعة لتفتح باب الشقة وتحصل على حقها.. أساور حديدية تقيدها وعين حزينة لفعلها، فقد كنت واقفًا مع الأمن، واستمعت اعترافها المسجل والمنقول لنا مباشرةً.

ساقوها للسجن ثم عرضوها على النيابة وواجهوها باعترافها فأقرت بما حدث وبأنها الفاعلة وما إن تم اعترافها حتى قبض عليها وأطلق سراح يارا، فلم أنتظر حتى أستقبل فرحتها وتستقبل فرحتي، بل ذهبت وتركت رقية لتستقبلها، وصلت لمكتبي وجلست تاركاً نفسي للذكريات تخالجني كيفما تشاء بداية من أول نظره وأول لقاء حتى الآن، وليس هذا فقط بل إن قلبي يدافع عنها ويبرر لها كل فعل دون أي إدانة تذكر.

واثناء استغراقي في التفكير واثناء استسلامي لموجة الذكريات، استلمت رسالة على هاتفي من رقية ازدادت معها الطعنات وأسرعت بعدها دقات قلبي، ومضمون الرسالة هو: (انت عارف اني بحبك واني مقدرش استغني عنك وانا عارفو بردو انك بتحبني وعلشان كدا مش عايزاك تتعذب معايا.. لان زي ما انا عارفة انك بتحبني عارفه بردو ومتأكدة انك لسه بتحبها، في اغلب الاوقات كنت معايا بجسمك ومعاها بروحك وحاولت كتير اني اسكن روحك زي ما سكنت جسمك بس لحد



دلوقتي مقدرتش، ودلوقتي جاتلك الفرصة انك تكمل الروح بالجسد فبلاش تضيع الفرصة دي وتندم عليها، انا قولتلها انك السبب في برائتها وهي جايا معايا دلوقتي علشان تشكرك، وعلى فكرة هي كانت دايما بتسال عليك وطلبت مني كتير اني افضل جنبك وان كان على العذاب فهي كمان اتعذبت كتير وممكن يكون اكتر منك لما قررت انها تقتل مشاعرها، بلاش تضيع الفرصة واهدي وسيب قلبك يقول كلمته الأخيرة لان راحة الجسد تكمن في راحة القلب، وراحتي انا في راحتك زوجتك للابد).

وما إن انهيت الرسالة حتى بكت عيني، ولم تمنحني الحياة حتى وقتًا للتفكير أو إعطاء البكاء حقه

طرق الباب فسألت من الطارق، فأجابت رقية ثم فتحت الباب ودخلت وهي تمسك يارا بيدها فنظرت إليهما لأرى رقية وهي مبتسمة، وعيناها تدمعان، والأخرى تخفض رأسها خجلاً أو ربما ندمًا، لا أعرف.

وبالفعل نهضت من مكاني وسرت إليهما وتركت قلبي يختار كما أراد وقد كان قد قرر من قبل، اتجهت إليها دون تردد أو تعثر دون أن تنحرف خطواتي عن مسارها، وما إن اقتربت منها ونظرت إليها باسمًا حتى أشرق وجهها فقد علمت وتأكدت بأنها اختياري.

تمت

